المقتفى من سيرة المصطفى

صلى الله عليه وسلم

للإمام المؤرخ الأديب
الحسن بن عمر بن حبيب
(٧١٠ - ٧٧٩ هـ)

قدم له وحققه وفهرسه
دكتور مصطفى محمد حسين الذهبي

دار الحديث
القاهرة

بسم اللہ الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وتمهيد

الأسلوب نوعان : شعر ونثر ، فما كان موزوناً مقفى مبنيا على العاطفة والخيال فهو شعر ، وإلا فهو نثر .

والنثر : فنى وغير فنى ، فغير الفنى هو لغة التخاطب العادية وهو أسبق من الشعر لأن الناس به يتخاطبون ويقضون شئون حياتهم .

أما النثر الفنى فقد عرفته العرب بعد معرفتهم للشعر لأن الشعر لغة العاطفة والوجدان ، وهى أسبق من لغة العقل والثقافة والحضارة ، وللشعر قبل الإسلام المنزلة الأولى ، ثم تليه الخطابة ،وتتبعهاالكتابة ، فلما جاء الإسلام ارتفع شأن الخطابة واحتلت المنزلة الأولى لأن النبى ﷺ كان خطيباً، بل كان أخطب الخطباء وأفصحهم وقد أوتى ﷺ جوامع الكلم . أما القرآن الكريم فله منزلة خاصة فهو كلام الله تعالى ، وما عداه كلام البشر ، وشتان بين ما يقوله الخالق ، وما يقوله المخلوق ، ولذلك لو أن الإنس والجن قد اجتمعوا فى صعيد واحد على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

والمتفحص للأساليب العربية يجد أن النثر الفنى المسجوع والذى يشيع فيه الجناس والمحسنات كان يجرى على ألسنة الناس ، ومعروفاً بينهم ، كما ورد على لسان قس بن ساعدة الإيادى الذى قال فى العصر الجاهلى : « أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج » ثم اختتم خطبته بأبيات من الشعر تبين أن الناس سائرون إلى الزوال ، وأن من ذهب لا يعود ، فهل رضوا فأقاموا ، أم تركوا فناموا .

كما نجد الخطباء فى صدر الإسلام يلقون خطبهم فى فقرات متوازية مسجوعة حيناً ، وكذلك كتاباتهم ، وقد يختمون خطبهم وكتاباتهم ببيت أو أبيات من الشعر كقول القائل :

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وكقول عثمان رضى الله عنه إلى الإمام على :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل   وإلا فأدركنى وإن لم أمزق

وكثر هذا الأمر فيما كتبه الجاحظ فى « رسائله »، وفى كتابيه « الحيوان » و « البخلاء » ، وفى « البيان والتبيين » فنثره مقيد ، ويشيع فيه الاقتباس والاستشهاد بأبيات من الشعر . وكذلك فعل ابن زيدون فى رسالتيه الشهيرتين : « الهزلية » و « الجدية » . ثم انتشر ذلك الأمر وبخاصة بعد فتح بلاد الأندلس المشهورة بجمالها ، وأزهارها ، وحسنها . فانتشرت الزينة، كما انتشرت المحسنات ، وأصبحت قيداً لا فكاك عنه حتى أصبحت كتب التاريخ ، والمؤلفات كلها علمية أو أدبية تقوم على هذا النحو كما فى كتاب « ملقى السبيل » لأبى العلاء ، الذى التزم فيه السجع فى النثر ، والذى يعيد فى كل قطعة نفس المعنى ، وقد لبست أثواب الشعر ، وجاء كتابه على نسق فريد ليس مسبوقاً من قبل ، ولا مدركاً من بعد ، ويشبه فى ذلك الكتاب الذى بين أيدينا ، فهو كتاب علم يسرد تاريخ النبى ﷺ بأسلوب النثر المقيد ، ويختم كل موضوع بما ورد فيه من أبيات من الشعر ، فجمع بين جمال النثر وبديع الشعر ، وكان آية فى الدقة والذوق والجمال .

وإليك هذا النموذج يحدثنا فيه المؤلف عن غزوة وَدَّان التي وقعت فى سنة اثنتين من الهجرة ، يقول :

« خرج النبى ﷺ فى صفر من السنة المذكورة ، ودفع لواءه إلى حمزة الموصوف بالمناقب المبرورة ، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة ، وسار معه المهاجرون الرافلون فى حلل السعادة ، حتى بلغ الأبواء يريد عيراً

لقريش، فلم يلق كيداً بمن معه من الجيش ، وفى هذه الغزوة وادع بنى ضمرة، وكتب بينه وبينهم كتاباً أجرى الثقات من الرواة ذكره ، وهى أول غزوة غزاها بنفسه ، وأخلى بسببها المدينة من بركته وأنسه .

يا حادى الأظعان يخترق الرها ويجيد قطع سباسب الفلوات
عرج على ودان فهى لأحمد خير البرايا أول الغزوات

نظرة تحليلية

وإذا نظرنا فى هذا النموزج نجد أن الكاتب قد التزم السجع فلم تخل جملة واحدة منه : المذكورة ، المبرورة ، عبادة ، السعادة ، لقريش ، الجيش، ضمرة ، ذكره ، بنفسه ، وأنسه .

ثم نراه يختم حديثه ببيتين من الشعر :

يا حادى الأظعان . . . . إلى . . . . أول الغزات

هذا من ناحية الشكل ، وقد التزم الكاتب هذا النهج فى الكتاب كله ، فنجد قطعة مسجوعة تتكلم عن الموضوع ، ثم يختمها بأبيات من الشعر ينسبها إلى ناظمها غالباً ، وإلا نظم هو بعض أبيات من الشعر ليختم بها الموضوع ، وغالباً ما يقتصر على بيتين أو ثلاثة كما نرى فى قطعتنا هذه . وأما فى الغزوات الشهيرة والتى قال فيها الشعراء كثيراً من الشعر كغزوة بدر الكبرى فنجد المؤلف يورد أشعاراً لحمزة بن عبد المطلب ، وأخرى لعلى بن أبى طالب ، وثالثة لحسان بن ثابت .

وقد حشد الكاتب فى كتابه الكثير من الغزوات والسرايا ، ومن المعلومات والمعارف التى لم ترد فى كتاب غيره ، مما جعل الكتاب مرجعاً من أهم المراجع فى الفترة التى كتب عنها المؤلف ، ولو كانت كتب التاريخ قد كتبت على هذا النسق لأفادت كثيراً ، وبخاصة الناشئة التى تعلق الأسجاع بأسماعهم ، وقلوبهم ، ولحفظوا هذا الشعر الذى يلخص الموضوع ، ويثبته،

ولهذا نظمت كثير من العلوم والمعارف فحفظت واستمرت على مدى العصور والأيام .

هذا عن الكتاب أما عن التحقيق ، فلو رجعنا إلى هذا النموذج الذى اخترناه - وهو غزوة وَدَّان - لوجدنا التعريف بمكان الغزوة وعرفنا أن وَدَّان قرية جامعة فى ناحية الفُرع ، بينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال كما نجد بيان معانى بعض الألفاظ الصعبة، فنعلم أن الأظعان : جمع ظعينة وهى الراحلة يرتحل عليها . والرها : الأرض الواسعة . وسباسب الفلوات : هى الأرض القفر المستوية البعيدة فى الصحراء لا ماء فيها ولا أنيس ... وهكذا نجد التوضيح والتبيين والجهد العظيم الذى يبذله المحققون لمثل هذه الكتب ، والذى يحتاج إلى كثير من المراجع ، ولكثير من الجهد ، حتى تصير هذه الكتب ذات نفع عظيم وهى كذلك نافعة إن شاء الله.

حيا الله العلماء الذين ألَّفُوا ، والمحققين الذين بذلوا أقصى الجهد ، حتى وصلت إلينا هذه الكنوز سالمة نقية .

هذا وبالله التوفيق والسداد .

أبو نغم
محمود شاور ربيع

حدائق حلوان ١٦ من ذى الحجة سنة ١٤١٥ هـ .
١٦ مايو سنة ١٩٩٥ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله باعث الرُّسُل ، وناهج السُّبُل ، الذى هدانا للإسلام ، وشرفنا بملة خير الأنام ، من سلَّم عليه الشجر والحجر ، ونبع الماء من أصابعه ومن الأرض انفجر ، ودرَّ له ضرع الجذعة بالدُّرر ، وحن الجذع لفراقه حتى خار خوار البقر ، أول الناس خروجاً إذا نُشِروا ، وقائدهم إذا حُشِروا ، ومُبشرهم إذا يئسوا ، وشفيعهم إذا حُبِسوا ، أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يدخل الجنة بمن معه يوم العرض ، خير أصحاب اليمين ، وأجَلُّ من نزل عليه جبريل الأمين ، صاحب الحوض الشهير بالكوثر ، الذى ريحه أطيب من المسك الأذفر .

من تخيره ربه من أكرم نسب ، وجعله سيد العَجَم والعَرَب ، ثم بعثه بآياته الظاهرة ، وأيده بمعجزاته الباهرة ، وأمره بجهاد من صدَّ عن سبيله ، و لم يجب داعى الله ورسوله ، فجاهد فى الله حق جهاده ، حتى ظهر الدين الحق الذى ارتضاه لعباده ، ثم توفاه وقد أكمل به الدين ، وختم به النبيين ، فصلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وعلى آله الطيبين ، وصحابته المجاهدين ، وأزواجه أمهات المؤمنين .

أما بعد . . . فهذا كتاب « المقتفى من سيرة المصطفى » ، أفضل من طاف

بالبيت وصعد على الصَّفا ، أقدمه لعشاق السيرة النبوية ، ومحبى خير البرية، سفرٌ نفيس جليل ، محله من كتب السيرة محل الدرة من الإكليل ، كتاب أينعت ثمراته ، وعبقت زهراته .

يا منْ يذكرنى حديث أحبة
طاب الزمانُ بذكرهم ويطيبُ
أعدْ الحديث على من جنباته
إنَّ الحديث عَن الحبيب حبيبُ

كتاب سار فيه مؤلفه المؤرخ الأديب ، الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، على منهج جمع فيه بين الاختصار الذى لا يُخل ، والإيجاز الذى يتم به البيان ويستقل ، أورد فيه الكثير والكثير من المعلومات ، وصفاه من الحشو والزيادات ، حتى لتكاد الصفحة فيه تغنى عن صفحات ، وفصوله القصيرة تعدل غيره من المطولات ، فبدا وكأنه موسوعة مصغرة للسيرة الخالدة، قيدت بين دفتيها كل شاردة وواردة ، حلاه بالسجع البديع الرائق ، وزينه بالشعر الرصين الفائق ، من غير تكلف يخمد نور المعانى ، أو يَغُضَّ من رواء المبانى ، يعرف هذا من تفنن فى علوم هذا الشان ، وأرهف خاطره أدب صناعة اللسان .

وإن كان ابن حبيب لم يتعرض فى « المقتفى» إلى مناقب نبينا الأمين بالتفصيل ، فَمَرَدّ ذلك إلى أنه قد أفردها بالتأليف فى سفر جليل ، جمع فيه درر مناقب النبى العاقب ، وأسماه بـ « النجم الثاقب فى أشرف المناقب » ، أسأل الله أن يمن علينا بتحقيقه ، كما أعاننا على إخراج « المقتفى » بتوفيقه ، كما أسأله - سبحانه وتعالى - أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يمن علينا بالنظر إليه فى جنات النعيم ، فمنه العدل والإحسان ، وعليه الاعتماد والتكلان ، لا رب غيره ، ولا خير إلا خيره .

ترجمة المؤلف

الإمام المسند الأديب المؤرخ

الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب

(٧١٠ - ٧٧٩ هـ)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه :

هو الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن شويخ بن عمر ، بدر الدين ، أبو محمد وأبو طاهر ، الدمشقى الأصل ، الحلبى المولد والنسبة ، الشافعى المذهب .

مولده ونشأته العلمية ومسموعاته :

ولد الحسن بن عمر بحلب الشهباء فى شعبان سنة عشر وسبعمائة ، ونشأ فى بيئة علمية دينية ، فأبوه هو الإمام العالم الحافظ عمر بن الحسن بن عمر ابن حبيب ، زين الدين الشافعى (٦٦٣ - ٧٢٦ هـ) ، سمع من مشاهير عصره حتى خرَّج له الحافظ الذهبى مشيخة فيها أكثر من خمسمائة شيخ ، وسمع عليه بحلب الكثيرون ، من بينهم أولاده الخمسة : الحسن ، ومحمد، والحسين ، وعلى ، وأحمد .

وكان الشيخ عمر حريصاً على تنشئة أولاده نشأة علمية دينية ، وكثيراً ما صحبهم معه لحضور مجالس العلم .

وتذكر لنا المصادر أن ابن حبيب أُحْضِرَ فى الشهر العاشر من عمره على إبراهيم وعبد الرحمن بن صالح العجمى لسماع جزء من حديث أصحاب

أبى على الحداد، كما أُحْضِرَ على بيبرس العديمى لسماع « المصافحة » وغيرها، وسمع كتاب « الدعاء » للمحاملى ، وكتاب « المواعظ » لأبى عبيد القاسم بن سلام ، وكتاب «السرائر » لأبى هلال العسكرى على الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الرحمن بن العجمى .

وفى الخامسة من عمره سمع ابن حبيب « مسند أبى داود الطيالسى » على الرئيس تاج الدين أبى المكارم محمد بن أحمد النصيبى الحلبى الشافعى ، وكذلك سمع « مشيخة ابن كليب » على الشيخ شمس الدين بن محمد بن إسحاق الجعفرى الحلبى .

وقد انتهز الحسن بن حبيب فرصة قدوم الكثير من العلماء والأدباء إلى حلب - والتى كانت تعتبر فى ذلك الوقت من أشهر المراكز الحضارية بالشام- فتردد على مجالسهم العلمية للإفادة منهم .

ومن هؤلاء الذين وفدوا على حلب وتوطدت الصداقة بينهم وبين ابن حبيب وأفاد منهم ، وأجاز بعضهم له ، الشيخ بهاء الدين محمد بن على بن سعيد الأنصارى الشافعى ، وابن نباتة المصرى الذى تلقى عنه الأدب ، والشيخ الإمام صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلىّ ، والشيخ الإمام الأديب المحدث محمد بن جابر الوادى آشى الملكى .

رحلاته العلمية :

توجه ابن حبيب إلى الحجاز من أجل الحج والزيارة وطلب العلم مرتين ، الأولى: سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، بصحبة أخويه كمال الدين محمد وشهاب الدين أحمد ووالدته ، والثانية : سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، بصحبة أخيه كمال الدين محمد وبعض أصدقائه ، وفى المدينة فى زيارته

الأولى التقى بالشيخ أبو البركات أيمن بن محمد السعدى الأندلسى التونسى حيث سمع منه نظمه وفوائده .

وفى سنة ست وثلاثين وسبعمائة رحل ابن حبيب إلى القاهرة حيث مكث بها ستة أشهر اجتمع خلالها بطائفة من أهل العلم والحديث ، وسمع منهم ؛ أمثال العلامة بهاء الدين محمد بن على بن سعيد الأنصارى الشافعى الشهير بابن إمام المشهد ، والشيخ المسند أمين الدين أبو الفضل عبد المحسن بن محمد بن على بن الصابونى المصرى ، والشيخ الفقيه شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم الأنصاى الشافعى ، والشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غالى بن نجم بن عبد العزيز الدمياطى القاهرى المعروف بابن الشماع ، والشيخ عز الدين أبو محمد عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر العجمى الشافعى .

علاقته بمؤرخى عصره :

عاصر ابن حبيب عدداً كبيراً من مؤرخى مصر والشام والعراق ، وقد تفاوتت علاقة ابن حبيب بكل منهم ، فمنهم من ترجم ابن حبيب له فى أسطر قليلة ولم يشر إلى أية علاقة تربطه بهم مثل بيبرس الدوادار (ت٧٢٥هـ) وأبو الفدا (ت ٧٣٣ هـ) ، وإذا اعتبرنا أن ابن حبيب كان فى سن صغيرة لا تسمح له بإقامة علاقات مع هذين المؤرخين ، فماذا يمكن أن نقول عن إغفاله لذكر أى علاقة ربطته بابن شاكر الدمشقى الكتبى (ت٧٦٤هـ) وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ؟!

أما المؤرخين الذين ارتبط معهم ابن حبيب بعلاقات طيبة فهم: ابن فضل الله العمرى ، وابن الوردى ، وابن أيبك الصفدى ، وتاج الدين السبكى ، وعلم الدين البرزالى .

ثناء العلماء عليه :

قال ابن حجر فى « الدرر الكامنة » :

وصنف « درة الأسلاك فى دولة الأتراك » سجع كله يدل على اطلاع زائد واقتدار على النظم . . وكان فاضلاً كيساً صحيح النقل .

وقال ابن تغرى بردى فى « المنهل الصافى » :

وكان له فضل ومشاركة جيدة واليد الطولى فى النظم والنثر ، وله سماع ورواية ، ومؤلفات مفيدة .

وقال عنه العينى فى « عقد الجمان » :

وله شعر رائق ونثر فائق كالشهد فى حلاوته والدر فى طراوته ، فاق أدباء زمانه ، وشهد له سلفه بالتقدم على أقرانه .

وقال ابن قاضى شهبة فى « طبقات الشافعية » :

المسند الأديب ، المنشىء المؤرخ، قال الشعر الحسن . . . وله كثير من التصانيف اللطاف .

وظائفه ووفاته :

باشر ابن حبيب كتابة الحكم العزيز ، وكتابة الإنشاء ، والتوقيع الحكمى ، وغير ذلك من الوظائف الدينية ، وذلك فى كل من دمشق ، وطرابلس، وحلب ، وأفاد من ذلك كثيراً فى ثقافته ، ثم تخلى ابن حبيب عن الوظائف العامة وانقطع فى آخر عمره بمنزله حتى وفاته فى ٢١ ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، ودفن بتربة أرغون خارج باب المقام .

مؤلفاته :

ترك ابن حبيب ثروة كبيرة من المصنفات فى شتى العلوم الدينية والأدبية والتاريخية ، لم يطبع منها غير ثلاثة ، وما بقى منها مخطوطاً فى المكتبات كثير ينتظر من يخرجه إلى النور ، فضلاً عن المفقود منها والذى لا نعرف عنه أكثر من عنوانه ، ومن أشهر مؤلفاته :

١ - أخبار الدول وتذكار الأول ، ويعرف بـ : جهينة الأخبار فى ملوك الأمصار .

٢ - إرشاد السامع والقارئ المنتقى من صحيح البخارى .

٣ - تحية المسلم من شعر ابن المعلم .

٤ - التوشيح فى شرح الحاوى .

٥ - درة الأسلاك فى دولة الأتراك .

٦ - دليل المجتاز بأرض الحجاز ، وتعرف أيضاً بـ : رحلة الشيخ حبيب.

٧ - الشذور : وهو مجلد لطيف من مقطعاته الشعرية .

٨ - تشنيف السامع فى وصف الجامع : (فى وصف جامع بنى أمية والشام وأخبار دمشق) .

٩ - نسيم الصبا : (وقد طبع هذا الكتاب مراراً) .

١٠ - كشف المروط عن محاسن الشروط .

١١ - الكوكب الوقاد من كتاب الاعتقاد (انتقاه من كتاب « الاعتقاد» للإمام البيهقى) .

١٢ - المختار .

١٣ - معانى أهل البيان من وفيات الأعيان (لابن خلكان) .

١٤ - مقامة الوحوش .

١٥ - النجم الثاقب فى أشرف المناقب (طبع ضمن «جواهر البحار فى مناقب النبى المختار» للعلامة النبهانى) .

١٦ - نوح الفاقد .

١٧ - الفوائد المنتقاه من تاريخ صاحب حماه .

١٨ - نفحات الأرج من كتاب تبصرة الفرج لابن الجوزى .

١٩ - تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه (مطبوع فى ثلاثة مجلدات بتحقيق : دكتور محمد محمد أمين) .

٢٠ - المقتفى من سيرة المصطفى :

وهو الكتاب الذى نقدمه اليوم للمكتبة الإسلامية .

مصادر الترجمة :

- المنهل الصافى لابن تغرى بردى (٥/ ١١٥) .
- أنباء الغمر لابن حجر (١/ ١٦٣) .
- الوافى بالوفيات للصفدى (١٢/ ١٩٥) .
- البدر الطالع للشوكانى (١/ ٢٠٥) .
- النجوم الزاهرة للسيوطى (١١/ ١٨٩) .
- شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٢٦٢) .

- الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ١١٣) .

- درة الأسلاك لابن حبيب (ص ٤٩٦ من مخطوط دار الكتب المصرية).

- كشف الظنون لحجى خليفة (١/ ٧٣٧) .

- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (١ / ٨٨) .

- الأعلام للزركلى (٢/ ٢٢٦) .

-إعلام النبلاء للطباخ (٥ / ٦٦) .

- مقدمة التحقيق لكتاب «تذكرة النبيه» للدكتور محمد أمين، وهى ترجمة دقيقة وافية شاملة (١ / ٧ - ٢٧) .

وصف النسخ المعتمدة فى التحقيق

عثرت على صور لنسختين من « المقتفى » اعتبرت إحداهما أصلاً والأخرى للمراجعة .

١ - أما النسخة الأصل، فهى المحفوظة فى رواق الأتراك بالأزهر تحت رقم ٨٨٤ تاريخ، وتقع في (١١٣) ورقة، وعدد السطور فى كل صفحة (١٧) سطراً ، متوسط كل سطر (٧) كلمات ، والنسخة بخط نسخي نفيس جداً ، مضبوط بالشكل الكامل ، وفى بعض الورقات آثار رطوبة واستدركنا ذلك من النسخة الأخرى ، وكان الفراغ من هذه النسخة كما جاء فى أول النسخة: سنة ١١٨٣ هـ ، ولم يصرح الناسخ باسمه ويا ليته فعل ، فإن قلمه فى محل رفيع من النفاسة والجودة أثابه الله .

٢ - النسخة الثانية : وهى المحفوظة فى دار الكتب المصرية رقم ٣٠٩ تاريخ ، وقف الملك قايتباى ، وتقع فى (٦٣) ورقة ، وعدد السطور فى كل صفحة (١٧) سطراً ، متوسط كل سطر (١٣) كلمة، وكتبت بخط نسخي كتبها يوسف بن محمد بن على الجناح الصفدي سنة ٨٤١ هـ .

عملى فى التحقيق

يتلخص منهج تحقيق هذا الكتاب فى النقاط التالية :

١ - بعد أن تأكدت أن الكتاب لم ينشر من قبل ، شرعت فى نسخ المخطوطة وراعيت فى النسخ قواعد الرسم الإملائى بعد تقويم النص ورد المحرف إلى أصله .

٢ - عزوت الآيات الكريمة إلى سورها ، وبينت أرقامها ، ورسمتها بالرسم الإملائى تسهيلاً فى قراءتها .

٣ - خرجت الأحاديث النبوية التى تضمنها الكتاب - وهى قليلة - من أمهات كتب السنة .

٤ - عند اقتضاء السياق فى بعض المواطن إضافة كلمة عابرة أو عنوان إتماماً للفائدة أو إظهاراً للمعنى ، أضفتها إلى الأصل بين معكوفين [ ] ولم أشر إلى ذلك فى الهامش اكتفاء بهذا التنويه .

٥ - عرَّفت بالصحابة - رضى الله عنهم - والأعلام والشعراء الواردة أسماؤهم فى الكتاب حسبما اقتضت الحاجة إلى ذلك .

٦ - عنيت بضبط الآيات القرآنية والشعر وكل ما يحتمل اللبس .

٧ - عنيت بشرح الغريب من الألفاظ الغامضة الواردة فى النص وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة ، وكتب غريب الحديث وغريب السيرة .

٨ - عرفت بالأماكن والبلدان والبقاع وذلك بالرجوع إلى الكتب المتخصصة فى هذا الفن .

٩ - وضعت فهارس مختلفة ومتنوعة وهى :

أ - فهرس للآيات القرآنية .

ب - فهرس للأعلام .

جـ - فهرس للأماكن والبقاع والبلدان .

د - فهرس للشعر .

هـ - فهرس لمصادر التحقيق .

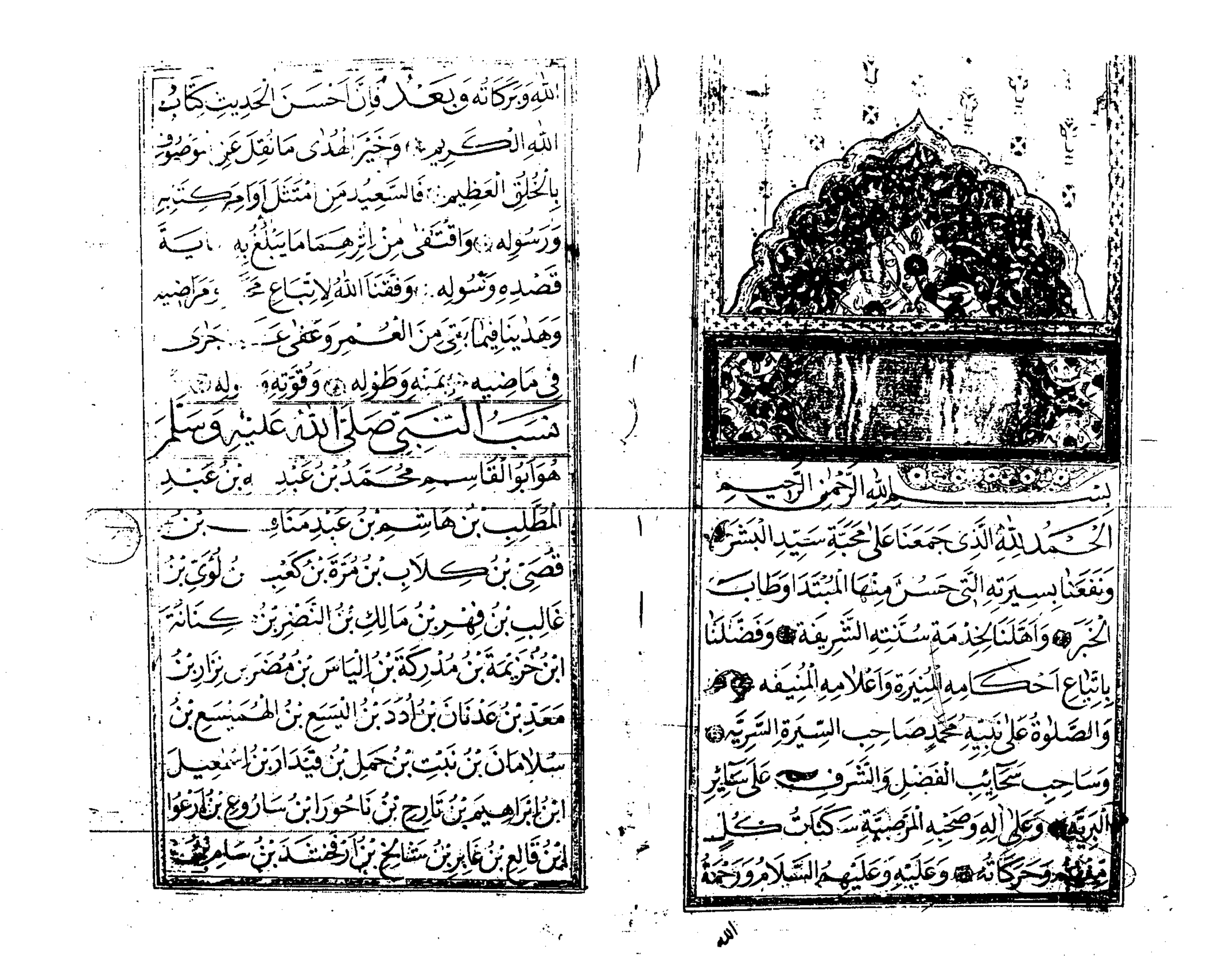
و - فهرس لموضوعات المقدمة والكتاب .

أما ما وراء ذلك مما اصطلح عليه من مناهج التوثيق والتحقيق فهو فى موضع الاعتبار والاقتداء إن شاء الله ، على أنى لم أستكثر من التعليقات ولقليل لا يخزى صاحبه خير من كثير يفضحه .

وإنى لأرجو من الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع المسلمين بهذه السيرة الشريفة ، بالإقبال عليها والاقتداء بها، كما أسأله - وهو خير مسئول - أن يثبتنى بالقول الثابت عند الممات ، وأن يجيزنى على الصراط إذا كثر الزالون والزالات ، إنه سميع مجيب الدعوات .

دكتور / **مصطفى محمد حسين الذهبى**

القاهرة فى يوم الثلاثاء : ٩ من ذى الحجة ١٤١٥ هـ .



بسم الله الرحمن الرحيم

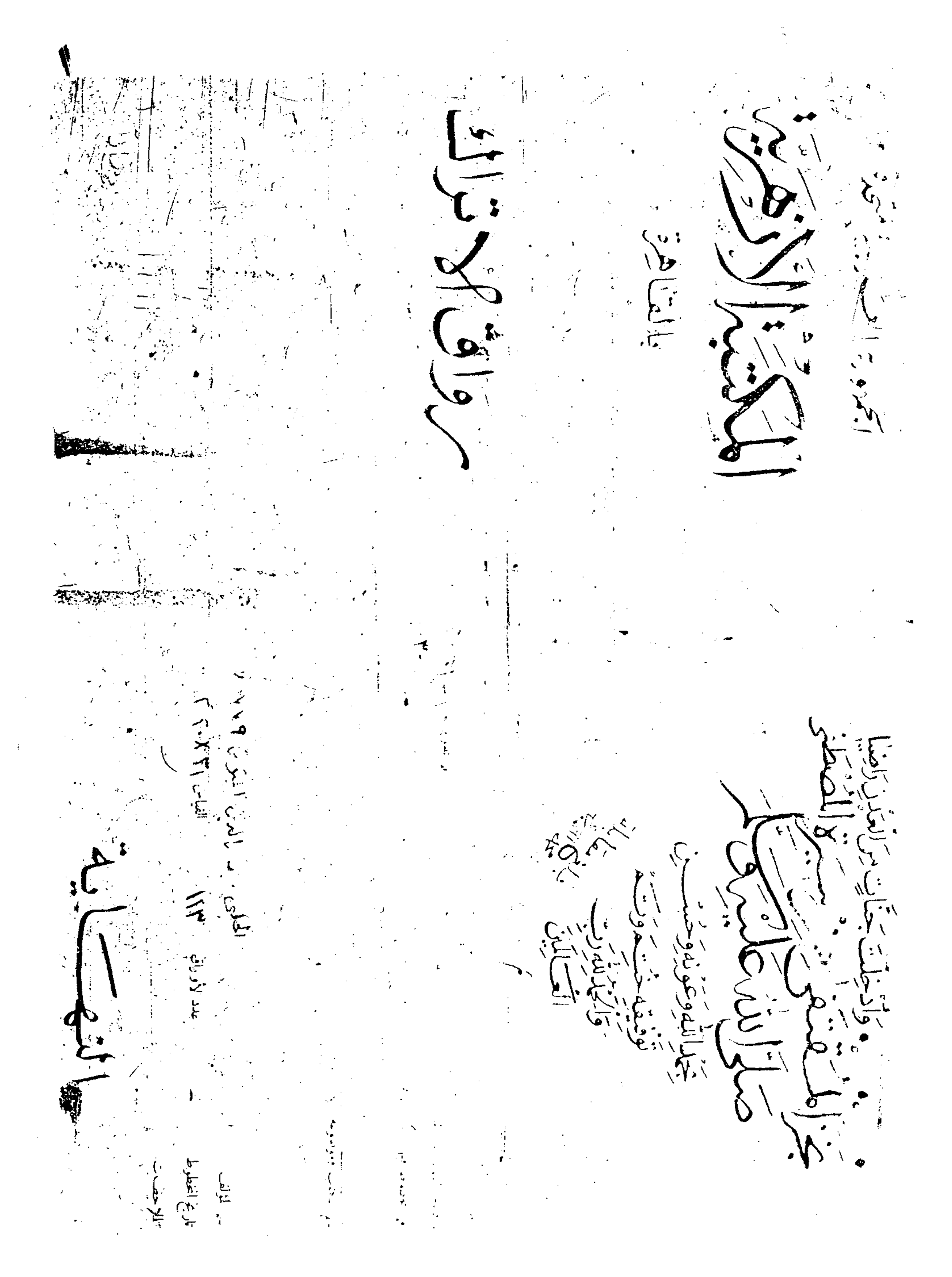
الحمد لله الذى جمعنا على محبة سيد البشر
ونفعنا بسيرته التى حسن منها المبتدا وطاب
الخبر واهلنا لخدمة سنته الشريفة وفضلنا
باتباع احكامه المنيرة واعلامه المنيفه
والصلوة على نبيه محمد صاحب السيرة السرية
وساحب سحايب الفضل والشرف على ساير
البرية وعلى اله وصحبه المرضية سكنات كل
[illegible] وحركاته وعليه وعليهم السلام ورحمة

الله وبركاته وبعد فان احسن الحديث كتاب
الله الكريم وخير الهدى ما نقل عن موصوف
بالخلق العظيم فالسعيد من امتثل اوامر كتابه
ورسوله واقتفى من اثرهما ما يبلغه [illegible]ية
قصده وسوله وفقنا الله لاتباع [illegible] مراضيه
وهدينا فيما بقى من العمر وعفى [illegible] جرى
فى ماضيه بمنه وطوله وقوته [illegible] وله

نسب النبى صلى الله عليه وسلم

هو ابو القاسم محمد بن عبد [illegible] بن عبد
المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن
قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن
غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة
ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان بن ادد بن اليسع بن الهميسع بن
سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن اسمعيل
ابن ابراهيم بن تارح بن ناحور ابن ساروغ بن ارعوا
ابن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن [illegible]

صـورة الورقـة الأولـى من مـخـطوطة رواق الأتراك



صـورة الورقـة الثـانيـة مـن مـخطوطة رواق الأتراك

صورة الورقة الأولى من مـخطوطة دار الكتب المصرية

صورة الورقة الأخيـرة من مخطوطة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى جمعنا على محبة سيد البشر ، ونفعنا بسيرته التى حَسُنَ منها المبتدأ وطاب الخبر ، وأهَّلنا لخدمة سُنَّته الشريفة ، وفضلنا باتِّباع أحكامه المنيرة وأعلامه المُنِيفة ، والصلاة على نبيه محمد صاحب السيرة السرية ، وساحب سحائب الفضل والشرف على سائر البرية ، وعلى آله وصحبه المرضية سكنات كلٍ منهم وحركاته ، وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته ،

وبعد . . . فإن أحسن الحديث كتاب الله الكريم ، وخير الهدى ما نُقل عن الموصوف بالخلق العظيم ، فالسعيد من امتثل أوامر كتابه ورسوله ، واقتفى من أثرهما ما يبلغ به غاية قصده وسوله ، وفقنا الله لاتباع محبته ومَرَاضيه ، وهدانا فيما بقى من العمر وعفا عما جرى فى ماضيه ، بمنه وطَوْلِه ، وقوته وحوله .

نسب النبى ﷺ

هو أبو القاسم[١] محمد بن عبد الله بن عبد المطلب[٢] بن هاشم بن عبد مـناف[٣] بن قُصَىّ[٤] بن كِلاب[٥] بن مُرَّة[٦] بن كعب[٧] بن لُؤَىّ[٨] بن غالب بن فِهْر بن مـالك بن النَّضْر[٩] بن كِنانة[١٠] بن خزيمة بن مُدْرِكة[١١] ابن إلياس بن مـضر بن نِزَار[١٢] بـن مَعْد[١٣] بن عَدْنان[١٤] بن أدد بـن

(١) أبو القاسم : قيـل : كنى به لأنه يقسم الجنة بين الخلق يوم القيامـة ، وقيل : كنى ببكر ولده من خديجة وهو القاسم .   (٢) عبد المطلب: واسـمه شيبة،سمى بذلك لأنه ولد وفى رأسه شيبة،عاش مائة وعشرين سنة.

(٣) واسمه المغيرة ؛ لأنه كان يغير على الأعداء وكان يلقب قمر البَطْحاء لجماله .

(٤) قُصَىّ واسمه زيد ، وهو تصغير قَصِى أى : بعيد . وقيل: تصغير قاص .

(٥) كِلاَب : واسمه حكيم ، وكان محـباً للصيد مولعاً بالكلاب ، وجمع منها شيـئاً كثيراً ، فكان إذا مر بكلاب على قوم ، قيل : هذه كلاب ابن مُرَّة .

(٦) مُرَّة : منقول من وصف العلقمة والحنظلة .

(٧) كعب : سمى به لارتفاعه وشرفه على قومه .

(٨) لُؤَىّ : بضم اللام ويهمز ويسهَّل ، تصغير اللأى وهو الثور الوحشى ، وكان حليماً نطق بالحكمة صغيراً .

(٩) النَّضْر : لقب به لنضارة وجهه وجماله ، منقول من النضر اسم للذهب الأحمر .

(١٠) كِنانة : من الكنانة التى هى الجَعْبـة ، سمى بذلك لأنه كان سـتراً على قومـه كالكنانة الساترة للسهام .   (١١) مُدْرِكة : قيل لأنه أدرك كل عز وفخر كان فى آبائه .

(١٢) نِزَار : مأخوذ من التَّنَزُّر لأنه كان فريد عصره .

(١٣) مَعْد : تمعدد - إذا اشتد ، وقيل هو من المعْد ، وهو القوة .

(١٤) عَدْنان : مأخوذ من عـدن بالمكان إذا أقام به ، ويقال أنه أول من كسا الكعبـة ، كساها أنطاع الأدم . وإلى هنا النسب الصحيح المجـمع عليه فى نسب رسول الله ﷺ ، وما بين عدنان إلى إسـماعيل فيه اضـطراب شديد واختلاف مـتفاوت ، حتى أعرض الأكـثر عن سياق النسب بين عدنان وإسماعيل .

الْيَسَع[1] بن الهُمَيْسَع[2] بن سُلامان بن نبت بن حَمل بن قَيْذَار[3] بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح[4] بن ناحور بن ساروع[5] بن أرعواء بن فالع[6] بن غَابر بن شالخ[7] بن أرفَخشد بن سام بن نوح بن لمك[8] بن متوشلح[9] بن أخنوخ بن يرد بن مَهْلائَيل[10] بن قَنْيَان بن أنوش[11] بن شيث[12] بن آدم[13] أبى البشر عليه السلام .

نسبٌ عليهِ مَهابَةٌ وجَلالَةٌ
بالمصطفى خيرِ الورى أقصَى الأرَبْ
نَسَبٌ أضاءَ الأفقَ بنُورِ مَنْ
لولاهُ ما طَلَعَ الهِلالُ ولا غَرَبْ
نَسَبٌ رفيعٌ ضمَّ جامعُ شمْلِهِ
أعيانَ ساداتِ الأعاجِمِ والعربْ

---

(١) اليسع : سمى به لسعة علمه أو لسعيه فى الحق .

(٢) الهُمَيْسع : الرجل القوى ، وقيل : الضَّراع .

(٣) قيذار ، ويقال : قيذر : وتفسيره صاحب الإبل وذلك لأنه كان صاحب إبل إسماعيل .

(٤) تارَح : وهو آزر .

(٥) وقيل شاروح ، وقيل : ساروغ .

(٦) ويقال : فالخ ، وتفسيره : وكيل .

(٧) شالخ : ومعناه الرسول أو الوكيل .

(٨) ويقال : لامك ، ويقال : لامخ وتفسيره المتواضع .

(٩) وقيل : متوشلخ :وتفسيره مات الرسول .

(١٠) مَهْلاييل ، ويقال : مَهْلاَبيل ، ومعناه الممدح .

(١١) أنوش : وتفسيره الصادق ، وهو بالعربية آنش .

(١٢) شيث : ويقال : شياث ، ومعناه هبة الله أو عطية الله .

(١٣) اختلف العلماء فى رفع النسب إلى آدم عليه السلام ، فذهب ابن إسحاق وابن جرير والبخارى والزبيريون وغيرهم من العلماء إلى جوازه ، وكره مالك ذلك .

تزويج آمنة من عبد الله بن عبد المطلب

تزوج عبد الله بن عبد المطلب ، والدُ ملاذِ المُقْتَرب ، وعياذُ المُغْتَرِب ، آمنة أم الإمام الأعظم ، الذى وفَّرَ الله من الكرامة قِسْمَهُ وبحياتهِ أقسم[1] .

وهى بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، المحمية من أسلحة قومها بالبُتْر[2] المواضى والصُّمِّ [3] الصلاب، وكانت فى حجر عمها وهيب، مبرأة من شين الشين وعيب العَيْب ، فخطبها منه عبد المطلب لولده، قاصداً جمع الشمل بين لبوته وأسده ، فأحسن جوابه ، وقبل خطبته وخِطابه، ومن نجله عبد الله زوجها ، وبالإكليل الأرضى بل السماوى توجها، يا له عِقداً بلغ به أهل الإيمان غاية الأمانى ، وقراناً طارت بأنباءِ نبوته حمائم التهانى .

واستبشرَ الكونُ وشمسُ الضُّحَى
خَلَّقَتِ الآفاق بالزعفران
والبدرُ للزُّهرِ غدا قائلاً :
يا قومِ ما أسعد هذا القران

---

(١) يشير المؤلف إلى قوله تعالى : ﴿ لعَمْرُك إنَّهم لفى سكْرَتِهم يَعْمَهون ﴾ [الحجر : ٧٢].
(٢) البُتْر : أى السيوف .
(٣) الصُّم : أى الرماح .

حمل آمنة بالنبى ﷺ

لما حملت به لم تجد شيئاً من الثِّقَلْ ، ولا اعتراها بسببه تبرمٌ ولا مَلَلْ ، وأتاها آت حسن الكلام ، وهى ما بين اليقظة والمنام ، مُخبراً أنها حملت بسيد الأمة ونَبِيِّهَا ، واشتملت على شمس بُكْرتها وقمر عَشِيِّها .

ثم أتاها حين دنا وقت ولادتها ، وتكملت محاسن درة ولادتها ، فقال: عَوِّذيه بالواحد ، من شر كل حاسد ، وأُمرت أن تسميه محمداً وفى رواية أحمد ، يا له سيف شرفُه المشهورُ لا يُغْمد .

يا بنتَ وهبٍ أبشرى وتمتَّعى
فلقد حَمَلْتِ بسيدِ الأشرافِ
ذاكَ الذى من شاءَ يَعْرِفُ قدْرَهُ
فعليهِ بالأنْفالِ والأعرافِ

وفاة والده عبد الله بن عبد المطلب

خرج عبد الله فى فِتية من تُجَّار قريشٍ إلى الشام ، شائماً[1] وميض برقه المتألق فيمن شام ، فلما فرغوا من قَضْيِ أوطارهم ، وانصرفوا راجعين إلى ديارهم، مروا بأكناف المدينة ، بما معهم من البضائع الثمينة ، فتخلف بها عند أخواله من بنى النجار ، واشتغل بمرض نفسه عن المتجر والتجار ،

(١) شائماً : شام البرق : نظر إليه ، وومض وتألق : أى لمع .

واستمر مـوثقاً بقيد الوَصَب[1]، إلى أن حـان أجله واقـترب ، فـدفن بدار النَّابغـة ، وتقلصت ظِلاله السـابغـة ، ومُنى بعد خـمسٍ وعـشرين بملازمـة الضَّريح[2] ، ورسول الله ﷺ يومئذ حَمْلٌ على الصحيح [3].

وفيه تقول آمنة من أبيات :

عـفَا جـانبُ البطحـاءِ مِنْ نجلِ شـيـبـةٍ
وجـاورَ لحداً خـارجـاً فى الغَمَاغِمِ [4]
دَعَتْهُ المنَايـا دعـــوةً فـــأجـــابهـــا
ومـــا تَرَكَتْ فى الناسِ مِثْلَ ابـنِ هاشمِ

مولد النبى ﷺ عام الفيل

ولد فى أَيْمن طالعٍ وأسعَـدِه ، وحل فى أفضل وقت مـحمودٍ بأحـمده ، وأقبل وخـيلُ الخير تقاد بين يديه ، وقـدِم قدوم الغيث إلى الأرض المحتـاجة إليه ، وذلك يوم الاثنين حين طلع الفجر ، ومضى الليل عازماً على الهَجر، لعشرٍ خلون من ربـيع الأول عام الفيل[5] ، أهلاً به من عام بالنجـاة زعيمٌ وبالنجاح كفيل .

(1) الوَصَبُ : السُّقْم اللازم ، وأوصبه : أسْقَمَه .
(2) الضَّريح : القبر. (3) قيل : وله شهران .
(4) الغماغم : الأغطية .
(5) وقيل : فى ثانى عـشر ، وقـيل غيـر ذلك « سيرة ابـن هشام ١/ ١٥٨ ، والاسـتيـعاب ١/ ١٨، وسيرة ابن كثير ١/ ١٩٩ ، والسيرة الشامية ١/ ٤٠١ » .

ولم يَؤُمَّ أمه تَعَب ، ولا نصب الدهر لها شَرَكَ نَصَبْ ، بل سَعِدت بقربه واتصاله ، وبَعُدَت عن المشقة فى حمله وفِصَاله ، ورُفِعت بما وَضَعَت ، ولاحت عليها أنوار الوَقَار ولمعت .

فلما انفصل منها ، وانتقل محروساً بالملائكة عنها ، برز نظيفاً مَخْتوناً(١) مَسْرُوراً(٢)، قَطع منه السُّرَّ من اتخذه محبوباً مَحْبُوراً، وظهر له من السِّرِّ ما حَيَّر الصامت والمُعْرِب ، وخرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغْرِب ، حتى بيَّن أعناق الإبل بِبُصْرا ، وزيَّن قصور الشام فلم يدع منها قصرا (٣) .

وعلى الأرض وقع صلى الله عليه ، رافعاً رأسه إلى السماء معتمداً على يديه(٤) ، ثم أخذ بكفه قبضة من تراب الأرض ، إشارة إلى أنه يملكها كلها فى الطول والعرض .

ثم أدت ما حملته من الأمانة آمنة، وكانت مما تَشْكُو الحواملُ آمنة، وقيل: لما اشتد بها طلق النفاس وكانت فريدة ، بسطت أكف شكواها إلى ذى

---

(١) جزم بأنه ﷺ ولد مختوناً جماعة من العلماء منهم هشام بن السائب، وابن حبيب ، وابن دريد ، وابن الجوزى ، والحاكم ، والأحاديث الواردة فى ذلك رواها الطبرى ، وابن عساكر ، وأبو نعيم من طرق عدة وصححها الحافظ ضياء الدين المقدسى .

وجملة من ولد مختوناً من الأنبياء سبعة عشر أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ ، وقد نظم أسماءهم العلامة عبد الباسط البُلقينى [وحنظلة مختلف فى نبوته] فقال :

وفى الرسل مختوناً لعمرك خلقة ... ثمان وتسع طيبون أكارم

وهم زكريا شيث إدريس يوسف ... وحنظلة عيسى وموسى وآدم

ونوح شعيب سام لوط وصالح ... سليمان يحيى هود ياسين خاتم

(٢) مسروراً : السُّرّ : هو ما تقطعه القابلة من السُّرَّة .

(٣) انظر طبقات ابن سعد (١/ ٩٦) ، وأحمد فى مسنده (٤/ ١٢٧) ، و سبل الهدى والرشاد (١/ ٤١١). .

(٤) انظر طبقات ابن سعد (١/ ٦٤) ، وسبل الهدى والرشاد (١/ ٤١٣) .

الأيادى الحميدة ، فإذا هى بمريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم ، ومعهن جماعة من الحور الحسان الأعاظم ، فحينئذ أسفر فى بيتها صُبْحُ السعادة ، وذهب عنها الحزن وأُبِّدَتْ لها السيادة .

وكانت قابلته الشِّفاء بنت عمرٍو بن عوف ، وحاضنته أم أيمن التى أمِنَت به عظيم الشدائد والخوف ، فما أكرم أيام مولده الشريف عند من عرف قدرها، وما أعظم بركتها عند من عرف سرها ونشرها ، وحقيقٌ بيوم كان فيه وجود النبى أن يُتَّخذ عيداً[1] ، وخَلَيقٌ بوقتٍ استقرت فيه غرته أن يُعْقد طالعاً سعيداً ، إذ قد انبسق فيه عن جوهرة الكون بَيْضُ الشرف ، وفيه ظهرت الدرة المصونة من باطن الصَّدَف ، وأُبرز سابق السعد من كُمُون العدم ، وبمكة المشرفة أُنجز صادق الوعد بمضمون الكرم .

وقد خُصَّت ليلة ظهوره ، ويوم سطوع ضوء نوره ، بخصائص لا تتناهى، ومزايا لا تضاهى ولا تباهى ، إذ هو سيد ولد آدم ومُعَوَّلُهم ، وخاتم النبيين وأولهم ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، وسلم تسليماً وعلى الصحابة والتابعين .

بدتْ لنا فى ربيعٍ طلعةُ القمرِ
من وجهِ من فاقَ كلَّ البَدْو والحضَرِ
تجمَّعَ الحُسنُ فيهِ فهو واحدُهُ
وكان فى صورةٍ فاقتْ على الصورِ
إنْ لم أزُرْ قبرهُ يا سعدُ فى عُمْرِى
من بعدِ هذا الجفا يا ضَيْعَةَ العُمُرِ

(١) انظر أقوال العلماء فى حكم الاحتفال بمولده ﷺ فى: « سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٣٩».

صلى عليـيـهِ إلهُ العــرشِ مــا صَدَحتْ

حمائِمُ الوُرْقِ فى الآصالِ[1] والبُكَرِ [2]

ومما مدح به شهر مولده الشريف :

لهــذا الشــهـرُ فى الإســلامِ فــضلٌ

ومَنْقَبَةٌ يَفــــــوقُ عــلـى الـشُّهُورِ

فـــمـــولـودٌ به واسـمٌ ومــعـنىً

وآيـاتٌ بَهَرْنَ لـدى الـظُّهـــــــورِ

ربـــيعٌ فـــى ربـــيـعٍ فـى ربـــيـعٍ

ونــورٌ فـــوقَ نـورٍ فـــوقَ نـورِ

ومن كلام سيدنا العباس عم رسول الله ﷺ :

وأنــتَ لمَّا وُلِدْتَّ أشـــــــرقـتِ

الأرضُ وضـــــاءت بـنـوركَ الأفُقُ

فنــحنُ فى ذلـكَ الضــيـــاءُ وفى

الـنُّورِ وسُبْلِ الـرَّشــــادِ نَخْتَرِقُ

---

(١) الآصال : جمع أصل وهو العشى .

(٢) البُكُر : أول النهار إلى طلوع الشمس .

الآيات التى ظهرت بمولده ﷺ (١)

لما ولد الرسول المصطفى ، وقرت به عيون أهل الوفا والصفا ، وظهر إلى الوجود رحمة إلى جميع الناس ، وكُسى من أجله الوجود أفخر لباس ، وفتحت أبواب الجنان وتزخرفت لقدومه استبشاراً ، وخُمدت النيران وأغلق منها الأبواب منَّة وإشعاراً ، وانشق عند ذاك إيوان كسرى(٢) لهيبته ، حتى سمع القوم صوت انصداعه ورجَّته ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة كما رواه القوم ، وأخبر من رآه أن الشَّقَّ طولاً فى سقفه وهو باقٍ إلى اليوم ، وخمدت نار فارس التى كانوا يعبدونها ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام بل كانوا يوقرونها ، فلما خمدت يوم المولد الشريف ، لم يقدر على إيقادها القوى منهم ولا الضعيف ، وغاضت(٣) بحيرة ساوة(٤) بعد أن كانت السفن فيها تركب ، فأضحت ليلة المولد الشريف وأرضها يابسة ومنها يُتعجب .

وحُرست السماء بالشُّهُبِ ومنع منها كلَّ شيطانٍ ، وتكسرت تعظيماً له الأصنام والصلبان .

---

(١) انظر : سبل الهدى والرشاد (١/ ٤٢٨) ، وتاريخ الطبرى (٢/ ١٣١) ، والوفا (٩٤)، ودلائل النبوة للبيهقى (١/ ١٢٦) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (٩٦) ، والخصائص الكبرى للسيوطى (١/ ٥١) .

(٢) الإيوان : بناء مشهور بالمدائن من أرض العراق وكان بناءً محكماً ، وكِسرى : اسم ملك الفرس .

(٣) غاضت : غارت .

(٤) بحيرة ساوة : بحيرة متسعة الأكناف جداً ، وكانت تركب فيها السفن ، ويسافر فيها إلى ما حولها من البلاد والمدن ، فأصبحت ليلة المولد ناشفة كأن لم يكن بها ماء ، وساوة بلد تقع بين « الرى » و « همذان » فى « إيران ».

وانفلقت عنه البُرْمَة[1] التى وضعت عليه فرقتين[2] ، وشق بصره ينظر إلى السماء رأى العين .

قالت أمه لما ولدته: خرج من فرجى نورٌ أضاء له قصور الشام [3] ، فسبحان من حباه الهداية والعناية والبر والإكرام ، وقال فى حقه إظهاراً لعلو فضله وتذكيراً: ﴿ ياأيها النَّبىُّ إنَّا أرْسَلْنَاكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونَذيراً * ودَاعياً إلى اللهِ بإذْنِهِ وسِراَجاً مُنِيراً * وبَشِّرِ المؤمِنِينَ بِأنَّ لَهُم مِنَ اللهِ فضْلاً كبيراً ﴾[4] .

ولَكَمْ رأينَا آيةً مشهورةً
نصُّ الكتابِ بها غَدَا مشهورا
خَمَدت له نارُ المَجُوسِ ونُكِّست
أصنامهم ودَعَوْا هناكَ ثبُورا
وأتى بشيراً بالهدايةِ والتُّقى
فَلَكم سيدعو هادياً وبَشِيرا

---

(١) البُرْمة : القدر مطلقاً ، وضبط : البِرْمة .

(٢) أحاديث انفلاق البرمة رواها أبو نعيم فى الدلائل (١/ ١١٣) ، وابن سعد فى الطبقات وسنده رجاله ثقات أثبات ، وابن الجوزى فى الوفا (٩٢) مرسلاً ، وفى انفلاق البُرمة عنه ﷺ إشارة إلى أنه يفلق ظلمة الجهل ويزيلها .

(٣) الحديث رواه أحمد (٤/ ١٢٧، ١٢٨) ، وابن سعد فى طبقاته (١/ ٩٦)، والحاكم ، وابن حبان وصححاه ، وله شواهد كثيرة . وفى خروج هذا النور معه ﷺ حين وضعته إشارة إلى ما يجيء به من النور الذى يهتدى به أهل الأرض وزوال ظلمة الشرك منها ، وإنما اختص الشام بهذا النور لأنها دار ملكه كما ورد فى الكتب السابقة : « محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره بيثرب ومُلكه بالشام » .

(٤) سورة الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

ومن أحسن ما نُظِم :

ومـولِدُهُ قــد كـانَ فـيــه عــجـائِبٌ
ونُكِّستْ الأصـنامُ حــــقــــاً بلا مِرا

وإيوانُ كِســــرى قـــد تصـــدعَ هيْبَةً
لِطه رســــولِ اللهِ أفـــضلِ من قـــرا

وأُخــمــدتِ النيـرانُ فـى أرضِ فـارسٍ
وبَشَّرتِ الرهــبـــانُ قــــولاً تَسَطَّرا

وأصـــبـحتِ الأكــوانُ تزهوا تفــاخُراً
بِوجـدانِ من بالفـضلِ (قـد) زانَ الورى

فـــصلى عـليـــهِ اللهُ ربى مُسَلِّمــــاً
(. . . . .)[1]

رَضَاعُهُ ﷺ

لما برز إلى الوجود ذلك الحبيب المحبوب ، وشـرح الله به الصدور وأنزل حبه فى القلوب ، أرضعته أمه سبعة أيام ، ثم أرضعته بعد ذلك ثُوَيْبَة[2] لا على الدوام ، بل أتت حليمـة السعدية فـتولت رَضَاعَه[3] ، فكان لها خـير

(١) هذه الأبيات غير موجودة فى المخطوطة ب ، وما بين ( ) مطموس بالأصل .

(٢) مولاة أبى لهب ، اختلف فى إسلامها ، قال أبو نعيم : لا أعلم أحداً أثبت إسلامها غير ابن منده وكانت أرضعت قـبله حمزة رضى الله عنه ، وأرضعت بعده أبا سلمـة ابن عبد الأسد «الإصابة ٨/ ٣٦» .

(٣) هى حليـمة بنت أبى ذؤيـب السعـدية ، أرضعت النبـى ﷺ وردته إلى أمه بعـد سنتين وشهرين ، وقيل : بعد خمس سنين (قاله ابن قـتيبة) ، هاجرت وماتت بالمدينة « الإصابة ٨/ ٥٢ » .

تجارة وصناعة ، قالت : لما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من اللبن ، فشرب حتى روى محفوظاً بالعناية محفوفاً بالمنن ، وشرب أخوه عبد الله - تعنى ابنها - ثم نام ، وما كان فى ثديها ما يغذيه قبل أن ترضع خير الأنام ، ودرَّت شياهها باللبن بعد أن كانت لا تروى ناهلاً ، وأسرعت أتانها[1] فى السير بعد الضير وكانت ثاقلا .

وأسلمت حليمة على المشهور وعُدَّت من الصحابيات ، وحفتها العناية معجزة لسيد السادات وخير البريات.

فازتْ حليمةُ من رَضَاعِ محمدِ
خيرِ الورى طُرّاً بأعظمِ مَقْصِدِ
نالت[2] من البركاتِ حينَ مضتْ بهِ
والسَّعدُ قارنها بطلعةِ أحمدِ
قدْ درَّ منها الشدىُ حينَ رَضَاعهِ
أمِنتْ به من كلِ جَهْدٍ مُجْهِدِ
وأتانها للرَّكبِ قد سبقتْ بها
فرحاً وتيهاً بالرسولِ الأمجدِ
أغنامُها صارتْ شِباعاً كلما
سَرَحتْ تجودُ لها بِدَرٍّ مُزْبِدِ
ورأت من الخيراتِ وهى تَحفُّها
والناسُ فى مَحْلٍ وعيشٍ أنكَدِ

(١) أتانها : الأتان : الأنثى من الحُمُر .
(٢) فى الأصل : ورأت .

نـــالـــتْ بـــهِ كُلَّ المَسَرَّةِ والـــهـــنـــا

فـــهـــو الذى قـــد ســـادَ كلَّ مُسَوَّدِ

ذكر شق صدره الشريف ﷺ [1]

لما بلغ سِنُّه ﷺ ثلاث سنين وقيل أربعـاً ، حسب ما قيل عـمن فى روايته سعـى ، شق صدره الشـريف وهو فى دار بنى سعـد عند حليـمة ، وحُفَّ بالمكارم وملئ بالأخلاق العظيمة .

ثم لما بلغ من العمـر عشرة أعـوام ، ومنحه الله الهداية والبـر والإنعام ، شُقَّ صدره الشريف مرة ثانية ، وغُسل ومُلئ إيماناً وحكمة زاكية .

ثم لما بعثه الله رحمة للعالمين ، شق صدره وملئ من الحكمة واليقين .

وشُقَّ رابعـاً فى ليلة الإسـراء والمعراج كـمـا سُطِّر ، وحُصِر عند طوائف العلماء وحُرِّر .

وكـان عند شق صدره الشـريف يزداد شـرفاً ، ويـعطى من الرشاد عـزة وتحفاً .

وشُقَّ صـــــدرُ المصـطفـى وهو فـى

دار بـنى ســـعـــدٍ بـلا مِرْيَةِ

---

(١) انظر شق صدره ﷺ فى سبل الهدى والرشاد (١/ ٤٧٣) ، وسيرة ابن هشام (١/ ١٦٤)، والروض الأنف (٢/ ١٦٨، ١٧٨) ، وتاريـخ الإسـلام (٢/ ٢٠ ، ٢١)، وأفـرده الحـافظ الشامى بالتأليف فى كتابه « رفع القدر ومجمع الفتوة فى شرح الصدر وخاتم النبوة » وهو مخطوط .

كَشــــقِّهِ وهو ابن عــــشــــرٍ وفى

مِعْراجِهِ وقـــــبـــلُ فـى الـبِعْثَةِ

وفاة أمه آمنة وكفالة جده عبد المطلب له

لما بلغ عمره ﷺ ست سنين ، وقُرَّت به أعـين أهله الفائزين ، خرجت به أمه إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى النجار ، ومعهما أم أيمن حاضنة الرسول المختار ، فأقاموا شهراً ثم خرجوا راجعين إلى الحرم ، فلما كانوا بالأبواء [1] ماتت أم سيـد الأمم ، فدخلت به أم أيمن إلى مكة وضمه جـده إليه ، وكان يُعلى منزلته ويـرق عليه ، ويقول : إن لولدى هذا شـأناً ، وقد كان مـا قال وفوق مـا تمنى ، ولم يزل يكفله إلى أن بلغ ثمان سنـين وقيل تسعـاً، وقيل عشراً وقيـل غير ذلك كما أثبتـه من له ادَّعى ، ومات جده عند ذلك وذهب إلى مولاه ، بعد أن أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله .

أُصُولُ المصطـفى أصــحـابُ مـــجـــدٍ

لهــم شــــرفٌ يُخَصُّ لدى الـثِّقـــاتِ

فـــمــــا منـهم فــتـىً إلا ويُرْجى

لِفَكِ شـــــــدائـدٍ أو مُعْضِلاتِ

طويلَ الـبــاعِ شـيـبــةَ ذا المعـــالى

كـــريمَ الخـــيم [2] مـحـمـود الهِبـاتِ

---

(١) الأبواء : قرية من أعمال الفُرْع من المدينة بينها وبين الجُحْفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً «مراصد الاطلاع ١/ ٩٥» .

(٢) الخِيم : الأصل .

وصـــــــــولاً لـلقَرابـةِ هِبْرزيـاً (١)

وغـــيـــثـــاً فى الــسنين المُمْحِلاتِ (٢)

عــــقـــــيلَ بـنى كِنـانةَ والمـرجَى

إذا مـــا الدهرُ أقــبلَ بالــهــبــاتِ

ضمُّ أبى طالب للنبى ﷺ سنة ثمان من الفيل

فلما توفى عبد المطلب ضمه عمه أبو طالب ، فظفر منه بأفخر الكنوز وأسنى المطالب ، وكان يحبه حباً شديداً ، ويلقى عليه من الكرامة ظلاً مديداً، ويجمع به شمله ، ويعرف بركته وفضله ، ويقدمه على أولاده ، وينشرح بمضيه إليه وترداده .

وخرج به إلى الشام فى أشياخ من قريش ، فذهب عنهم بصحبته النَّصَبُ وطاب لهم العيشُ ، ومرُّوا فى سيرهم بالراهب المسمى بُحَيْرا(٣) ، فنزل إليهم مفارقاً لعادته وصنع لهم طعاماً كثيراً ، وأخذ بيد سيد الراحلين والقادمين ، وقال: هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ، وأخبرهم برفعة نجومه ، وسجود الحجر والشجر عند قدومه ، وأن الغمامة أظلته دون من قبله من القوم وبعده ، وما رآه من صفته التى كان يجدها مكتوبة عنده .

وكان ﷺ إذ ذاك ابن اثنتى عشرة سنة ، وشبَّ مع أبى طالب يكلأهُ ويحفظه من لا يأخذه نوم ولا سنة ، لما يريد من كرامته ، ويختار من نبوته وإمامته ، حتى كان أفضل قومه مروءة وجواراً ، وأحسنهم خلقاً وأرفعهم

---

(١) الهِبْرِزيُّ : الحاذق فى أموره .   (٢) المُمْحِلات : الجَدْبة .

(٣) بُحيرى :ويقال : بُحيراء : وهو سَرْجِسُ بن عبد القيس «إمتاع الأسماع ١/ ٨» .

مناراً، وأجزلهم عفة وصيانة ، وأعظمهم حلماً وأمانة، لا يمارى ولا يداجى ولا يُمين ، حتى سُمى لما جُمع فيه من الأمور الصالحة بالأمين .

نبىٌّ بُحَيْرا هامَ فى دُرِّ بحرهِ
وفى الوصفِ من آياتهِ حارتِ الفِكَرْ
نبيٌ أظلتهُ الغمامةُ إذ مشى
وعن أمرِهِ جاءتْ إلى نحوهِ الشَّجرْ
وخاطبَهُ ظبىُ الفلاةِ وضَبُّها
ووافى إلى الظامى بدعوتهِ المَطَرْ
عليهِ سلامُ اللهِ ما هبَّتِ الصَّبَا
وما غرَدَّ القُمْرى (١) واتَّسَقَ القمرْ

أعمام النبى ﷺ وعمّاته

(أعمام النبى ﷺ)

أبو الفضل **العباس** ، المخصوص بأنواع من الشرف وأجناس ، والد الخلفاء الكرام ، الطائف العاكف بالبيت بيت الله الحرام .

وحمزة أسد الله ورسوله ، والناصب للمشركين شَرَكَ رماحه ونصُوله ، عاش سعيداً ، ومات يوم أحد شهيداً .

والحارث أكبر ولده ، وأول معدود من أسلحته وعدده ، حضر حفر

---

(١) القُمْرِيُّ : ضربٌ من حمام مطوّق حسن الصوت .

زمزم، وكان به يتمسك وله يلزم .

وأبو طالب عبد مناف ، مَعْدِن الجود ومعقل الأضياف ، والد أمير المؤمنين على ، وناصر المفضَّل على كل نبى وكل ولى .

وأبو طاهر **الزبير** ، الموصوف بدفع الضيم والضير .

وحَجْلٌ المسمى بالمغيرة ، صاحب المغانم الجزيلة والمكارم الغزيرة

وأبو هند المقوم ، الذى ما نام عن حفظ الذمام ولا هوَّم (١) .

وأبو نافع ضِرَار ، القائل إذا حَمِىَ الوطيس(٢) لا فرار .

ومُصْعَبٌ المسمى بالغَيْدَاق ، والشهير بكثرة الخير وحُسْن الأخلاق .

وعبد الكعبة ، كاشف غمام الغُمُوم الصعبة .

وقُثَمٌ هَلَكَ صغيراً ، وترك عيش أبيه بعد حُلوِهِ مرِيَرا .

وأبو لهبٍ عبد العُزَّى ، الذى كانت حَمِيَّةُ الجاهلية تَؤُزُّه (٣) أزًّا .

(عمَّات النبى ﷺ)

صفية الوفية، المؤمنة المهاجرة الزكية .

والبيضاء أم حكيم ، توءَمَة والد النبى الكريم .

وعاتكة مالكة الصون والقدر ، وصاحبة الرؤيا الصادقة فى وقعة بدر.

---

(١) هوَّم : أى هزَّ رأسه من النعاس .

(٢) الوَطِيس : أى التنُّور ، شبه قيام الحرب والتحامه بإيقاد نار الفرن .

(٣) تؤُزُّه : أى تغريه على المعاصى .

وأميمة أم زينب الطاهرة ، زوجة المبعوث بالآيات الباهرة .

وأروى أم طُلَيْب ، التى لا نقص فى مَحْتِدِهَا[1] ولا عيب .

وبَرَّة أم أبى سلمة ، التى رفع المجد لكلٍ من ولدها علمه .

فلقد أحسن **مطرود بن كعب الخُزَاعى**[2] حيث يقول من أبيات :

يـا أيُّهـــــا الـرَّجـلُ المُحوِّلُ رَحْلَهُ
هلاَّ ســـألتَ عن إلِّ عـــبـدِ مـنافِ

المُنْعِمِينَ إذا الـنُّجـــــــومُ تَغَيَّرَتْ
والظَّاعِنينَ[3] لِرِحْلَةِ الإيْلافِ

والمُطْعِمِـــينَ إذا الـرِّيـــاحُ تَنَاوَحَتْ[4]
حـــتَّىَ تَغِيبَ الـشَّمْسُ فى الرَّجَّافِ[5]

---

(١) محتدها : أى أصلها .

(٢) مطْرُود بن كعب الخُزَاعىّ ، شاعر جاهلى فحل ، لجـأ إلى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف لجناية كانت منه، فحماه وأحسن إليه ، فأكثر مدحه ومدح أهله «الأعلام ٧/ ٢٥١».

(٣) الظاعنين : الراحلين .

(٤) تناوحت : أى تقابلت .

(٥) الرَّجَّاف : من أسماء البحر ، سمى بذلك لأنه يرجف .

حرب الفِجَار
فى شوال سنة عشَرين من الفيل

حضر النبى ﷺ صُحبة أعمامه حرب الفِجَار[١] ، متدرعاً لأمة الشرف مُتقلداً سيف الفخار ، فَجعل ينبُلُ[٢] عليهم ، ويردُّ ما يقع من سهام عدوهم إليهم[٣] ، وكان الذى أوقد النار وهيَّج الضِّرام ، قتلُ البَرَّاضِ بن قيس عُرْوَةَ الرَّحَّال فى الشهر الحرام ، فثارت أعصار[٤] الفتنة، وطارت غِرْبان المحنة ، وتأهب قريشٌ وقيسٌ عاماً لهذه الحرب ، ثم التقى الفريقان لا يُفْرَقون من الطعن والضرب ، فقُتِل منهم خلقٌ كثير ، وكانت الكرَّة على قيسٍ فى الأخير ، ثم سكنوا وللسلم جنحوا ، واتفقوا على دية القتلى واصطلحوا .

وفى قتل عُرْوَةَ يقول لَبيدُ بن رَبيعة من أبيات :

وبــــلِّغْ إن عَرَضْتَ[٥] بنــى نُمَيــرٍ

وأخْوَالَ القـــتـــيـلِ بنــى هلالِ

---

(١) الفِجَار : بمعنى المفاجرة وذلك أنه كان قتالهم فى الشهر الحرام ففجروا فيه جميعاً فسمى الفِجَار . وقيل : لأنهم استحلوا الحرم ففجروا . وكانت بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس بن عيْلان .

(٢) يَنْبُلُ : أى يناولهم النبال وقد أعدّها وجهّزها للرّمْى .

(٣) إنما لم يقاتل رسول الله ﷺ مع أعمامه ، وكان ينبل عليهم لأنها كانت حرب فجار ، وكانوا أيضاً كلهم كفار ، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هى العليا.

(٤) أعصار : هى الريح التى تثير الغبار .

(٥) عَرَضْتَ : عرض إلى العروض وهى مكة وما حولها .

بـأن الوافـــــد الـرَّحَّال أمـــــسى
مـقـيـمـاً عند ثَيْمَنَ(١) ذى طِلالِ

حلف الفُضُول
فى ذى القعدة من السنة المذكورة

ثم حضر ﷺ حلف الفُضُول ، وهـو أمرٌ وجهه فى الظاهر مقـبول ، دعا إليـه الزبيـر بن عبـد المُطَّلب ، ونَقِمَ (٢) على من يتـخلف عنه من قـريشٍ ويحتجب .

فاجـتمعـوا فى دار عبـد الله بن جُدْعَان(٣) ، وأكلوا عنده مـأدبة خـيـر مِطْعَامٍ(٤) ومِطْعان .

ثم تحالفوا وتعاقـدوا ، وبالله الخالق تعاهدوا ، على أن يكونوا مع المظلوم حتى يؤدَّى حقُّه إليه ، فسـمَّته قريشٌ حِلف الفُضُول وهو مسميٍّ وقع الاسم عليه(٥) .

قل لـقـــــريشٍ إن وردت حـــيَّهُمْ
يا أمَّةً ســــادوا بخـــيـــــر الرُّسْلِ

---

(١) ثَيْمَن : هو موضع مقتل عروة ، وهو من مخاليف اليمن « مراصد الاطلاع ١/ ٢٨٧ » .
(٢) نقم : أى عاب .
(٣) هو عبد الله بن جُدْعان التيمى القرشى ، أحد الأجواد المشهورين فى الجاهلية .
(٤) مطْعَام : المطْعام : الكثير الضيف والقرى .
(٥) حَلف الفُضُول : سمى بذلك لأنهم أخرجوا فضـول أموالهم للأضياف، أو لأنهم تحالفوا أن يردوا الفـضول على أهلهـا ولا يُعزّ ظالم عـلى مظلوم ، وهناك أقوال أخـرى فى هذه التسمية «الوفا / ١٥٦ ، المنتظم ٢/ ٣٠٨ ، الطبقات الكبرى ١/ ١٢٨ » .

حلف الـفُضُولِ منكم قـد اغـتـدى

بـسـيِّد الكـونـين حِلفَ الـفَضْلِ

خروج النبى ﷺ إلى الشام سنة خمسة وعشرين من الفيل

فلما بلغ عليه السلام عشرين وخمسة أعوام ، ودارت الأقوالُ فيه بين الأقوام ، قَصَدَ الشام بإشارة عمِّه أبى طالب، ورحل فى تجارة لخديجة الطاهرة من المثالب[1] ، وخرج معه غلامها مَيْسَرَة[2]، وسافر وأوجه الحظ لِتَلَقيه مُسفِره[3]، حتى قدِم إلى بُصرى[4] ، محفوظاً بعين العناية فى الإقامة والمسرى ، فنزل فى ظل شجرة هناك ، لا ينزل تحتها إلا من نبأه سامكُ السِّمَاك، أخبر بذلك الراهب نسْطُور، حسب ما هو عنده فى الكتاب مَسْطُور.

وكان مَيْسَرَةُ يُسرُّ بما يرى من بركته الوافرة، ويشاهِدُ ملكين يُظِلانه من الحر وقت الهاجرة ، ثم باع التجارة فائزاً بالربح الزائد ، وعاد ولسان الحال يقول مرحباً بالصلة والعائد .

أما الشآم[5] فإن غـيثَ المُزْنِ[6] من

بركـاته عن أرضـه لا يَرْحَلُ

(١) المثالب : أى العيوب . (٢) مَيْسَرَة : ذكره ابن حجر فى الإصابة وقال : لم أقف على رواية صحيحة بأنه بقى إلى البعثة فكتبته على الاحتمال . «الإصابة ٦/ ٢٤٠» .

(٣) مسفرة : ظاهرة . (٤) بُصْرى : هى قصبة حَوْرَان « مراصد الاطلاع ١/ ٢٠١ » .

(٥) الشآم بمد الهمزة لغة فى الشام أُتى بها لأجل وزن بيت الشعر .

(٦) المُزْن : السحاب يحمل الماء .

والخيـرُ مُنْثَالٌ[١] عليـــه، وكــيف لا
وإليــــه قـــد وافى الـنَّبىُّ المُرْسَلُ

بناء الكعبة سنة خمسة وثلاثين من الفيل

كان السَّيل يدخل البيت فانْصدع ، فخـافوا عليه أن يتهدَّم ويقع ، وأقبلت فى البحر سـفينة نفرٍ من الروم، وكان رأسـهم بنَّاء يقال له باقوم ، فدفعـتها الريح إلى الشُّعيـبةِ[٢] فـتكسـرت ، فـعلمت قـريشٌ إذ ذاك أن أمـور البناء تيسرت، فـابتاعوا من خشـبها ما ارتفع ونفع ، وكلمـوا الرُّومىَّ فى رجوعه معـهم للبناء فـرجع ، فجمـعوا الآلات بالجِرْمِ المُطَهَّر لذوى الـزيارة ، وكان النبى ﷺ ينقل معهم الحجـارة ، فلما فرغوا أجمعوا على هدمـها فهدموا ، وحكموا فى هذه القضية بما أُلهِموا لا بما علموا .

ثم أخذوا فى العمل مُبادرين إليه، وميَّزوا[٣] البيت واقترعوا عليه ، فوقع لكل قبيلة جدارٌ من أربعة ، واجتهـدوا فى بناء بيتٍ ما أشرفهُ وأرفعه ، فلما انتهوا إلى حيث يوضع الحَجَر ، طلبت كلُّ قبيلةٍ الفوز بوضعه والظَّفَر .

ووقع بينهم الخلاف، ثم رضوا بحكم صاحب العـدل والإنصاف، فحضر ﷺ ، وحكم بينهم بما جنح كل منهم إليه وسَلَّم ، حملوه بأطراف رداءٍ ألقاه

---

(١) مُنْثالٌ : أى مُنْصب .

(٢) الشُعيبـة : هو مرفأ السفن من ساحل بحـر الحجاز، وكان مرفأ مكة ومُرسى سـفنها قبل جُدة .

(٣) ميَّزوا البيت : أى جعلوا له علامات .

عليه ، ثم رفعه منه ووضعه فى مكانه بيديه ، وشَيَّدُوه ورَصَفُوه[1] ، وأقاموا عُمُدَه وبالخَشب سَقَفوه ، وجعلوا الحَجَر من وراء الجِدَار ، وأبقوه رفيع الذكر جليل القَدْر عَلِىَّ المَنَار .

وفى ذلك يقول الزُّبير بن عبد المُطَّلب[2] من أبيات :

فـقُمنا حَاشِدِين إلى بناءٍ
لنا منه القواعدُ والتُّرابُ

أعَزَّ به المليكُ بنى لُؤىٍّ
فليس لأصله منهم ذَهَابُ

وقد حَشَدَتْ[3] هناك بنو عَدِىٍّ
ومُرَّةُ قد تَقَدَّمَها كِلابُ

فبوأنا المليكُ بذاك عزاً
وعند الله يُلْتَمَسُ الثَّوابُ

الإنذار برسول الله ﷺ

انذر به عليه الصلاة والسلام جماعة من الكهان، وبشَّرتْ بظهوره الأحبار والرهبان ، واعترف بنبوته العارفون من أهل التوراة والإنجيل ، وقامت الأدلة على رسالته والنهار غير محتاج إلى دليل .

---

(١) رصَّفوه : يقال : رصف الحجارة فى البناء : ضمَّ بعضها إلى بعض .
(٢) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، أكبر أعمام النبى ﷺ ، أدركه النبى ﷺ فى طفولته.
(٣) حَشَدَتْ : أى جَمَعَتْ .

فمن قول الحارث الرائش[1] :

ويـأتى بـعــــــــدهم رجـلٌ عـظيـمٌ

نَبـىٌ لا يُرَخِّصُ فـى الحـــــــــــرامِ

يســـــــمى أحــــمـــــــداً ياليـت إنى

أُعَمَّرُ بعـــــد مَبْعَثـــــهِ بعـــــامِ

ومن قول تُبَّعٍ[2] :

شَهِدتُ عـلى أحـــــمـــــــدِ أنـه

نَبـىٌ مـــنَ الـــلـــه بــارى الـــنَّسَمْ

فـلو مُدَّ عُمـــــرى إلـى عُمـــــرِهِ

لــكـــنـــتُ وزيــــراً لــــه وابــنَ عَمْ

وجـــــاهدت بالــســـيف أعـــــداءَهُ

وفَرَّجـتُ عـن صــــــــدْرِهِ كـلَّ غَمْ

ومن قول خَطَرِ بن مالك الكاهن :

أقــســمــتُ بالكعـــبــة والأركــانِ

والـــبـــلـــدِ المــؤتَمَنِ الــسُدَّانِ[3]

قـــــــــد مُنِعَ السَّمْعَ عُتَاةُ الجَّـــانِ

بـثـــــاقبٍ مـن كـفٍّ ذى سُلطـانِ

---

(١) الحارث الرائش : هو من ملوك اليمن .

(٢) تُبَّع : لقب يعنى فى لغة اليـمن : الملك المتبوع . والمراد هنا حسان بن أسـعد أبى كرب الحميرى .

(٣) السُّدَّان : أى الخدام .

من أجل مـــبـعــوثٍ عظـيمِ الشَّأنِ

يُبْعَثُ بـالـتـنزيـل والـقـــــــرآنِ

ومن قوله :

أرى لقـــومـى مـــا أرى لنـفـــسى

أن يتــبـعــوا خـيـــر نَبىٍّ الإنـــسِ

برهانـهُ مــثلَ شـــعـــاع الشـــمسِ

يُبْعَثُ مــــن مـــكَّة دار الحُمْسِ[١]

بمحــكم الـتَّنزيلِ غـــيـــــر اللّبْسِ

ومن قول سَطَيْحِ[٢] الكاهنِ لعبد المسيح :

رسولِ كسرى عبـد المسيح ، على جملٍ مُشيح[٣] ، جـاء إلى سُطَيح ، حين أوفى[٤] على الضَّريح ، بَعَثـك مَلِكُ سـاسـان ، لارتجَاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا المُوبِذَان[٥] ، إذا كثُرت التلاوة[٦] ، وظهر صاحبُ الهِراوة[٧]، وغارت بحيرة ساوة[٨] ، وفاض ماء السَّمَاوة[٩] ، فليست الشام لسَطَيح شاماً .

---

(١) الحُمْس : من الحماسة وهى الشجاعة .

(٢) سَطَيح : هو ربيع بن ربيـعة بن مـسعـود بن عـدىّ بن الذئب ، سمى بذلك لأنه كـان كالبـضعة الملقـاة على الأرض فكأنه سُطِحَ عليهـا، كان العرب يحـتكمون إليـه ويرضون بقضائه ، وهو من أهل الجابيـة من مشارف الشام . مات فيهـا بعد مولد النبى ﷺ بقليل «الأعلام ٣/ ١٤» ، « الروض الأنف ١/ ٢٤» .

(٣) مُشيح : شاح إذا جدَّ فى الأمر .

(٤) أوفى : أشرف .

(٥) المُوبِذَان : أى القاضى .

(٦) هي تلاوة القرآن .

(٧) الهِراَوة : العصا الضخمة .

(٨) ساوة : مدينة بين الرَّيّ وهَمَدان .

(٩) السَّماوة : بادية لبنى كعب عند الكوفة ، سميت بذلك لسموها أى علوها .

ومن قول سَوَادِ بن قَارِب[1] الكاهن :

عــــجــــبتُ لــلجِّن وتطــلابهـــــا

وَشَدِّها الــعــــيس[2] بأقــتــابهــا[3]

تَهْوِى إلــى مكَّة تــبــــــغى الــهُدى

مـــــا صــــــادقُ الجــنِّ ككَذَّابِهَا

فــــــارحل إلــى الصَّفْوة مــن هاشــمٍ

لــيس قُدَامَاهَا كــــــأذنــابـهــــــا

ومن قول وَرَقَةَ بن نَوْفَلَ الحَبْرِ :

وظنى بــه أن ســــوفَ يُبْعَثُ صــــادقــاً

كــمـــا أُرسلَ العــبــدان هــودٌ وصــالحُ

ومـــــوسى وإبــراهيمُ حـــــتــى يُرى لهُ

بهــــاءٌ ومــنشـــورٌ من الــذكـــر واضحُ

ومما سمع من جَوْف صنمٍ يقال له ضِمَارٌ :

قل للــقـــبــائــل من قـــريشٍ كُلِّهـــا:

أوْدى[4] ضِمــارُ وفاز أهلُ المــسجــدِ[5]

---

(١) هو سواد بن قــارب الدوسى أو السدوسى ، كان يتكهن فى الجــاهلية ، له صحبــة «أسد الغابة ٣/ ٢١٩»

(٢) العيس : الإبل الكرام، جمع أعْيَسُ : وهو من الإبل ما يخالط بياضه شُقرة .

(٣) أقتابها : جمع قَتَبْ : وهو الرَّحْلُ الصغير على قدر سنام البعير .

(٤) أودى : أهْلَك .　　　(٥) يعنى مسجد مكة أو مسجد النبى ﷺ .

إن الـــذى وَرِثَ الـــنُّبُوةَ والـــهُـــدى

بعـــد ابنِ مَرْيَمَ مــن قـــريشٍ مُهْتَدِى

أودى ضِمَارُ وكــــــــان يُعْبَدُ مَرَّةً

قَبْلَ الـكتـــــاب إلـى النَّبـى مُحَمَّدِ

مبعث النبى ﷺ
سنة أربعين من الفيل

بعثه الله لأربعين سنة من عُمْرِه ، وزيَّن آفاق النبوة بـضوء قمره ، وأتحفه بالكرامة ، وألقى عليه مقاليد الزعامة.

وبُدئ من الوحى بالرؤيا الـصادقـة ، وغَدَتْ نفـسـهُ إلى الخَلْوَة فى حِراءٍ وامقة[1] ، فكان يُقـيم فى غاره الليـالىَ ذات العدد ، ولم يزل حـتى فـجأه الحَقُّ من الفرد الصمد.

ثم ظهـر له جبـريلُ وبَشَّره بالرِّسالة ، وأفـاض عليه من قِبَلِ الله مـلابس الجلالة ، وتلطَّف به ليفرِقَ بينه وبين الفَرَق[2] ، وأخرج له كتاباً فى نَمَطٍ[3] وقال له: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ** ﴾[4] ، ثم ضـرب برجله الأرض فتـفجَّرت بالعين ، فـعلَّمه الوضـوء وأمره أن يصلـى ركعتين ، ثـم انصرف ومضى، وتركه مُقيماً فى رَوْض الرِّضى، وذلك يوم الإثنين لسبعَ عَشَرَةَ خلت من رمضان، وملك الفُرْس يومئذٍ أبْرَويزُ بن هُرمُزِ بن كِسْرى أنو شْروان .

(١) وامقة : مُحبّة .
(٢) الفَرَق : الخوف والفزع .
(٣) نَمَط : ضربٌ من البُسُط والفُرُش .
(٤) سورة العلق : ١ .

ولما بُدئ بالنُّبوة ونزل جبريل إليه ، كان لا يمر بحجرٍ ولا شجرٍ إلا سلَّم عليه[1] .

وأقام يدعو إلى الله سراً ثلاث سنين ، إلى أن أُنزل عليه: ﴿**وأنْذرْ عَشيرَتَك الأقْرَبين**﴾[2] ، فأظهر الدَّعوة وثبَّت أركان الهِمَّة ، وبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .

بُعِثَ المُقَفَّى[3] من قريشٍ رحمةً
للعالمين وملجأ للنَّاسِ
وافاهُ جبريلُ وأقبل نحوهُ
ببشارةِ الإكْرامِ والإينَاسِ
وعليه أسبل خِلعةً نبويةً
يمحو سَنَاهَا ظُلمة الأغْلاسِ[4]
أكرم به من مُرْسَلٍ، آياتهُ
مشهودةٌ يوم النَّدى والباسِ

ذكر الثمانية السابقين إلى الإيمان

أولُ ذكرٍ آمن بالله ورسوله عليٌّ بن أبى طالب[5]، وهذه مَنْقَبَةٌ لا نظير لوجهها النَّضيرِ فى المناقب، أسلم وهو ابن عَشْرِ سنين ، واتَّبعَ من لم يزل به

(١) الحديث أخرجه : مسلم فى صحيحه ، والترمذى (٥/ ٥٩٣)، والدارمى (١/ ١٢)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٨٩، ٩٥)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ١٥٣)، وأبو نعيم فى الدلائل (١٤٢)، وابن أبى شيبة فى المصنف (١١/ ٤٦٤) .

(٢) الشعراء : ٢١٤ .

(٣) المُقَفَّى : المتبع آثار من قبله من الأنبياء . وقيل : الذى ليس بعده نبى .

(٤) الأغْلاس : ظُلمة آخر اليل إذا اختلطت بضوء الصباح .

(٥) قال ابن عبد البر فى الاستيعاب «١/ ٣٢٩» : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق.

أيَّ ضنين[1] .

وكان يطَّلِع على أسراره فيكتمهـا ويُخفيها، ويلازِمُه حتى فى شِعَاب مكة لإقامة الصلاة فيها .

ثم أسلم زيدُ بن حارثة ، وآمن بصاحب الأركان الثابتة والقواعد الماكثة ، واختاره على أبيه وأقام فى خدمته ، وهو الذى لا يُنْكَرُ علوٌّ منزلته ولا فضلُ قِدْمَتِه .

ثم أسلم أبو بكرٍ الصـديق ، الذى لا يعرف معـروفه إلا أهل التَّحـقيق ، كان رجلاً حسن الأخلاق ، سهل الإرفاد[2] والإرفاق[3] ، يميل قومه إليه، ويلوذون به ويعْكُفُون عليـه ، فلمـا أسلم أظهـر دينه ودعـا إلى الإسـلام ، فأجـاب دعاهُ عثمـان بن عفَّان والزُّبير بن العـوَّام ، وعبد الرحـمن بن عوف وسـعـدُ بن أبى وقَّاص ، وطلحـة بن عُبَيْدِ الله المـشهـورُ كـلٌّ منهم بالولاء والإخلاص .

فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فتلفَّظوا بالإسلام بين يديه ، وصدَّقوا بما أتى به وصلُّوا معه صلوات الله وسلامهُ عليه .

يا لهم ثمانيـة غمرهم الله تعالـى بسحائب الإحسـان ، ونوَّه بذكرهم فى قوله : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾[4] .

السَّابـقــون الأولـون فــتــيــةٌ
عِدَّتُهُمْ كـمـا أتى ثمـانيـه

---

(1) ضنين : أي كفيل .
(2) الإرفاد : أى العطاء والصلة .
(3) الإرفاق : يعنى لين الجانب وحَسن الصنيع .
(4) سورة الحشر : ١١ .

منزلُهُم فى جنَّةٍ عـــــاليـــــة
قطـوفـــهـــا تَهْوِى إليـــهم دانيـــه

إظْهارُ الدَّعوة
سنة أربع من النبوة

أقام النبى ﷺ بمكة مستخفـياً ثلاثة أعوام ، ثم أعلن فى الرابعة داعياً إلى الإسلام ، يـعتـرض القبـائل الواردين إلى الحجـاز ، ويوافى المواسم بعُكاظٍ ومَجَنَّة وذى المَجاز[1] ، يُبَلِّغُ الناس رسـالات ربه ، ويَحُثُّهُم على اسـتمـاع قـوله ونُصْرة حِزْبِه ، ويدعوهم إلى الإيمـان ، ويعِدُهُم بالفوز والرِّضـوان ، ويطلبُ أن يصـدقوه ويتـبعوه ، ويُعَضِّدُوه حـتى يبين عن الله ويمنعـوه ، فلا يجد ناصراً ولا مُعيناً ، ولا يرى إلا بخيلاً بما يطلبه منه ضنيناً .

وكانت قريشٌ تأمر الناس بعدم طاعـته ، وتحذِّرهم من الإصغاء إليه وإلى جماعته .

أقام فيهم على التبليغ والإنذار عشر سنين ، مستعيناً بمن أنزل سكينته عليه وعلى المؤمنين .

أقـــام رســـول الله يُنْذِرُ قـــومـــهُ
سنينَ ويـدعـوهــم إلى الفـــوز والظَّفَرْ
فلــم يســـتـــجب لله إلا صُبَابَةٌ[2]
وفى البـــغى والطغـيـــان زاد الذى كَفَرْ

(١) عُكَاظ ومَجَنَّة وذو المَجَاز : أسواق كانت فى الجاهلية .   (٢) صُبَابَة : طائفة قليلة .

فـلمـــــا أراد الله إظـهــــار دينـهِ
علـى رَغْمِ أنفَ المشـــــركـين به ظَهَرْ

أمرُ قريشٍ مع أبى طالب

لما خـاطب النبى ﷺ قـومـه بـالإسـلام، وصَدَعَ بما أُمِرَ به من قِبَلِ الملك العلاَّم، لم يـردُّوا عليه ، ولم يَبْعُدُوا مما جنح إليـه ، فلما عاب أصـنامهم، وسفَّه آراءهم وأحلامهم ، عَادَوْهُ وأجمعوا خلافَه، وناكروه وأضمروا إتلافه، فَذَبَّ عنه عَمُّهُ أبو طالب، ومنعه من شرِّ المُسْتَخْفى منهم والسَّارب[1].

فمـشى إليه جمـاعةٌ من أشرافـهم ، وذكَّروه بما أصابهم من سب آلهـتهم وتضليل أسـلافهم ، وكلَّمـوه فى كفِّ ابن أخـيه عنهم ، فـردَّهـم بالتى هى أحسن خِيفَةً منهم .

ثم إنهم تضاعفـوا بعد ذلك، وأوقعهم الشِّرْكُ فى شَرَكِ المهالك ، فـمشوا إليـه مرة أخـرى ، وقالوا : لا نـستطيع على هـذا صبـرا ، وأغلظوا له فى المَقَال، وخيَّروه بين الرجوع عن ابن أخيه والنِّزَال ، فأظهر لهم نَجْدَةً وجلدا، وقال: والله لا أُسَلِّمُهُ لشىء أبداً .

فحمي وطيـس الضراوة ، وحَقَبَ الأمر واشتدت العـداوة ، ووثبوا على ضعفاء المسلمين يؤذونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ويُعذِّبونهم .

فقام أبو طالبٍ فى بنى هاشم ، ودعاهم إلى نصر المظلوم وكسر الظَّالم ، فأجابوه يسيرون إلى مـا دعاهم إليه سيرا ﴿ **وَرَدَّ اللهُ الَّذيـنَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً** ﴾[2] .

---

(١) السارب : الذاهب على وجهه . (٢) سورة الأحزاب : ٢٥ .

وفى ذلك يقول أبو طالب من أبيات :

إذا اجتــمعت يومــاً قــريشٌ لِمَفْخَرِ
فــعــبــدُ مَنَافٍ سِرُّها وصَمِيــمُهــا

وإن حَصَّلَتْ أنســابَ عــبدِ مَنَافِهــا
فــفــى هاشمٍ أشْرافُهــا وقــديمُهــا

وإن فَخَرتْ يومــــاً فــــإنَّ مُحَمَّداً
هو المـصطفى مـن سِرِّها وكـــريمُهــا

تداعتْ قــريشٌ غَثُّهــا وســمــينُهــا
علـينا فـلم تَظْفَرْ وطاشـت حُلُومُهــا

وفيه يقول من كلمة طويلة :

كَذَبْتُم وبــيــتِ الله يُبْزى[١] مُحَمَّدٌ
ولمَّا نُطــاعِن دُونَه ونُنــاضــلِ[٢]

ونُسْلِمُهُ حــــتــى نُصَرَعَ حــولــهُ
ونَذْهَلَ عــن أبنـائِنا والحـــلائـلِ[٣]

ومــا تركُ قــومٍ لا أبـا لكَ ســيــداً
أخا ثِقَةٍ حـامى الحـقيـقةِ [٤] باسلِ[٥]

---

(١) يُبْزى : يُسلب ويُغْلَب عليه .   (٢) نناضل : نرامى بالسهام .

(٣) الحلائل : الزوجات ، واحدها حليلة .   (٤) الحقيقة : ما يحق على الرجل أن يحميه .

(٥) باسل : من أسماء الأسد ، والمراد : شجاع كريم .

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه

ثِمالُ اليتامى[1] عِصْمةً للأراملِ[2]

لعَمْرِى لقد كُلِّفتُ وَجْداً بأحمد

وإخوته دأبَ المُحِبِّ المواصِلِ

فَمَنْ مِثْلُهُ فى النَّاس أىَّ مُؤَمَّلٍ

إذا قاسه الحُكَّامُ عند التَّفاضُلِ

حكيمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ

يوالى إلهاً ليس عنه بغافلِ

قِصَّةُ حَمْزة بن عبد المُطَّلب

لما بلغَ حمزةَ أن أبا جهلٍ شتم النبى ﷺ ، ونال منه بعض ما يكره وهو ساكتٌ لا يتكلم، وكان شديد الباس ، صعب الخَلْقِ والمَرَاس، أعزَّ فتىً فى قريش ، ليس فى ميزان عقله خفةٌ ولا طيش ، أخذته حمْيَةُ النسب ، وحملته إلى محل الهداية عاصفَ الغضب ، حتى خرج يُهرْولُ كالأسد ، ومضى مُعِداً لأبى جهلٍ لا يلوى على أحد .

فلما دخل المسجد ورآه فى القوم ، وأقبل نحوه لا يأخذه فيه عيبٌ ولا لوم، فرفع قوسه وضربه بها على هامته ، فشجَّه شجَّة مُنْكَرةً كادت تقيم يوم قيامته ، وخاطبه بما لا يشتهيه ، ووبَّخه على ما فعل بابن أخيه ، وقال: إنى

(١) ثِمال اليتامى : أى قائم بمصالحهم وغياثهم وملجأهم .

(٢) عصمة الأرامل : يمنعهم من الضياع والحاجة .

سمعت له وأطعت ، فردَّ ذلك عليَّ إن استطعت .

فقامت إليه من بنى مخزوم رجال ، وارتفعت بينهم صَلْصَلَة القيل والقال، فتركهم وذهب ، وأودع فى قلوبهم اللَّهب ، واستمر ثابتاً على الإسلام ، مُغتبطاً بما منحه الله به من الإكرام ، وهو القائل حين أسلم من أبيات :

حَمِدتُ الله حين هدى فؤادى

إلى الإسلام والدين الحنيفِ

وأحمد مُصطفى فينا مطاعٌ

فلا تَغْشَوهُ بالقول العنيفِ

قصَّة عُمَرَ بن الخطَّاب

كان عمرُ بن الخطَّاب شرس الأخلاق ، شديد العداوة لأفضل البشر على الإطلاق ، فخرج متوشحاً سيفه ومضى قاصداً قتلَهُ، حيث أراد الله رشده كما أرشد من قَبْلَه ، فلَقِيَه نُعَيَمُ بن عبد الله النَّحّام[1] ، وأخبره بدخول أخته فاطمة وزوجها سعيدٍ[2] فى الإسلام ، وأن خَبَّاب بن الأرَتِّ يُقرئهما القرآن، فأسرع فى المضى إليهم ليَلْقاهم بالظُّلم والعُدْوان .

فسمعهم يتلون ورأي معهم صحيفة ، فسترتها أخته عنه حيث أوجست[3]

(١) هو نُعيم بن عبد الله بن أسيد بن عوف المعروف بالنَّحّام ، قيل له ذلك لأن النبى ﷺ قال له : «دخلت الجنة فسمعت نَحْمةً من نعيم » . والنَّحمة : السعلة ، وقيل : النحنحة الممدود آخرها «الإصابة ٦/ ٤٥٨» .

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

(٣) أوجست : أضمرت فى نفسها .

منه خيفة، فضربها وأخذ الصحيفة منها، ثم رَقَّ لها بعد ذلك وسكت عنها.

فلما قرأ ما فيها من سورة «طه» وفهمه ، قال بلسان التوفيق : ما أحسنَ هذا وأكرَمَه ، وسألهم عن موضع النبى المصطفى ، فقالوا: هو فى بيتٍ مع نفرٍ من أصحابه عند الصَّفا .

فقصدهم واستأذنهم فى الدخول، فلما أُذِنَ له سَلَّمَ على القوم وأسْلَمَ على يد الرسول ، وامتنع المسلمون به وبحمزة ، ومُنِحوا بإسلامه عِزَّةً وأى عِزَّة ، وبذل فى قتال المشركين لإظهار الدين كل المجهود ، وبالجملة كان إسلامه فتحاً كما قال عبد الله بن مسعود .

إذا ذُكِرَ القومُ الشهيرُ صلاحُهُمْ
فَحَيهلاً[1] بالزاهد المتَّقى عُمَرْ
إمامٌ له فضلٌ أغاث به الورى
وعدلٌ به أغنى البلاد عن المَطَرْ

قصَّةُ باذانَ ملكُ اليمن

لما بُعِثَ الرسول المختار ، وسار ذكره فى سائر الأقطار، كتب كِسرى إلى باذانَ ملكِ اليمن : بلغنى أن رجلاً من قريشٍ يزعم أنه نبىٌ مؤتمن ، فاجتهد فى المسير إلى مُقَامِه ، وابعث إلىَّ برأسه إن لم يرجع عن كلامه .

فأرسل باذان كتاب كسرى إلى النبى عليه السلام ، فأجابه بأن الله قد

(١) فحيهلا : معناه فعليك بعمر فإنه من أهل هذه الصفة .

وعدنى بقتله وعيَّن له يوم الحِمَام[1] .

فتوقف باذان لينظر ويتبيَّن ، فَقَتَلَ الله كسرى على يد ولده فى ذلك اليوم المعين، وبعث باذان بإسلامه وإسلام أصحابه ، وكفى الله شرَّ الطاغية الباحث عن عذابه بكتابه .

وفى ذلك يقول خالدُ بن حقٍ :

وكسرى إذ تَقَسَّمَهُ بنوه
بأسيافٍ كما اقْتُسِمَ اللِّحامُ

تَمَخَّضَتِ السِّنُونَ له بيومٍ
أتى ، ولكلِّ حاملةٍ تَمَامُ

قصَّةُ الطُّفَيْل بن عَمْرٍو الدَّوْسى

لما قدم الطفيل إلى مكة البلد الحرام ، حذَّرته قريشٌ من الإجتماع بالنبى عليه السلام ، وكان رجلاً جليل المقدار ، لبيباً ماهراً فى نظم الأشعار، فغدا إلى المسجد فوجده قائماً يصلى عند الكعبة ، وسمع منه كلاماً شرح به صدره وسرَّ قلبه ، فمكث حتى انصرف من صلاته ، وتبعه إلى داره لنجاحه ونجاته ، ثم دخل عليه وقال: يا محمد إنَّ قومك خوَّفونى سحرك ، وقد سمعت منك كلاماً حسناً فاعرض علىَّ أمرك .

فعرض عليه دين الإسلام، وتلا من القرآن ما تحيَّر فيه أربابُ الأحلام ،

---

(١) الحِمام : الموت .

فأسلم فرحاً بدنوه من الخير واقترابه ، وسأله أن يكون عوناً له على إسلام أصحابه .

ثم خرج إلى قومه راجياً قربهم من الهدى والصلاح ، فلما قرب منهم وقع برأس سوطه نورٌ يضيء كالمصباح ، فنزل بهم مجتهداً على دخولهم فى الإسلام بدُعائه ، ولم يَزَلْ حتى قَدِمَ إلى خَيْبَر[1] فى سبعين بيتاً من دَوْسٍ تحت لوائه ، واستمرَّ متلفِّعاً[2] بمُرُوطِ[3] الكرامة ، إلى أن قتل -رحمهُ الله- شهيداً باليمامة [4] .

يا أيها الدَّوسىُ أبشر بالرِّضى
نِلت الهدى وَجَهدت فى الإصلاحِ
وأتتك من نحو الرسول كرامةٌ
نورٌ عليك يُضىءُ كالمصباحِ

---

(١) خَيْبَر : على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام (معجم البلدان ٢/ ٤٠٩) .
(٢) تَلَفَّع : التحف .
(٣) المُرُوط : جمع مِرْط : وهو كساء من خز أو صوف أو كتان يؤتزر به أو تتلفع به المرأة .
(٤) اليمامة : مدينة من اليمن وكان اسمها أولاً : «جَوّاً» . واليمامة هى الزرقاء التى يضرب بها المثل فى النظر البعيد ، قلع تُبَّعُ عينيها وصلبها على باب «جَوٍّ» فسُمِّيت بها « مراصد الاطلاع ٣/ ١٤٨٣ » .

قصة رُكانة بن عبدُ يزيد المطلبى[1]

كان رُكـانة أشد قريشـاً بطشاً ، وأرفعـهم فى قوة البدن والنفس عـرشاً ، فـخلا به النبى ﷺ فى بعض الشـعاب ، فـكلمه راجـياً هدايتـه إلى طريق الصواب ، فقال : لو كنت أعلم صدقك لاتبعتك ، قال : أتعلم أن ما أقول حق إن صـرعتك ؟ فـفـهم الخطاب ، وبذل الجـواب ، فلما صَرَعَهُ القـوى الأمين مـرتين ، وكاد فى بطشـه به يُسْلِمُهُ إلى الحَيْن[2] ، قال : يا مـحمد والله إنى لأعـجب مما جـرى ، قال : واعـجب من ذاك أنى أدعـو لك هذه الشجرة التى ترى .

فدعاها فأقبلت حـتى وقفت بين يديه ، ثم قال لها : ارجعى إلى مكانك فرجعت حَسْبَ إشارته صلى الله عليه[3] .

وهذه زهرة من روض آياته ، وقطرة من غـيث برهانه الذى لا يُدْرَكُ مدى غاياته .

كَمْ لـلـبَشِيـــــرِ الـنَّذيـرِ مُعْجِزةٍ
منهـــا عـلى الفَوْرِ طـاعَةُ الشـــجَره
أكْرِم بِهـــــا دَوْحَةً [4] مُعظَّمـــةً
أبْقَتْ لَهـــا مِثْـلَ هَذهِ الثـــمَــره

---

(١) هو رُكانة بن عـبدُ يزيد بن هاشم المطلبى من مسلمـة الفتح ، وتوفى فى خلافة مـعاوية «الإصابة ٢/ ٤٩٧» ،

(٢) الحَيْن : بفتح الحاء : الموت .

(٣) انظر الخصائص الكبرى للسيوطى «١/ ٢١٥ ».

(٤) الدَوْحَة : هى الشجرة العظيمة .

ذكر المهاجرين إلى الحبشة أولاً وثانياً
سنة خمسٍ من النبوة

خرج من الصحابة اثنا عشرَ رجلاً وأربع نسوة سِرًّا ، حيث سمعوا من قريش ما يكرهون ولقوا منهم شرًّا ، حتى انتهوا إلى الشُعَيْبَة(١) البحرية ، فوجدوا بها قوماً ذوى أثْنِيَةٍ عِطْرِية، فرفقوا بهم وحملوهم ، وإلى أرض الحبشة فى السفينة نقلوهم .

وخرجت قريش فى طلبهم، فلم يصلوا من اللّحاق بهم إلى إرْبِهِم .

فلما قدموا إلى الأرض المذكورة، جاوروا ملكاً(٢) بها سيرته مشكورة ، وأقاموا آمنين على أنفسهم ودينهم ، مشتغلين بعبادة هاديهم ومُعينِهِم .

ثم سمعوا أن قريشاً أسلموا ، وتأخروا عن هُوَّة الهوى وأحجموا ، فعادوا إلى مكة ورجعوا ، فلما دخلوها وجدوا الأمر بخلاف ما سمعوا ، فاشتد عليهم القوم ، وقابلوهم بالتعنيف واللوم ، فأذِنَ لهم النبى ﷺ بالخروج فخرجوا ، وإلى عشِّهِم الذى أتَوْا منه دَرَجُوا(٣) .

وكانوا ثلاثة وثمانين من الرجال، وثمانى عشرة من ذوات الحِجَال ، أقاموا عند النجاشى حيناً من الدهر ، وهو يحسن إليهم ويتفضل عليهم فى السر والجهر .

---

(١) الشُعَيْبَة : كانت مرفى السفن إذ ذاك .

(٢) هو النجاشى .

(٣) دَرَجْوا : عادوا .

فلما بلغتهم الهجرة الشريفة، وأتى لهم خبر النُّقْلَةِ المُنيفه ، رجع بعضهم إلى ناصب عَلِم تمييزهم ، وتأخر الباقون إلى أن كتب الملك بتجهيزهم ، فحملهم فى السفينة ، حَسْبَ الأمر إلى المدينة .

ومما قال عبد الله بن الحارث[1] بأرض الحبشة :

يا راكباً بلِّغَنْ عنِّى مُغَلْغَلَةً[2]

من كان يرجو بَلاغ الله والدينِ

إنَّا وجَدنا بلاد الله واسِعَةً

تُنْجِى من الذُّل والمخْزاةِ والهُونِ

فلا تُقِيمُوا على ذُلِّ الحَيَاة وخِزْيٍ

فى المَمَاتِ وعَيْبٍ غَيْرِ مأمُونِ

إنَّا اتَّبعْنَا رَسُول اللهِ واطَّرَحُوا

قَولَ النَّبيِّ وغالَوْا فى المَوَازِينِ

---

(١) هو عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى ، وكان يلقب بالمُبْرِق «الإصابة ٤/ ٤٩» .

(٢) المُغَلْغَلَة : هى الرسالة المحمولة من بلدٍ إلى بلد .

أمر الصحيفة والشِّعْب فى المُحَرَّم
سنة سبعٍ من النبوة

لما بلغ قريشاً إكرام النجاشى للصحابة ، دهمهم ليلُ الغَضَب ومدَّ عليهم سَحَابه ، فكتبوا على بنى هاشم كِتاباً ، يتضمن فصولاً من الهجر وأبوابًا .

وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة، ثم ألجأوهم إلى كل خُطَّةٍ صعبة ، وحصروهم فى شِعْب أبى طالب ، وظفروا بالحاضر وجدُّوا فى تحصيل الغائب ، وقطعوا عنهم المادَّةَ والمِيرَة، ولم يَرْعوا حق صحبة ولا جيرة ، وأخْفَوْا بُرُوقَهُمُ البَواسِم ، ومنعوهم من الخروج إلا فى المواسم، ولم يمكنوهم من الإنْجَاد والإتْهام ، وكانت مُدة إقامتهم فيه ثلاثة أعوام .

ثم اطْلَعَ الله رسولهُ على شأن الصحيفة ، وأن الأَرَضَة[1] أكلت منها غير أسماء الله الشريفة ، فلما بلغهم من أبى طالب الخبر ، كشفوا عن الأمر فوجدوه كما ذكر، فسكنت ريحُهُم ، وخَرِسَ فَصِيحُهُم ، ثم نُقِضَت الصحيفة وبطل ما فيها من البهتان ، وأخرجهم الله من الشِّعْبِ[2] ونجَّاهم من أهل الظلم والعدوان .

وفى ذلك يقول أبو طالب :

ألا أبْلِغا عَنِّى عَلَى ذات بيننا
لُؤَيّاً وخُصّا من لُؤىٍّ بنى كعبِ

---

(١) الأَرَضَة : دُوَيْبة تأكل الخشب .

(٢) الشِّعْب : هو الطريق فى الجبل .

ألم تعلمـــا أنَّا وجـــدنـا مـــحـــمَّداً

نبـيـــاً كـمـوسى خُطَّ فـى أول الكتبِ

وأن الـذى لَصَّقْتُمُ من كِتـــــــابِكـم

لكم كـــائنٌ يُحْسـا كـــراعِيَة الشِّعبِ[1]

أفـيـقـوا أفيـقـوا قـبلَ أن يُحـفَرَ الثَّرى

ويُصـبِحُ من لم يَجْنِ ذنبـاً كـذِى ذَنْبِ

ولا تَتْبَعـــوا أمـــرَ الوُشَاةِ وتَقْطَعـــوا

أَوَاصِرنا[2] بـعـــــــد المودَّة والـقُرْبِ

فلسـنا وربِّ البـيـت نُسْلِمُ أحـــمـــداً

لِعَزاء من عَضِّ الزمـــان[3] ولا كَرْبِ

ولسـنا نُمِلّ الحـــرب حـــتـى تُمِلَّنا

ولا نشتكى ما (قد) يَنُوبُ من النَّكْبِ[4]

ولـكـنـنـا أهــلُ الحَفَائظِ [5] والنُّهـى

إذا طار أرواحُ الكُمـــاةِ [6] من الـرُّعْبِ

---

(١) فى سيرة ابن هشام «١/ ٣٥٣» : نحْساً كـراغية السَّقْبِ . وأراد به هنا : ولد ناقة صالح عليه السلام .

(٢) الأواصر: جمع أصرة ، وهى عطفك على ذى رحم أو قرابة .

(٣) عضُّ الزمان : شدته .

(٤) النَّكب : المصيبة .

(٥) أهل الحفائظ : جمع حفيظة وهى الغضب فى الحرب ، وأراد المدافعون عن أعراضهم .

(٦) الكُماة : جمع كمى وهو الشجاع المقدام الجرىء ، كان عليه سلاح أم لم يكن .

خروج النبى ﷺ إلى الطائف
سنة عشرٍ من النبوة

لما مات عمه أبو طالب وزوجته خديجة ، وذوت من شجرةِ إعانتهما له أوراقها البهيجة ، لزم البيت وأقل الخروج ، وأسِفَ عليهما أسفاً يضطرب بحره ويموج ، ونالت منه قريش ، وقابلوه بالخِفَّةِ والطيش .

فخرج معه زيد بن حارثة إلى الطائف، وصَدَعَ بالدعوة غير وجِلٍ ولا خائف ، فلم يجبه منهم أحد ، وأغروا به سفهاء البلد، وتشاءموا بقدوم طائره الميمون، فانقلب راجعاً إلى مكة وهو محزون .

فلما نزل نَخْلَة [(١)] قام يُصَلِّىَ من الليل ، وسَبَبُ التأييد يتحدَّر عليه كالسيل ، وانصرف إليه سبعة من الجن يستمعون القرآن ، فلما فرغ ولَّوا يدعون قومهم إلى الإيمان ، ثم دخل مكة فى جُوار مُطْعِم بن عَدِى [(٢)] ، ولسان الحق يتلو على قريش ﴿ **مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِى** ﴾[(٣)] .

وفى مُطْعِمٍ يقول حسان بن ثابت من أبيات :

أجرتَ رسولَ اللهِ منهم فأصبحوا
عبيدك ما لبَّى مُهِلٌّ وأحْرَما

---

(١) نَخْلَة : هى وادٍ على بعد ليلة من مكة وكانت عُكاظ بينه وبين الطائف .

(٢) هو المُطْعِم بن عَدِيٍّ بن نوفل بن عبد مناف ، رئيس بنى نوفل فى الجاهلية ، ومات قبل وقعة بدر ، ولم يعلم له إسلام .

(٣) سورة الأعراف : ١٧٨ .

فلو كـان مـجـداً يُخْلِدُ الدهر واحـداً

من النـاس أبقى مَجـدُهُ الدَّهرَ مُطْعِمَا

الإسراء بالنبى ﷺ
سنة اثنتى عشرة من النبوة

طُلِبَ إلى الحَضْرةِ قبل الهجرة باثنى عـشر شهراً ، وأُسْرِى به من مكة إلى بيت المقدس مـيمـون الطلب محمـود المَسْرى ، فصلى بالأنبـياء فى المسـجد الأقصى ، ومُنح من النعم ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى .

ثم ركب الدابة المعـروفـة بالبُراق ، وَعَرَجَ إلى محل طـاب له فيـه الوقت وراق ، وكان جـبريل يستـفتح له الأبواب ، والأنبيـاء يتلقونه فى السـموات بالتحية والتـرحاب ، فحُظِىَ فى الأفق الأعلى بالمقام الأسْنَى ﴿ **ثمَّ دَنَا فَتَدلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدْنَى** ﴾ (١) .

ورأى سِدْرَةَ المنتـهى وسـمع صَرِيفَ الأقـلام ، وفُرِضت عليـه الصلوات الخمس ورُفعت الأعلام ، ورُفِلَ(٢) فى حُلل آلاء ربه وإحسـانه ، وعاين ما عاين من آياته وقدرته وسلطانه .

وكـان مَسْرَاه عِبرة لأولـىِ الألباب، وتثبـيـتاً لمن تـعلق من الهُدى بأوثق الأسباب.

فـسـبـحـان من أسـرى به وأَحَلَّه

مَحَلاً عـلا يسمـو على الشمس والبـدرِ

---

(١) سورة النجم : ٨ ، ٩ .

(٢) رَفَلَ : جرَّ ذيله وتبختر فى سيره .

وصـــيَّر جـَبـــريلَ المُقـــرَّبَ خـادمـــاً

له وحـــبـــاه بالحـــمــايــة والنَّصــرِ

نبى رقـــا نحـــو الســمـــاء لفـــضله

وشـــاهد مـــا فـــيــه تَحَارُ أُولو الـفكرِ

وناجــــــاه ربُّ العـــــرش جلَّ ثـناؤهُ

وأتحــفـه فى حـــضــرةِ القُدس بالبِشْرِ

وكم مـثلِهـا من مـعـجزاتٍ عظيـمـةٍ

وآياتِ غـــاياتٍ تَجِلُّ عن الحـــصـــرِ

العقبة الأولى
سنة اثنتى عشرة من النبوة

لما أراد الله تعالى نصر نبيه وإظهار دينه ، وإنجاز ما وعده به من رفع ذِكره وتمكينه ، ساقـه إلى الأوس والخزرج ، الذين ألجم التوفـيق خيل جِبِلَّتِهِم[1] وأسرج ، وانتـهى منهم إلى نفرٍ ، بـزغ نجم سَعْدِهِم وظهر ، فجلـس إليهم وأمرهم بالإيمان ، ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فتلقوا أمره بالقبول، واستجـابوا لله وللرسول ، ثم انصرفوا فى أسرِّ الأحوال ، وكـانوا ثمانية أو ستة على اختلاف الأقوال.

فلما كان الموسـمُ الجامعُ بمكة عُجْمَهُ وعَرَبَه ، لقيه اثنى عـشر رجلاً منهم

(١) جِبِلَّتِهِم : أى طبيعتهم .

ليلاً عند العقبة[1]، فأسلموا وبايعوا ، واقتفوا آثار الأبرار وتابعوا ، وصدَّقوا وآمنوا ، وعلى البرُ والتقوى تعاونوا ، ثم رجعوا إلى المدينة مُعْلِنين بالإسلام، فرحين بما حصل لهم من الهداية والعناية والإكرام .

لقد أحْرَزَ الأنصارُ مجداً مُؤثَّلاً [2]
وفازوا بِخَصْلِ السَّبْقِ[3] والمنزل الأسنى

دنوا وأفادوا واستفادوا وأقبلوا
على حفظ ما يبقى وجادوا بما يفنى

وماذا يقول الناس فى وصف مَعْشَرٍ
عليهم رسول الله بالخير قد أثنى

وفيهم يقول النُّعمان بن كثير :

بَهاليلُ[4] من أولاد قِبْلَةَ لم يَجِدْ
خليطٌ عليْهم فى مخالطةٍ عَتْبَا

مساميحُ أبطالٍ يُراجَوْنَ للنَّدى[5]
يَرَوْنَ عليهم فِعلَ آبائهم نُحْبا [6]

---

(١) العَقَبَة : الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه .

(٢) مُؤثَّلاً : أى مؤصَّلاً .

(٣) خَصْل السَّبْق : الخصل : الترهن فى الرمى .

(٤) بهاليل : جمع بُهلُول : السيد الجامع لصفات الخير .

(٥) النَّدى : الجود والسَّخاء والخير .

(٦) نُحبا : أى نذر .

العقبة الآخرة
سنة ثلاث عشرة من النبوة

ثم خرج المسلمـون أيام الحج وهم سبعـون رجلاً، يسلكون إلى أُمِّ القُرى طلبـاً للقِرى سُبلاً، فـلما أناخـوا بِفِنائهـا ، واستَافُوا الأرَجَ من أرجائهـا ، حضروا إلى النبى ﷺ ، وتكلم معه فى أمر الهجرة الشريفة من تكلم .

فوعدهم شِعْبَ العَقَبة ليلة النَّفر الأول ، فـاجتمعوا واثقين بوعده الذى به عليهم تطوَّل ، وأنهـوا إليه ما يبغـونه من النصر ويقصـدونه ، وبايعوه على الوفاء والصدق وبذل المُهَج دونه، واختار منهم اثنى عـشر نقيباً ، وجعل كلٌّ منهم على قومه كفيلاً ورقيبـاً ، فلما فرغوا من مقالهم ، أمرهم بأن ينفضُّوا إلى رحالهم .

وعلمت قريشٌ بخبرهم ، فجدُّوا فى اتِّباع أثرهم ، فأدركوا سعد بن عُبَادة وأمسكوه ، وخلص منـهم بعد أن كادوا يُهْلِكوه ، ثم انصـرفوا إلى طَيْبَة[1] الطَّيبة أجمعين ، متوكلين على كافى من عليه يتوكل وبه يستعين .

وفى ذلك يقول كعب بن مالك[2] من أبيات :

---

(١) طَيْبَة : من أسماء المدينة النبوية .

(٢) هو كعبُ بن مالك بـن عمرو بن القين ، الأنصارى السلمىُّ ، الخـزرجىُّ ، صحابى من أكابر الشعراء ، من شعراء النبى ﷺ ، عاش سبعاً وسبعين سنة « الإصابة ٥/ ٦١٠ » .

ألا أُبْلِغ أُبـيَّاً أنه فـــــال رأيـه [1]
وحـــان غَدَاةَ الشِّعب ِ والحَيْنُ [2] واقعُ
وأبلغ أبـا ســفـيـــان أنْ قــد بـدا لنا
بأحـــمـــد نــورٌ من هُدى الله ســاطعُ
أبىَ الله مــــا منَّتْكَ نفــــسُك أنهُ
لَمِرصـــادُ أمـــرِ الناسِ راءٍ وســـامعُ

الهجرة الشريفة
سنة ثلاث عشرة من النبوة

فلما رحل الأنصار السـبعون، وانشرحت الصدور وقرَّت العـيون ، وفهم المسلمون خـروج الصحـابة ، فَرَموا إلى جهـتهم سـهام الإصابة ، وضـيَّقوا عليهم ، وضــاعفـوا الإساءة إليهم ، وبالغـوا فى شتـمهم، وخَبَطوا[3] فى ظلمات ظُلمهم .

فشكوا إلى النبى ﷺ ثِقَلهُم ، واستأذنوه فى الهـجرة فأذن لهم ، فجعلوا يتجـهزون ويترافقـون ، ويخرجون خـيفة ويتلاحـقون ، حتى قـدموا المدينة كهولاً وفتيـاناً ، وطاروا إلى أوكار الأنصار زُرَافاتٍ[4] ووُحْدَاناً ، فآووهم، وبغيث الإحـسان غمـروهم ، فعند ذلك خـاف المشركون خـروج الرسول ، وعلموا أن فريضة المسلمين بهجرته تَعُول .

---

(1) فال رأيه : أى ضعف وبَطل .
(2) الحَيْنُ : الموت .
(3) خبطوا : ساروا على غير هدى .
(4) زُرَافات : أى جماعات .

فاجتمعوا فى دار النَّدوة[1] ، واتفقوا على قتل من جعله الله للناس قدوة، ورصدوه فى بيته ليلاً ، وظنوا أنهم ينالون منه نيلاً ، فخابوا وخسروا، وبأفهارِ[2] القُدرة الإلهية كُسِروا .

ثم هاجر ﷺ ، وخرج بإذن من أنزل القرآن وتكلم ، فمضى ومعه أبو بكر إلى غار ثور ، واشتد فى طلبهما أهل الظلم والجور ، وذهبوا يقُصُّون الآثار ، حتى انتهوا إلى باب الغار ، فلما رأوا إلى بيت العنكبوت وعش الحَمَام ، نكصوا على أعقابهم كأنما يُساقون إلى الحِمَام [3] .

ثم قوى عزمهما على الترحال ، بعد مُكثهما فى الغار ثلاث ليالٍ ، فأمر عبد الله بن أُريْقط[4] بالمسير ، وصَحِبا منه أىَّ دليل بالطرق خبير ، وتبعهم عامر بن فُهَيْرة[5] على سبيل الخدمة، وساروا مشمولين ببركة من أتمَّ الله عليه النعمة.

فبينما هم سائرون ، وإلى جهة قصدهم صائرون ، عَرَضَ لهم سُراقة بن مالك[6] فى الطريق ، فرسخت قوائم فرسه معجزةً لصاحب الوجه الشريق، ثم أُطلِق ببركة دُعائه ، والتزم بردِّ المشركين المشتدين من ورائه .

---

(١) دار النَّدوة : النَّدوة فى اللغة الاجتماع ؛ لأنهم كانوا يجتمعون فيها للمشورة وغير ذلك، ولا يعقدون لواء حرب إلا فيها .

(٢) أفْهار : جمع فِهر وهو الحجر ملءُ الكف .

(٣) الحِمام : الموت .

(٤) عبد الله بن أُرَيْقط (ويقال : أُرَيقد) ذكره الذهبى فى الصحابة فى التجريد (٨٣).

(٥) هو عامر بن فُهَيْرة : مولى أبى بكر الصديق ، أبو عمرو ، شهد بدراً وأُحُداً ثم قتل يوم بئر معونة وهو ابن أربعين سنة ، قتله عامر بن الطفيل «الإصابة ٣/ ٥٩٤» .

(٦) هو سُراقة بن مالك بن جُعْشُم الكنانى المدلجىُّ ، أبو سفيان ، أسلم بعد الطائف «الإصابة ٣/ ٤٠ » .

ومروا فى سيرهم بأم مَعْبَد[1] ، وكانت ممن يُرجى قِراه ويُقصد ، فنزلوا فى ظل خيمتها المعقودة ، وبارك ﷺ فى شاتها المجهودة ، فاجترَّت ودرَّت باللبن ، وشربوا حتى ضُرِبوا بِعَطَن[2] .

ثم ساروا لا يصعدون جبلاً إلا تَأرجَّ بعطرهم الفائح ، ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم به عملٌ صالح ، حتى قَدِم النبى ﷺ مبارك القَدَم ، مرفوع العلم ، مُضىء المقياس ، رحمةً عامةً على الناس ، فنزل بقبائها[3] ، وأناخ بحضرةِ فنائها .

وخرج المسلمون إلى لقائه ، وابتهجوا بما ظهر لهم من أفق سمائه ، وهرعوا للسلام عليه ، وتشرَّفوا بالمثول بين يديه ، وأقام بها أربعة عشر يوماً وتحوَّل ، وكان قدومه يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول .

ولما دخل المدينة مضى حتى انتهى إلى موضع مسجده ، وخرج كلٌ من قبائلها يدعوه إلى عَدَدِه وعُدَدِه ، وسُرُّوا بمقدمه الميمون ، واستبشروا بحفظ جوهره المكنون .

ثم نزل فى بيت أبى أيوب[4] ، ومَلَكَ من دار هجرته عَنَان المطلوب، وحطَّ بها رَحْلَه ، وأرسل إلى مكة من أحضر أهله ، وآخى بين المهاجرين

---

(١) أمَّ مَعْبَد : هى عاتكة بنت خالد إحدى بنى كعب من خزاعة ، وهى أخت حبيش بن خالد وله صحبة ورواية «الاستيعاب ٤/ ١٨٧٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٢» .

(٢) عَطَن : عطنت الإبل إذا رويت ثم بركت وضربت بعطن ، وهو مثل.

(٣) قِبَائها : قباء : على ميلين من المدينة وفيها مسجد التقوى «معجم البلدان ٤/ ٣٠٢» .

(٤) أبو أيوب : هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة من بنى النجار ، شهد العقبة وبدراً وأُحُداً والخندق وسائر المشاهد « الإصابة ٢/ ٢٣٤».

والأنصار، واستمر مُجتهداً فى طاعة من لا تدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار.

وسمع أهل مكة بعد رحيله هاتفاً يقول :

جَزَى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائه
رفيقين حَلاَّ خيمَتىْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلا بالبِرِّ وارتحلا به
فأفْلَح من أمسى رفيقَ محمَّدِ
لِيَهْنِ بنى كعبٍ مكان فتاتهم
ومَقْعَدُها للمؤمنين بمَرْصَدِ

وفى نزوله بالمدينة يقول أبو قيسٍ الأنصاريٍّ من أبيات :

ثَوى فى قريشٍ بِضْعَ عشرةَ حِجَّةً
يُذكِّرُ لو يلقى صديقاً مُواتيا[1]
فلما أتانا أظهر الله دِينهُ
فأصبح مسروراً بطيْبَةَ راضيا
يقُصُّ لنا ما قال نوحٌ لِقومه
وما قال موسى إذ أجاب المُناديا
نُعادى الذى عادى مِنَ الناس كُلِّهم
جميعاً ، وإن كان الحبيبَ الموافيا
وأصبح لا يخشى من الناس واحداً
قريباً ولا يخشى من الناس نائيا

---

(١) مواتياً : أى موافقاً .

بناء المسجد بالمدينة
سنة إحدى من الهجرة

ثم إن رسول الله ﷺ اشترى المِرْبَد[1] ، وأمر برفع ما فيه من القبور والنخل والغَرْقَد[2] ، بذل فيه عشرة دنانير من النُّضَّار [3] ، وكان لغلامين يتيمين من بنى النَّجار .

ثم شرع فى بناء المسجد المؤَسَسِ على التقوى ، مستعيناً بأصحابه الموصوفين بالجد والجدوى ، وبناه باللَّبِن[4] والحجارة، وكساه بنَظَرِهِ البهجة والنضارة ، وجعل إلى بيت المقدس قبلته ، ورفع بين المساجد المعمورة أُثْلَتَه[5] ، ورصَّف[6] سقفه بالجريد ، وحلىَّ جيدَهُ بِعِقْدِهِ الفريد ، وفتح له ثلاثة أبواب ، وألبسه من البركة أحسن الأثواب.

ثم بنى إلى جانبه بيوتاً له ولنسائه، وسكن بهن مقيماً على إعلاء كلمة الله فى صباحه ومسائه ، وكان يُساعد أصحابه فى عمارة المسجد ويقول :

هذا الحِمَال لا حمالُ[7] خَيْبَرْ

هذا أبَرُّ ربنا وأطهر

---

(١) المِرْبد : الموضع الذى يجفف فيه التمر .

(٢) الغَرْقَد : ضربٌ من شجر العِضاة ، واحده غَرْقَدة .

(٣) النُّضَّار : الذهب الخالص .

(٤) اللَّبِن : المضروب من الطين يُبنى به دون أن يُطبخ .

(٥) أُثْلَتَه : أثاثه .   (٦) رَصَّف : أحْكَمَ .

(٧) الحِمَال : من الحَمْل والذى يحمل من خيبر التمر ، أي أن هذا فى الآخرة أفضل من ذاك وأحمد عاقبته .

وقال على بن أبى طالب وهو مرتجزٌ يعمل :

لا يستوى من يَعْمُرُ المساجدا
يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يُرى عن التراب حائدا

أمر الأذان
سنة إحدى من الهجرة

لما اجتمع شمل الأنصار وارتفع لواء الإسلام ، وأقيمت الصلوات الخمس وفُرض الحلال والحرام، كان المنادى يقول يومئذٍ : الصلاة جامعة ، فيجتمع لأداء الفرض أهل القلوب الخاشعة .

وكان النبى ﷺ قد أهمَّهُ أمر الأذان ، وعزم على إقامة رجُلان[١] بِإطام[٢] المدينة للإعلان ، وذُكِر عنده الناقوس والبُوق ، فكَرِه شعار ذوى العصيان والفسوق ، حتى أُرى عبد اللهِ بن زيدٍ[٣] رؤيا عُلِّم الأذان فيها ، وأصبح ينقُلُ الكلمات الطيبات لرب الآيات البينات ويرويها ، فأمره أن يُلقى ما سمعه على بلال ، ومثلها أُرِىَ عمر الفاروق بين الهدى والضلال ، فحَمِد الإمام ربَّه وشكر ، وابتهج لاتفاق رؤيا عبد الله وعمر .

واستمرَّ بلالٌ يُشَنِّفُ[٤] بدُرَرِ أذانه آذان القوم، ثم زاده فى الفجر قوله : «الصلاة خير من النوم » ، فأقره على ذلك صاحب الشريعة ، وقيل لبلال

---

(١) رجلان : كذا فى الأصل بالألف ، ولعله على لغة من يجعل المثنى بالإلف فى أحواله الثلاثة .

(٢) إطام المدينة : أى الحصون .

(٣) هو : عبد الله بن زيد بن ثعلبة الأنصارى ، رائى الأذان «الإصابة ٤/ ٩٧» .

(٤) يُشَنِّفُ : يُمتِّعُ .

بلسان الحال : أبشر بهذه المنزلة الرفيعة .

إنَّ الأذانَ كـلامٌ كـلُّهُ حَسَنٌ لِطـاعَةِ الواحـدِ القَهَّارِ يـنـتظـرُ

تَوَارَدَ اثنـانِ فى رُؤيـاهُ واتفـقـا يـا نجـلَ زيـدٍ لـكَ الحُسـنـى ويـا عُمَرُ

صرف القبلة إلى الكعبة
سنة اثنتين من الهجرة

صلى النبى ﷺ إلى بيت المقدس سنةً وثُلثُ سنة ، وكان يحب أن يُصرف إلى الكعبة الفائزُ من من هجر فى طلبها وسنه .

فجعل يرفع رأسه إلى السماء فى صلاته ، وينتظر من ربه تعالى جدُّهُ موادَّ صلاته ، ولم يزل كذلك حتى جاءه جبـريل عليه السلام ، وتلا عليه ﴿ **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ (١) .

فاسـتدار إلى الكعـبة واسـتقبل الميزاب ، ودار مـعه اقـتداءً به أهلُ السُّور والأحزاب .

فلما اسـتقرت الصلاة إلى الكعـبة المقدسة ، مـضى إلى قباءٍ فقـدَّم جدار مسـجدها وأسسـه ، ونقل مع أصحـابه الحجارة لبنـائه ، وأفاض من أنواره الباهرة على فنائه ، واطلع له فى سمـاء المساجد نجماً ثاقبـاً ، وكان يأتيه فى

(١) سورة البقرة : ١٤٤ .

كل سبتٍ تارة ماشياً وتارة راكباً[1] ، ورفعه وعظَّم أمره ، بقوله : « من جاء فصلى فيه ركعتين كان له أجر عُمْرة »[2] ، يا له معبداً أوراق شجرته المباركة لا تسقط ولا تُدْوى[3] ، ومسجداً كان أبو أيوبَ[4] وعُرْوَةَ[5] يقولان : هو الذى أسس على التقوى .

كـم لـلـنـبـى المـصـطـفـى مـن آيـةٍ
غَرَّاء حـــارَ الـفِكرُ فى مـــعنـاها
لَمَّا رأى البَارى تَقَلُّبَ وجـــــــههِ
ولاَّه أيمــن قِبْلَـةٍ يـرضـــــــاهـا

أمر الصَّوم وزكاة الفطر والعيد والأُضْحية سنة اثنين من الهجرة

فرض الصوم على رأس ثمانيـة عشر شهراً ، فاستقرَّ الإمـساك بتقدير من جَعَلَ لكل شيءٍ قَدْراً .

ثم أمر ﷺ بزكاة الفـطر على الغنى للفقير ، وأن يُخْرَجَ عن الحـر والعبد والذكر والأنثى والكبير والصغير .

---

(١) للحديث الذى أخرجه البخارى (١١٩٣)، ومسلم (٣/ ٤٨٦) .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه (١٤١٢) ، وأحمد فى مسنده (٣/ ٤٨٧) .

(٣) لا تُدْوى : لا تصاب بآفة ولا تهلك .

(٤) أبو أيوب هو خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبـة ، من بنى النجار ، صحابى شهد العـقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد «الإصابة ٢/ ٣٤» .

(٥) هو عروة بن الزبيـر بن العوام الأسدى الـقرشى ، أبو عبـد الله ، أحد الفقـهاء بالمدينة، وولادته ووفاته بها .

وكان يهتم بتحصيل زكاته، ويقسمها إذا رجع من صلاته، لكنه يأمر بها قبل غُدُوِّه إلى محل الإمامة، وكان يُصلِّى العيدين قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة.

وأمر بالأضحية وكان يضحى في كل عام، وضحَّى بكبشين أحدهما عن أمته والآخر عن نفسه وآله الكرام.

بخير الرُسلِ أحمدَ ذِى الأيَادى
عَلَيْنا سَحَّ وَبْلُ اليُمنِ[١] سحًّا
سعى فى نصرنا ورمى عِدانَا
وعنَّا يوم عيد النَّحر ضحَّى

قصة سلمان الفارسى

كان سلمان الفارسى من أهل فارس، لا يحبسه عن المجوسية وعبادة النار حابس، فَلُحِظَ بعين العناية، وطُوِّق بقلائد الهداية، وتنقل فى البلدان، وخدم الأساقفة والرهبان.

ثم طلب الحجاز فى المسير، حين بلغه قرب زمان البشير النذير، فلما كان بوادى القُرى[٢] ظُلِمَ وبيع من بعض اليهود، ثم نُقِل إلى المدينة يذهب فى رِقِّ العبودية ويعود، فلما سمع بهجرة صاحب الأخلاق العظيمة، بادر إليه وأسلم على يده الكريمة، ثم كاتب مولاه على ثلاثمائة وَدْيَة[٣]، وعلى

(١) سَحَّ وَبْلُ اليُمن: اليُمن: المطر الشديد والمراد بركته ﷺ.

(٢) وادى القُرى: وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة كثير القرى «مراصد الاطلاع ٣/١٤١٧».

(٣) الوَدْيَة: النخلة الصغيرة، فسيل النخل.

ذهبٍ مبلغه أربعون أوقية .

فأعانه النبى ﷺ بما وفَّى المبلغ وساعده، وخَرَجَ فوضع له النَّخل بيده فما ماتت منه وِدْيَةٌ واحدة ، وعُتِق سلمان وشَهِد معه الخندق حُراً، ولم يزل يُقَرِّبُهُ ويدنيه حتى عدَّهُ من أهل البيت إحساناً وبِراً .

لقدْ رقا سلمانُ بعدَ رِقِّهِ
منزلةً شامخةَ البُنْيَانِ
وكيفَ لا والمصطفى قد عَدَّهُ
من أهلِ بيتهِ العظيمِ الشانِ

قصة عبد الله بن سَلاَم

كان عبد الله بن سَلامٍ من كبار الأحبار ، ومن أهل العلم والمُطَّلعين على ما فى كتب اليهود من الأخبار ، وكان عارفاً بصفة النبى ﷺ واسمه وزمانه، صامتاً على ذلك حتى من أصحابه وأقرانه .

ولم يزل كاتماً أمره، إلى أن حلَّ بالمدينة صاحب الهجرة ، فلما سمع بخبره كَبَّرَ ، وأظهر المسرة بقدومه واستبشر ، وخرج مُسْلِماً مُسَلِّماً إليه ، ولم يصغ إلى من أنكر من أهله عليه .

ثم تكلم مع اليهود فيما يعلمونه من أمره، وما يجدونه مكتوباً عندهم من صفته ورفعة ذكره ، فباهتوه [(١)] وناكروه ، وقابلوه بالعداوة وجاهروه ، فأعرض عن الكبير منهم والصغير ، وفاز بما فاز من صحبة البشير النذير .

---

(١) باهتوه : استقبلوه بالكذب والافتراء .

بُشْراك يـا ابــن سَلاَمٍ بـالــذى ظَفِرَتْ

به يـداكَ من الإســـلامِ والشـــرفِ

أظهـرتَ من وصفِ خـيـرِ الناسِ قَاطِبَةً

مـــا كـــان مُكْتَتَبـاً فى بـاطنِ الصُحُفِ

ولـم تُعَرِّجْ على قــولِ اليــهـودِ ومــا

مـــالـوا إليـــهِ مــن البُهْتَانِ والجَنَفِ [١]

قصة أبى قيس الأنصارى

كان أبو قـيس بارعاً فى نـظامه ، صادعـاً بالحق فى كلامـه ، تعلق بالله وتمسَّك ، وتَرَهَّبَ فى الجاهلية وتنسَّك ، وفـارق الأوثان ، وأقبل على طاعة الدَّيان ، واغتسل من الجنابة ، واعتزل حتى ذوى القرابة ، ولبس المُسُوح [٢]، وركن إلى التـوبة النصـوح ، واتخذ مـسـجداً فـى داره ، واشتـغل بأوراده وأذكاره، ولازم التكبير والتهليل ، وقال : أعبدُ ربَ إبراهيم وإسماعيل .

فلما هاجـر النبى صلوات الله عليه وسـلامه، ذهب إليه فـأسلم على يده الكريمة وحَسُنَ إسلامه ، وهو القائل فى الجاهلية من أبيات :

سَبِّحـــوا اللهَ شَرقَ كـلِّ صــبـــاحٍ

طَلَعَتْ شـــمــــــسُهُ وكلِّ هــلالِ

---

(١) الجَنَفْ : الميل والجور .

(٢) المُسُوح : جمع مِسْح : الكساء من شعر ، وثوب الراهب .

فَلَهُ الطيرُ تَسْتَزِيدُ وتأوى
في وُكُونٍ [١] من آمِنَاتِ الجِبالِ
وله الوَحشُ في الفَلاةِ تَراهَا
في حِقَاف[٢] وفي طِلالِ الرِّمالِ
يا بنيَّ الأرحامُ لا تَقْطَعُوها
وصِلُوها قَصِيرةً من طوالِ
يا بنيَّ الأيامُ لا تأمنُوها
واحذروا مكْرَهَا ومكْرَ اللَّيالى
واجْمَعُوا أمرَكُمْ على البرِّ والتقوى
وتَرْكِ الخَنَا[٣] وأخذِ الحَلالِ

ذكر أهل الصُّفَّة

كان أهل الصفة ناساً ضُعفاء الحال ، ليس لهم عشائرٌ ولا منازلٌ ولا مال، وكانوا يأوونَ إلى المسجد وفيه ينامون ، ويجاورن من لا يُظلَمُون في جُوَارِهِ ولا يُضامون .

وكان ﷺ يعتنى بأمرهم ، ويتوصَّلُ بكل طريقٍ إلى جبرهم ، ويدعوهم إلى طعامه ، ويأمرُ أصحابه بِرِفْدِ[٤] كلٍ منهم وإكرامه ، وهم الذين أعرضوا

(١) الوُكُون : جمع وكن وهو عُش الطائر .
(٢) الحِقاف : جمع حِقْف وهو المعوج من الرمل .
(٣) الخَنا : الفُحْشُ فى الكلام .
(٤) الرِّفْد : العطاء والصلة .

عن الغَمْرِ[١] وقنعوا بالبَرَض[٢] ، وفيهم جاء : ﴿ للفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فى سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فى الأرْضِ ﴾[٣] ، ويكفيهم أن أبا ذرٍ وأبا هُريرةَ منهم ، تغمدهم الله برحمته الواسعةِ ورضى عنهم .

لإهلِ الصُّفَّةِ الماضين فَخْرٌ
بِصُحبَةِ أحمدَ القُثَمِ [٤] النذيرِ
رضوا بالنَّزْرِ[٥] فى الدُنْيا فلمَّا
قَضُوا وافوا إلى مَلِكٍ كبيرِ

صفةُ النبى ﷺ

(صفة جسده صلى الله عليه وسلم)

كان خاتم النُّبُوة بين كتفيه مِثل بيضةِ الحمامة ، وقيل كَزِرِّ الحَجَلَةِ[٦] وقيل شعرٌ مجتمِعٌ وقيل شامة .

وكان عظيم الهامة [٧] واسع الجبين، أزَجَّ الحَوَاجِبِ [٨] أقنى العِرْنين[٩]،

---

(١) الغَمْر : المراد الغنى والرغد .

(٢) البَرْض : القليل .

(٣) سورة البقرة : ٢٧٣ .

(٤) القُثَم : المِعطاء ، وكان أجود الخلق ﷺ ، وقيل : الجامع لخصال الخير والفضائل كُلِّها.

(٥) النَّزْر :القليل .

(٦) زرَّ الحَجَلَة : قيل المراد الزِّر الذى يعقد به النساء عُرى حجُولهن كأزرار القميص .

(٧) الهامة : بالتخفيف : الرأس .

(٨) أزَجَّ : مقوس مع طول فى طرفه وامتداد .

(٩) العِرْنين : الأنف ، والقَنَى فيه : طوله ودقة أرنبته مع ارتفاع فى وسطه .

رَجِلَ[١] الشعر خافض الطَّرْف ، مُضيء العُنُق ندىَّ العَرْف[٢] ، أشمَّ[٣] أدْعَجَ[٤] مُفَلَّجَ الأسنان[٥] أشنَبَ[٦] ، أطول من المربُوعِ وأقصر من المُشَذَّب[٧] ، كَثَّ اللِّحْيَةِ سهلَ الخدَّين[٨] ، ضخم الكَراديس[٩] بعيدَ ما بين المنْكَبَيْن[١٠]، مُعتدل الخَلْق[١١] متماسك البدن عريض الصدر ، أزهر اللّون[١٢] يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر ، سائل الأطراف[١٣] سَبْطَ القَصَب[١٤] ، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صبَب[١٥] ، رَحْبَ[١٦] الرَّاحَتَيْنِ

---

(١) رَجِلَ الشعر : لا شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما ، قال القرطبى : كان شعره ﷺ بأصل الخلقة مُسَرَّحاً . (٢) ندى العَرْف : الريح الطيبة الزكية .

(٣) أشَمَّ : الشَّمَم : ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً .

(٤) أدْعَجْ : الدَّعَج : شدة سواد العينين فى شدة بياضها .

(٥) مُفَلَّج : الفلج تباعد ما بين الثنايا والرباعيات .

(٦) أشنَب : الشَّنَب : البياض والبريق والتحديد فى الأسنان .

(٧) المُشَذَّب : باين الطول مع نقص فى لحمه ، فطوله ﷺ وعرضه متناسبان على أتم صفة.

(٨) سهل الخدَّين : قلة اللحم ورقة الجلد ، وقيل : ليس فى خديه نُتوء وارتفاع .

(٩) الكراديس : رؤوس العظام ، وأراد أنه ﷺ ضخم الأعضاء .

(١٠) المَنْكِبين : مثنى المنْكِب وهو مجتمع رأس العَضُد والكتف ، و«بعيد ما بين المنكبين» يدل على سعة الصدر والظهر .

(١١) مُعتدل الخَلْق : يعنى الجسم .

(١٢) أزْهَرَ اللَّون : الأزهر : الأبيض المستنير المشرق ، وهو أحسن الألوان ، أى ليس شديد البياض .

(١٣) سائل الأطراف : معتدل الأصابع .

(١٤) سَبْطَ القَصَب : السبط الممتد الذى ليس فيه تعقد ولا نتوء ، والقصب يريد بهما ساعديه وساقيه .

(١٥) صبَب : أراد أنه قوى البدن فإذا مشى فكأنما يمشى على صدور قدميه من القوة .

(١٦) رَحْب الراحتين : واسع الكف ويكنون بذلك عن السخاء والكرم.

طويل الزَّنْدَيْن[١] ، شَثِنَ الكَفين[٢] مَسيحَ القدمين[٣] .

(صفاته المعنوية وآدابه وسمته ﷺ)

وكان حسن الخلق لين الجانب ، ليس دونه بوابٌ ولا حاجب ، يبدأ من لَقِيَهُ بالسلام ، ويَفْتُرُ [٤] عن مثل حب الغَمام ، يُبْدِلُ النظر بالملاحظة [٥] والضحك بالتبسم ، ويأتى بجوامع الكلم حال التلفظ والتكلم ، يُحَسِّنُ الحَسَنَ ويقوِّيه ، ويُقَبِّحُ القبيح ويُوَهِّيه ، يُشيرُ بكفه إذا أشار وإذا تعجب قَلَبَها، لا يكترث بالدنيا ولا يبخل بها على من طلبها، إذا فرح غضّ طرفه ، وإذا غضب أعرض وثنى عِطْفَه .

وكان طويل السكوت جزيل الذكر ، متواصل الأحزان دائم الفكر ، يسكُتُ عن الحِلمِ والتدبر ، ويَصمُتُ عن الحذر والتفكر ، لا يُخْزِنُ على السائل جوابه ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه .

---

(١) الزَّنْدان : عظما الذراعين .

(٢) شَثْن الكفين : هو الذى فى أنامله غلظ بلا قِصَر ، ويحمد ذلك فى الرجال لأنه أشد لقبضتهم ويُذم فى النساء .

(٣) مَسِيحَ القدمين : أى مستويهما . قال بعض البلغاء :

يا رب بالقدم التى أوْطَأتها	مِنْ قاب قوسين المحَلَّ الأعْظَمَ
ثبت على متن الصراط تكرُّما	قدمى وكُنْ لى مُنْقذاً ومسلِّما

(٤) يَفْتَرُّ : أى يتبسم .

(٥) الملاحظة : أى ينظر بلحظ عينه ، وهو شقها الذى يلى الصدغ والأذن ، ولا يحدق إلى الشئ ، وكانت الملاحظة معظم نظره ، وهو دليل الحياء والكرم .

ليس بفظٍّ (١) ولا غليظ (٢) ولا صَخَّاب(٣) فى الأسـواق ولا فحَّاشٍ(٤) ولا مَزَّاحٍ ولا عَيَّاب .

يتفقد أصحابه ويؤثرهم بخيره، ولا يقصُرُ عن الحق ولا يَجُوزُهُ إلى غيره، يُقابل من استوطن دار الدنيا باللوم ، ويجلس حيث انتهى به مجلس القوم ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، ويُعظِّم دقيق النِّعْمَة ويَسْتَبحرُ وشْلَها(٥) .

يكرم كريم كل قوم ويولِّيه عليهم ، ويقضى حوائج الناس ويتودد إليهم ، يُنذرُهُم ويبشِّرهم ، ويؤلفهم ولا يَنَفِّرُهُم .

مجلسُهُ مـجلس حياءٍ وحلـم ، وصبرٍ وأمـانةٍ وعِلم ، يُوَقَّرُ فيه الكبـير ، ويُحْفَظُ الغريب ويُرْحَمُ الصَّغيـر ، لا تُرْفَعُ فيه الأصوات ولا تُؤبَنُ الحُرَم(٦)، ولا يُتَنازع فيه الحديث ولا تُخْفَرُ الذِّمَم (٧) .

إذا تكلم أطرق جُلساؤه كأنما على رؤسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا فيما يجلب لهم النفع والخير، يَبْذُلُ فى نُصحِ أمته جُهْده ، والناس فى الحق سواء عنده ، لا يميل عن طالب الحـاجـة ولا ينحـرف ، ويصابر مـن جالسـه أو قاومه(٨) حتى يكون هو المنصرف.

---

(١) رجلٌ فَظٌّ : سيئ الخُلُق .　　(٢) الغليظ : الجافى .

(٣) صخَّاب : صيَّاح ، أى لا يرفع صوته بكثرة الصياح ، لحسن خلقه ، وكرم نفسه وشرف طبعه ، وروى بالسين وهو بمعناه .

(٤) الفُحْش : التعدى فى القول والجواب ، والكثرة والزيادة من الكلام .

(٥) وَشَلَها : الوَشَلُ : القليل .

(٦) ولا تُؤْبَن : أى تذكر .

(٧) تُخْفَر الذِّمم : تنقض العهود .

(٨) قاومه : أى إذا قام معه ليقضى حاجته صبر عليه إلى أن يقضيها .

لا يذمُّ أحداً ولا يعيِّره ولا يطلب كشف عورته ، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته ، من وفد عليه غمره بنيل النَّوْل(١) ، ومن سأله حاجة لا يَرُدُّه إلا بها أو بميسور من القول .

كان يشد صُلْبَهُ بالحجر من الغَرَث(٢) ، ويأمر بكف اللسان عن اللَّغو (٣) والرَّفَث(٤) ،ويبيت وليس عنده سراج ، ويمسى ويصبح وهو إلى الطعام محتاج .

ولقد مرت عليه ثلاثة أيامٍ ، لم يدخل إلى فمه فيها شئ من الطعام ، وأتت عليه شهورٌ لم يشبع فيها من خُبْز البُرِّ (٥) ، ولو شاء لأجرى الله معه جبال الياقوت والدُّرِّ ، وكانت تمر بآله الشهور لا يُرى فى بيوتهم جمر ، إنما كانوا يعيشون بالأسودين: الماء والتمر .

وحُبِّبَ إليه النساء والطيب وجُعِلت قُرَّةُ عينه فى الصلاة(٦) ، ولم يزل على ذلك حتى لحق بمن هو فى السماء إلهٌ وفى الأرضِ إلهٌ .

أوصافُ خيرِ الخَلقِ ليس لندِّها
نِدٌ وأنْجُمُ نَعْتِهِ لا تُحصَرُ

---

(١) النَّول : العطاء ، والعطية .
(٢) الغَرْث : الجوع .
(٣) اللَّغو : ما لا يُعتد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع .
(٤) الرَّفَث : الكلام القبيح .
(٥) البُرّ : الحنطة .
(٦) حديث : « حُبِّبَ إلىَّ من دنياكم النساء » صحيحٌ على المعتمد انظر : كشف الخفاء (١/٣٣٨) ، والمقاصد الحسنة (١٨٠) ، والدر (١٨٦) ، والفوائد الموضوعة (١٢٥) .

القـدُّ (١) مُعْتَدِلٌ عـليـــــه جَلالَةٌ
والــــــــطَّرفُ أدعَجُ والمُحَيَّا أزهَرُ

فــــــاق الـنَّبيـينَ الـكرامَ بِخـلْقه
وبِخُلُقه لـكنَّهُ لا يَفْخــــــــــرُ

الفــضْلُ فى الأزمَاتِ(٢) مـنه يُرتَجى
والــعَدْلُ والإحْسَانُ عــــنــــهُ يُؤْثَرُ

ولهُ المـقَامـــــاتُ المُعَظَّمُ أجـــرُهَا
ولــهُ الـوسيـلةُ والـلِّوا والـكـوثَرُ

أكْرِمْ بِهِ سَمـــحــــاً جوَاداً لم يزَلْ
من راحـــتـــيـــهِ نـدى المكَارِمِ يَقْطُرُ

مُتَفَرِّداً بِجـــــوامعِ الـكَلِمِ الـتى
مـن طَيِّهـــــا عَرْفُ الـهِدايَةِ يُنْشَرُ

صلَّى عـليـــه اللهُ مـــا هـبَّ الصَّبَا
ومـــحى كِتـــابُ اللَّيْلِ صُبْحٌ مُسْفِرُ

شــعــر الــنبى ﷺ

كان ذا شعر لا يجاوز أذنيه، وفى لفظ : كان يبلغ أو يضرب منكبيه، وكان له شعر فوق الوَفْرة(٣) ودون الجُمَّة(٤)، وكانت شحمة أذنيه تستر منه باللُّمَّة(٥)، وقدم مكة وله أربع غدائر ، قالت أم هانىء : رأيت فى رأسه أربع ضفائر .

(١) القَدُّ : القامة أو القوام . (٢) الأزمَات : الشدائد .

(٣) الوَفْرة :الشعر إذا ما جاوز شحمة الأذن .

(٤) الجُمَّةُ :الشعر يسقط على المنكبين . (٥) اللُّمَّةُ : تلم المنكبين .

وكان يفرق شعـره ويأمر بالفرق ، يا له شعراً أخجل بـضوء فرقه الواضح وميض البرق، وما شانه الله تعالى بالشَّيب، ولا قرن ذاته الشريفة بنقص ولا عيب، كـان فى رأسه ولحيـته شعـر معدود، إذا أدَّهن وارى الدهن بيـاضهن الموجود ، ونهى عن نتف الشيب وقال : «هو نورٌ يوم القيـامة»، والشيبة فى الإسلام ترفع درجة صاحبها وتحط عنه آثامه .

وقال فى حديثـه الذى يجلى من صدأ القلوب ما يجلى : « شـيبتنى هود وأخواتها »[1] وما فعل بالأمم قبلى .

وجاء فى الخبر أنه خضَبَ بالحِنَّاء والكَتَم[2] ، وأمر بتغيير الشيب مخالفةً لليهود والنصارى والعجم، وكان أصحابه يخضبون بالحِنَّاء والكَتَم والصفرة ، ونهى عن الخضاب بالسواد وساق فى معرض الذم ذكره .

مـا شـان خـير الخلـق شـيبٌ
إنمـا هـى أنجمٌ تحـت الـغمَام بَوادِ
فـاحـرص إذا وافـاك شـينُ الشَّيب
أن لا تخـضبن بيـاضـه بسـوادِ

سواك النبى ﷺ وحجامته

كان النبى ﷺ إلى السواك شديد الميل ، وكـان يوضع له ليستاك به إذا قام من الليل ، وما استيقظ فى ليل أو نهار من كـراه، إلا واستعمل السواك قبل وضوئه للصلاة .

(١) الحديث أخرجه الترمذى (٣٣٥١) ، وابن سعد (١/ ٤٣٥) ، والترمذى فى الشمائل (٢٧/ ٤٠).

(٢) الكَتَم : نبت فيه حُمرة يخلط بالوسمة ويصبغ به الشعر .

وكان له مرآة ومشط من عاج، ومِكْحَلَةٌ ومقراضٌ وقدحٌ من زجاج، وقدحٌ يدعى الرَّيان وقدحٌ مضبب ، وثور من حجارة ومغسل من صفر ومخضب.

وكان يكتحل بالأثمد عند النوم ثلاثاً فى كل عين، وفى لفظٍ: يكتحل فى عينه اليمنى ثلاث مرات واليسرى مرتين.

وكان يقص من شاربه ويحفِيه [1] ، ويُظهِر علم سنته الزاهرة ولا يُخْفيه.

وحديث حِجامَتِهِ رواه عِدة من الناس ، وأمره جبريل بالمُغيثَة وهى الحجامة فى الرأس ، واحتجم على الأخْدَعين [2] اثنين وعلى الكاهل [3] واحدة ، وقال : « خير ما تداويتم به الحجامة» فطوبى لمن أخذ بالقبول فوائده .

واظِب على سنن الرسول وفِعلِها
ومن اقتفاء آثاره كُن لاحِقا
واصبر على شرط الحِجامَة واكتحل
وإلى السِّواك سِواكَ لا يك سابقا

منبر النبى ﷺ وخطابته

كان يخطب يوم الجمعة إلى جِذعٍ قائماً ، فشق عليه أن يستمر على القيام فى خطبته دائماً ، فاتخذ له المنبر من أثْلةٍ بالغابة [4] ، بعد أن شاور فى عمله

(١) أى يبالغ فى قصة .

(٢) الأخْدَعان : تثنية الأخدع : عرقٌ فى المحجمتين ، وهو شعبة من حبل الوريد .

(٣) الكاهل : ما بين المنكبين أو موْصل العنق فى الصُّلْب .

(٤) أثْلَة : الأثلة موضعٌ قرب المدينة « مراصد الاطلاع ١/ ٢٦» .

ذوى الرأى من الصحابة ، صنعه غلام العبأَّس[١] درجتين ومَقْعدا ، وسار خبـره فى الناس مُتَّهِماً ومُنْجِدا [٢] ، كـيف لا وهو على تُرْعـةٍ[٣] من تُرَع الجنة، وبِذِروَتِه تُتلى آيات الكتاب وتُحفظ أخبار السُّنة .

وقوائمه موضوعة على الحوض ، ومن حوله روض نبوى يَجِلُّ عن مشابهة الروض .

وإليه تركن الملائكة وبظله تتفيأ الأبرار ، ومن حَلَفَ عليه كاذباً تبوء مقعده من النار .

ولما جلس عند المنبر فقده الجذع الذى كان يقوم إليه ، فحن حنين العِشَار[٤] ولم يسكن حتى أتاه ووضع يده عليه [٥] .

وكان إذا خطب يتوكأ على العصا ، ويشير بأصابعه التى سَبَّح إلى جانبها صُمُّ الحصا .

وكان له بُرْدٌ يَمَنيةٌ وإزارٌ من نسج عُمَان ، لا يلبسهما إلا يوم الجمعة والعيدين ثُم يطويان .

الجـــذع حــنَّ إلى النبى المصطفى

وعلى الحنين لـه دليـلٌ ظاهـرُ

---

(١) وقيل غير ذلك ، انظر « مثير الغرام الساكن ص ٤٦٧» بتحقيقنا .

(٢) مُتَّهما ومُنْجِداً : سار إلى تِهَامة ونَجْد .

(٣) التُرْعَة : الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة . وقيل : الباب . وقيل : الدرجة .

(٤) العِشار : جمع : عُشَرَاء وهى من مضى من حملها عشرة أشهر .

(٥) أحاديث حنين الجذع نقلت نقلاً مستفيضاً يفيد القطع « نظم المتناثر ص ١٣٤ » ، «الخصائص الكبرى ٢/١٢٦ » ، « والأزهار المتناثرة ص ٣٦ » .

لله مِنبَـــرهُ الـذى من حـــــولـهِ
للجـنَّةِ الفـيـــحـــاءِ روضٌ نـاضـــرُ

صلاة النبى ﷺ على الجنائز [1]

كان المســلمون بعد قـدومه إلى المدينة وتمــام هجرته الزكـية ، يُعْلِمُونه إذا حُضِر منهم أحد وأشـرف على المنية ، فـيأتى المُحْتَضَر ويستـغفرُ له ويجلس عنده ، حتى إذا قُبض انصرف أو قعد إلى أن يُدْخِلوه لَحْده .

فربما طالت الشُّقَّة ، وخـافوا أن تحصل له المشـقة ، فكانوا يُعْلِمُونه بالميت بعد قضاء نحبه ، فيأتيه ويُصلى عليـه ويستغفرُ له من ذنبه ، ثم ينصرف بعد الصلاة ، أو يمكث إلى أن يغيَّب فى الفلاة .

ثم كانوا بعد ذلك يحـملون الميت إليه ، فيشهـد جنازته ويصلى عند بيته عليه .

واستقرَّت دوائر الأمر على هذه المراكز ، فسمى المكان الذى كان يصلى فيه موضعَ الجنائز .

طُوبى لـمـن صلـى عليـــــه المـصطـفى
خـــيـــرُ الورى مـن صَحْبِهِ الأبرارِ

---

(١) الجَنَائز : جمع جَنَازة : والجنازة - بفتح الجيم وكسـرها - : اسم للميت والسرير معاً ، وقيل : للميت بالفتح ، والسرير بالكسر ، وقيل : بالعكس ، وقال الأزهرى : لا تسمى جنازة حتى يُشدُّ الميت مكفناً عليه « المشارق : ١/١٥٦ ، الزاهر : ص ١٢٥» .

فلقـــد ثَوى فى جنـةٍ مــرفــوعــةٍ
ولقـــد نجـــاً من شـــرٍّ حــــرِّ النَّارِ

ملابس النبى ﷺ

كـان له بُرْدٌ [١] نجْرانى غليظ الحاشـية[٢] ، وكُمَّةٌ بيـضاء وقـلانس[٣] لاطية[٤] ، وعمامة سوداء صعد بها على المنبر ، ولبسها عند دخول مكة يوم الفتح الأكبر ، وقميص من القطـن قصير الطول واليدين ، وجُبَّة من الصوف وجُبَّة شامية صفيقة[٥] الـكُمَّين ، وبُرد مـن حِبَرَة[٦] له حاشـيتان ، ورداء حَضْرَمـىٌ وإزارٌ مـن نـسـج عُمَان ، وحُلَّة[٧] حمـراء يلبسـها فى الجمـعة والعيدين، وكان يُكثر القِناع[٨] ويلبس الجُرْمُوقَين[٩] والنعلين .

وإذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه وأرخاها ، وإذا توضأ أو سجد رفعها عن جبينه ونحَّاها .

---

(١) بُرْد : ثوب مخطط .

(٢) الحاشية : حاشيتا الثوب : جانباه الطويلان ولا هدب فيهما .

(٣) قلانس : جمع قَلَنسُوَة وقُلَنْسِية ، وهى غشـاء مبطن يستر به الرأس . والكُمَّة: القلنسوة المدورة تغطى الرأس.

(٤) لاطِية : لا صقـة بالرأس ، أشار بذلك إلى قصرها ، وإنما أحـدثت القلانس الطوال فى أيام الخليفة المنصور فى سنة ١٥٣ هـ ، أو نحوها .

(٥) صفيقة : كثيفة النسج .

(٦) حِبَرة : عصب اليمن ، وقيل ثوب أخضر .

(٧) حُلَّة : إزار ورداء بُرْدٌ أو غيره ، ولا تكون حُلَّة إلا من ثوبين ، أو ثوب له بطانة .

(٨) القناع : ما يستر به الوجه .

(٩) الجُرْمُوقين : الجُرْمُوق : الخف الصغير يلبس فوق خف (معرَّب) .

وكان يصبغ ثيابه بالزعفران ، ويظهر للناس وعليه بُردان أخضران .

وأمر بلبس الثياب البيضاء وحرَّض على ترك لبس الحرير كل التحريض .

وكان ضِجاعه من أدَمٍ[١] حشـوه ليف ، وقام فى مِرْطٍ[٢] من صوف لا لين ولا كثيف .

وكانت له مِلْحَفَة مصبوغة ، وصلى على الحصير والفروة المدبوغة .

وكان يرفع إزاره من وارئه ويرخيه من بين يديه ، وأخرج يده للوضوء من تحت جُبَّته وألقاها على كـتفيه ، وتوشَّح بثوب واحـدٍ وقام به إلى الصلاة ، وأمَّ القوم فى شَمْلَةٍ[٣] خالف بين طرفيها وعقدها فى قفاه .

وأمر أن يقول الحاضر من أمـته عند لبس الجديد الآتى : « الحمد لله الذى كسانى ما أُوارى به عورتى وأتجمَّلُ به فى حياتى » .

لَبِسَ الغلـيظَ من البُرُودِ مـــحـــمـــدٌ
أزكى الورى خـيـــرُ الأعـاجِمِ والعَرَبْ
وهو الذى لـو شـــاء أجـــرىَ اللهُ فى
أبيــــاته طـوعـــاً لـه نَهَرَ الذَّهَبْ

---

(١) الأدم : الجلد .

(٢) فى مِرْط : أى كساء طويل واسع من الخز والصوف .

(٣) الشَّملة : كساء من صوف أو شعر يتغطى به أو يتلفف به .

سلاح النبى ﷺ

كان له سيفٌ يقال له المأثور(١)، وسيفٌ بالعَضْبِ(٢) عند العرب مشهور ، وسيفٌ يدعى ذا الفقَار(٣) يصحبه فى الحرب ، ويشهد به مواقف الطعن والضرب ، وسيفٌ يسمى صمْصَامَة(٤) يُرَوِّعُ القلوب ، وسيفٌ قَلعى(٥) والبتَّار (٦) والحَتْفُ(٧) والرَّسُوب(٨) ، وسيفان يعرفان بالمخْذمِ(٩) وبالقضيب(١٠) ، هذه أسيافه التى أخذت من صُحبته بأوفر نصيب .

وكانت له دروعٌ تسَحَّبُ(١١) على السَّحَاب فضل الذُّيُول، وهن : ذات

---

(١) المأثور : وهو أول سيف ملكه ، ورثه عن أبيه ، وقدم به المدينة . وسيفٌ مأثور : فى متنه أَثْر : أى رونق .

(٢) العَضْب : شهد به بدراً ، أرسله إليه سعد بن عبادة .

(٣) ذو الفَقَار : ويقال بكسر الفاء أيضاً ، غنمه يوم بدر ، وكان لا يفارقه فى حروبه ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد .

(٤) الصمصامة : كانت لعمرو بن مَعْدِ كَرِب الزبيدى ، وكانت مشهورة عند العرب .

(٥) سيف قَلَعِى : نسبة إلى مرج القلعة بالبادية إلى جهة همذان « معجم البلدان ٨/ ١٦» .

(٦) البتَّار : أى القاطع .

(٧) الحَتْف : أصابه من سلاح بنى قَيْنُقَاع .

(٨) الرَّسوب : أى الماضى فى الضربة « الفائق ٢/ ١٣٢» ، أصابه من الفُلْس ؛ صنم لطيئ .

(٩) المِخْذَم : من الخذم وهو القطع « الفائق ٣/ ١٣٢» ، أصابه من الفُلْس ، صنم لطيئ .

(١٠) القَضيب : أصابه من سلاح بنى قينقاع .

(١١) تسَحَّب : تدلل .

الوِشاح وذات الحواشى وذات الفُضُول[1]، وفضة[2] والسَّغدية[3] دِرعُ داود عليه السلام ، والبتراء والخَرْنَق [4] وكل منهن لا سهم عندها للسِهام .

وكان له من القِسِيّ : الكتُومُ [5] والزَّوْراء، والروحاء والبيضاء [6] والصفراء [7] .

وكان له كِنَانةٌ [8] يقال لها : الكافور ، ونبالٌ تُدعى المُتَّصِلة ومَنْطِقةٌ [9] من أديمٍ منشور .

وكان له تُرْسان أحدهما يعرف بالزلُّوق[10] ، وتُرْسٌ آخر يفخر على سائر الجُنَن ويفوق .

وكان له مِغْفَرَان وخمسة أرماح ، وحَرْبَتان إحديهما العَنْزَة [11] المُخْجِلةُ ضوءَ الصباح .

---

(١) ذات الفُضُول : سميت بذلك لطولها ، أرسلها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر .

(٢ ، ٣) فِضَّة والسُّغْدية : أصابهما النبى ﷺ من سلاح بنى قينقاع .

(٤) البتراء : سميت بذلك لقصرها . والخَرْنَق : ولد الأرنب .

(٥) الكَتوم : لانخفاض صوتها إذا رمى بها ، كسرت يوم أحد ، فأخذها قتادة بن النعمان .

(٦) البيضاء : ويقال لها : شَوْحَط (من شجر الجبال) .

(٧) الصفراء : كسرت يوم أحد فأخذها قتادة بن النعمان .

(٨) كِنَانَة : جعبة صغيرة من أدم للنَّبْل .

(٩) مَنْطِقَة : هى التى يشد بها الوسط .

(١٠) الزَّلُوق : أى يَزْلَق عند السلاح فلا يخرقه .

(١١) العَنْزَة : وهى صغيرة شبه العُكَّازة يمشى بها بين يديه فى الأعياد حتى تركز أمامه ، فتتخذ سترة يصلى إليها ، وكان يمشى بها أحياناً .

وكـانت له رايةٌ سوداء تسـمى العُقَاب ، وألويةٌ بيـضاء رفـيعـة الجناب ، ومِحْجن[1] وقضيب[2] ومـخْصَرة [3] تسـمى العُرْجون ، وفـسْطَاطٌ يُعرف بالكنِّ ويشتمل على السرِّ المكنون .

بمحـــمـــدٍ خـــيـــرِ الـبـــريةِ يُكْتـــفى
يوم النِّزالِ إذا اكـــفـهـــرَّ [4] المـوقِفُ
هو أثبـتُ الشُّجـعـــانِ عند المُلـتـــقى
وأجلُّ مــن لَبِسَ الســـلاحَ وأشـــرفُ
كم فـلَّ [5] جيـشاً للـعِداةِ عَرَمْرَماً [6]
صـــعـبَ المَرَاسِ بغـــيـــره لا يُكشَفُ
للهِ دِرعٌ لاحَ فـــيـــــه ومِغْفَـــرٌ [7]
ومُهـنَّدٌ فى كــــــفِّـــــهِ ومُثَقَّـــفُ

---

(١) المِحْجَن : كلُّ معوج الرأس كالصولجان .
(٢) القضيب : وكان يسمى المشُوق .
(٣) المِخْصرة : قضيب يشير به الخطيب والملك إذا خاطب « الفائق ١/ ٣٧٤» .
(٤) اكفهر : ركب بعضه بعضاً .
(٥) فلَّ : هزم .
(٦) عرَمرم : كثير .
(٧) المِغْفَر : زرَدٌ ينسج من الدروع على قدر الرأس ، يلبس تحت القلنسوة .

خاتم النبى ﷺ

صُنع له خاتم من ذهب فاتخذه ، ولبسه فى يده مدةً ثم نزعه ونبذه ، وقال : « واللهِ لا ألبسه أبدا » ، ونهى عن اتخاذه ولم يجعل للنهى أمدا .

ثم اتخذ خاتماً كله من فضة ، ونقشه باسمه الذى لم تزل أوراق شرفه غَضَّة ، وكان يختم به الكتب الصادرة من جهته ، وينهى أن ينقش أحد على هيئته وصفته، وبقى فى يده ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عُمَر ، ومن يد عثمان سقط فى بئر أريسٍ[1] ولم يظهر له خبر ، بعد أن طُلب ثلاثة أيام ، وعام بسببه فى البئر المذكورة من عام .

وكان له خاتمٌ فضةٌ ملويةٌ على حديد ، مُشرَّفٌ باسم الله واسمه أخذه من خالد بن سعيد ، لبسه فى يده مدة ، ثم توارثه الخلفاء بعده .

وكان يتختم تارة فى اليمنى وتارة فى اليسرى ، ويجعل فص الخاتم مما يلى بطن كفه التى كم أذهبت عُسْراً .

يا طالبى روض الرِّضا لوذوا بمن
صلى عليه ربُّنا وسلَّماَ
وأنتم يا تابعى سنَّته
تختَّموا فالمصطفى تَخَتَّما

(١) بئر أريس : نسبة إلى رجل من اليهود يقال له أريس ، وهو الفلاح بلغة أهل الشام قديماً، وهى فى حديقة بالقرب من مسجد قباء « وفاء الوفا ٣/٩٤٢» .

نَعْلُ النبى ﷺ

مشى فى نعلين مُقَابَاتين[1] ، وصلىَّ فى نعلين مَخْصُوفتين[2] ، وكان له نعـــلٌ مُعَقَّبَةٌ [3] مُلَسَّنَةٌ [4] مُخَصَّرَةٌ [5] ، ولبـس النـعـال السِّبْتيَّة [6] فيما نقله بعض الصحابة وذكره .

وكان يحبُّ التيَّمن فى تنعله ، وفى طَهُوره وترَجُّلِهِ وفى شأنه كُلِّه .

ولبس خُفَّين أسودين أهداهمـا النَّجاشى إليه ، وكـان ينتعل قائماً وقـاعداً صلى الله وسلم عليه .

البَسِ الخُفَّ والـنِّعـــالَ اقْـــتــــداءً
بالـنبـىِّ الأمىِّ خــــيــــرِ الأنـامِ
ومُحَقَّقٌ أنَّ الـــذى لـــلـــمُقَفَّى
يَقْتَــفـى فــــائـزٌ بدارِ الـسَّـــلامِ

(١) القبال : زمام النعل ، وهو السير الذى يكون بين الأصبعين الوسطى والتى تليها .

(٢) مَخْصوفَتين : الخصف : ضم الشئ إلى الشئ .

(٣) مُعَقَّبَة : أى التى لها عقب .

(٤) مُلَسَّنَة : دقيقة على شكل اللسان .

(٥) مُخَصَّرة : أى قطع خصرها حتى صارا مستدقين .

(٦) السِّبْتِيَّة : جلود البقر المدبوغة بالقَرَظ ، تتخذ منها النعال ، سميت بذلك لأن شعرها قد سُبت عنها أى حلق وأزيل ، وقيل لأنها أنسبتت بالدباغ أى لانت .

أزواج رسول الله ﷺ [1]

[خديجة بنت خُوَيْلد]

تزوج خديجة بنت خُوَيْلِد الأسديَّة سنة خمس وعشرين من الفيل ، سار بِنَظْمِ عقْدها من أنجد وأتْهم ، وكان مبلغ صَدَاقِها عليه خمس مائة درهم .

وسلكت معه سيرةً عُيُونُها بالجميل جارية ، وملكت وضع سائر أولاده إلا إبراهيم فإنه من مارية .

وهى أول من آمن به ومعه صلى ، ولم يتزوج غيرها حتى مضى عمرها وتولى ، ماتت بمكة قُبيل الهجرة[2] ، ودَرَجَت إلى درجة من رفع الله بالإيمان قدره .

[سَوْدَة بنت زَمْعَة] [3]

ثم تزوج سَوْدَة بنت زَمْعَة العامريَّة سنة عشرٍ من النبوة ، وهى أول امرأة تزوجها فى الإسلام ، وأمر فى نظم عقدِها بالإعلان والإعلام .

وكان صَدَاقها أربعمائة درهم من العَيْن[4] ، وبقيت عنده إلى أن رُمِيتْ عنده بسهم البَيْن [5] .

---

(١) ذكر المؤلف أسماء نسائه المدخول بهن وهن اثنتا عشرة امرأة ، منهن ريحانة ، على خلاف فيها ، ومات عليه الصلاة والسلام عن تسع منهن .

(٢) ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح ، وقيل بأربع ، وقيل بخمس « انظر الإصابة ٧/ ٦٠٠» .

(٣) انظر ترجمتها فى « الإصابة ٧ / ٧٢٠» .

(٤) العَيْن : ما ضرب نقداً من الدنانير . يقال : اشتريت بالعين لا بالدين .

(٥) البَيْن : الفُرقة .

ماتت فى المدينة فى آخر أيام عمر[1] ، ودخلت إلى رحمة من سخَّر الليل والنهار والشمس والقمر .

[عائشة بنت أبى بكر الصِّديق] [2]

ثم تزوج عائشة بنت أبى بكر الصِّديق سنة عشرٍ من النبوة ، دخل بها بعد الهجرة ، وقطف منها زَهْرةً ويا لهـا زَهْرة ، كثَّر الله به خيرها ، ولم يتزوج بكراً غيرها .

واستمـرت فى صحبته مبـتهجة بما سمح لهـا الزمان ، إلى أن قُبِضَ عنها وهى بنت عـشرٍ وثمـان ، ثم ماتت فى ولاية مـروان بالمدينة[3] ، بعـد أن شَنَّفت الأسماع من ألفاظه بالجواهر الثمينة .

[حَفْصَة بنت عُمَر] [4]

ثم تزوج حَفْصَة بنت عـمـر بن الخطاب سنة ثلاثٍ من الهـجـرة ، وهى المعروفة بكثرة الصيام ، والمشهورة بالقيام فى جُنْح الظلام ، صاحبته المستحقة للتعظيم والتبجيل ، وزوجته فى الجنة هكذا أخبره عن اللهِ جبريل .

(١) ويقال : ماتت سنـة أربع وخمسين ، ورجَّحه الواقدى ، وابن عـساكر «مخـتـصر تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٧» .

(٢) انظر ترجمة الصادقة ابنة الصديق حبيبة حبيب الله فى « الإصابة ٨/ ١٨ » .

(٣) ماتت سنة ثمان وخـمسين، وصلى عليها أبو هريرة ، ودُفنت بالبقيع لـيلاً ، ونزل قبرها القاسم بن مـحمد ، وعبـد الله بن عبد الرحمن ، وعـبد الله بن أبى عتيق ، وعـبد الله وعروة ابنا الزبير .

(٤) انظر ترجمتها فى « الإصابة ٧/ ٥٨١ » .

أقامت تحت ظل جناحه ، مُستضيئة بأنوار مصباحه ، إلى أن غابت شمس ذاته اللطيفة ، ثم ماتت سنة خمسٍ وأربعين بالمدينة الشريفة .

[زينب بنت خُزَيمة] (١)

ثم تزوج زينب بنت خُزيمة القيسيَّة سنة ثلاثٍ من الهجرة ، خطبها فجعلت إليه أمرها ، فقرر على خمسمائة درهم مهرها .

وكانت تدعى « أم المساكين » لرقتها عليهم ، ورأفتها بهم وإحسانها إليهم، مكثت فى صحبته ثمانية أشهر ، ثم انتقلت ببركته إلى جناتٍ وأنْهُر ، فصلىَّ عليها ودفنها بالبقيع (٢) ، ولعمرى لقد ظفرت من دعائه بالجنة الواقية والحجاب المنيع .

[أم سَلَمَة] (٣)

ثم تزوج أم سَلَمَة هند بنت حُذَيفة(٤) المخزوميَّة سنة أربعٍ من الهجرة ، دخل بها فى السنة المذكورة ، ونظمها فى سلك السالكين تحت أعلامه المنشورة ، ونقلها إلى بيت زينب بعد خلوه من أُنْسها ، فصنعت له طعاماً

---

(١) انظر ترجمتها فى « الإصابة ٧/ ٦٧٢ » .

(٢) البقيع : البقيع فى اللغة - أصلاً - الموضع الذى فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، وهو مقبرة أهل المدينة « معجم البلدان ١/ ١٦٦ » .

(٣) انظر ترجمتها فى « الإصابة ٨/ ٢٢١ » .

(٤) ويلقب زاد الراكب ؛ لأنه كان أحد الأجواد ؛ فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد ، بل يكفى رفقته من الزاد .

من الشعير والوَدَك[1] بيدها ليلة عرسهـا ، وكانت وفاتها فى ولاية يزيد بن معاوية ، بعد أن حدثت عنه بما يروى ظمأ السامع والراوية .

[زينب بنت جَحْش] [2]

ثم تزوج زينب بنـت جَحْش سنة أربعٍ من الهـجـرة ، زوَّجـه الله تعـالى إياها، ونضَّر بنظَره إليهـا مُحياها ، وأنزل فيـها آية الحجاب ، وأسبل عـليها أثواب الثيـاب ، ويكفيهـا ذلك شرفاً ، وحَسْبُهـا ما حصل لهـا من الحسب وكفى، ماتت بطيبة بعد مغيب ذكائه ، وكانت أول لاحقة به من نسائه[3] .

[جُويرية بنت الحارث] [4]

ثم تزوج جُويرية بنت الحارث الأُزْديَّة سنة خمس من الهجرة ، سباها يوم المُريسيع سنة خمسٍ ، وحباها وحماها حماية الشمس من اللمس .

وكان اسمها بَرَّة فَحَوَّله ، ومدَّ عليها ظِل الإحسان وطوَّله .

ماتت فى ولاية مـروان بيثرب[5]، وحـملت إلى مَحْلِّ الرحمـة بإذن رب المشرق والمغرب .

---

(١) الوَدَك : الدَّسَم ، أو دَسَم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه .

(٢) وكان اسمها برَّة ، فسماها زينب ، انظر ترجمتها فى « الإصابة ٧/ ٦٦٧ » .

(٣) توفيت سنة عشرين ، وقيل : إحدى وعشرين .

(٤) انظر ترجمتها فى « الإصابة ٧/ ٥٦٥ » .

(٥) توفيت بالمدينة فى شهر ربيع الأول سنة خمسين ، وقيل : ست وخمسين ، وصلى عليها مروان بن عبد الملك وهو أمير المدينة .

[رَيْحَانة بنت زيد] [1]

ثم تزوج رَيْحَانة بنت زيد سنة ستٍ مــن الهجــرة ، كانت امــرأة جمــيلة وسيمة ، عديمة النَّظير فى بنى النضير كريمة .

وُضِعت ثم رفـعت ، وفى السبى يوم بــنى قُريظة وقعت ، فـخيـرها بين الإسلام ودينهــا ، فاختارت مــا يُزْلِفُها[2] عند مَعِيدَها ومَعِينَهــا ، فأصدقـها خمسمائة درهم ، وبيَّن بضرب الحجاب عليها أمرها المُبهم .

ماتت بالمدينة بعد حَجَّة الوداع ، ومُنيت بالتفريق بعد الإجتماع .

[أُم حَبيبة] [3]

ثم تزوج أُمَّ حَبيبة رَمْلة بنت أبى سفيان سنة سبعٍ من الهجرة ، زوَّجها منه خالدُ بن سعيد ، وهى من أرض الحبشة فى مكان بعيد ، وأصدقها النَّجاشى عنه أربعمائة دينار، وبعث بها إليه مُجهَّزة على ما يُحِبُّ ويختار .

ماتت فى ولاية مُعاوية أخيها[4] ، ومضت يرحمها الله سبحانه ويقيها .

---

(١) انظر ترجمتها فى « الإصابة ٧/ ٦٥٨ » .

(٢) يُزلِفُها : يُقَرّبها .

(٣) انظر ترجمتها فى « الإصابة ٧/ ٦٥١ » .

(٤) توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين .

[صفيَّة بنت حُيىّ]

ثم تزوج صفيَّة بنــت حُيىٍّ الهارونية[1] سنة سبعٍ من الهــجرة ، اصطفاها في غزوة خــيبر لــنفسه ، وجــعل عِتْقَهَا صَدَاقَهَا على ما أخــبر به الثـقة فى طَرْسِه[2] .

وكانت شابة جميلة ، نبيهة فى قــومها نبيلة ، ماتت سنة خمس وخمسين بالمدينة ، وخَلَّفت من الأرض والعَرَضِ ما قيمته ثمينة [3]

[ميمونة بنت الحارث] [4]

ثم تزوج ميمــونة بنت الحارث العامرية سنة سبــعٍ من الهجرة ، تولى نظم عِقْدِها عمُّه العباس ، وتجلى نَجْمُ سَعْدِها مضيئاً كالمقياس .

واستمرت كارعةً[5] من بحره النَّمــير[6] ، إلى أن أفل عــنهــا - بــالرغم منها- بدرها المُنير .

(١) الهارونية نسبة إلى هارون بن عمران عليــه الصلاة والسلام، انظر ترجمتها فى « الإصابة ٧/ ٧٣٨ » .

(٢) الطَّرْس : الصحيفة ، وبعض العلماء يعد ذلك من خصائصه عليه الصلاة والسلام .

(٣) دفنت بالبقيع ، وورَّثت مائة درهم .

(٤) انظر ترجمتها فى « الإصابة ٨/ ١٢٦ » وكان اسمها بَرَّة فسماها النبى ﷺ ميمونة .

(٥) كارعَة : كَرَعَ الماء : تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء .

(٦) النَّمير : العذب .

ماتت بِسَرِفٍ [1] قريباً من البلد الحرام ، والله الدائم الباقى على مر الليالى والأيام . .

يا أمهات المؤمنين بربهم
طوبى لكُنَّ بِصُحْبَةِ المختارِ
قد خصَّكُنَّ اللهُ بالشَّرفِ الذى
ما مثْلُهُ وبرِفْعَةِ المِقدارِ
فُزْتُنَّ بالهادى البَشيرِ مُحَمَّدٍ
خيرِ الأنام وسيِّدِ الأبرارِ
مِنِّى عليكنَّ السلامُ المُرْتَضَى
ما غَرَّدَ القِمْرِىُّ فى الأسحارِ

أولاد النبى ﷺ [2]

ولِدَ له **القاسم** ، المعروف بالعُرْف النَّاسم ، الذى كان به يُكَنَّى ، وله يُعَوِّذُ بأسماء الله الحسنى، مات بمكة صغيراً، وسبق ليلحق نعيماً ومُلكاً كبيراً.

---

(١) سَرِف : هو موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل: على سبعة، وتسعة ، واثنى عشر «معجم البلدان ٣/ ٢١٢ » .

(٢) وقد جمعهم بعضهم فى هذه الأبيات :

فأول ولد المصطفى القاسم الرضى	به كنية المختار فافهم وحَصِّلا
وزينب، تتلوها رقية بعدها	وفاطمة الزهراء جاءت على الولا
كذا أم كلثوم تُعَدُّ ،وبعدها	فى الإسلام عبد الله جاء مكمِّلا
وكلهم كانوا من خديجة،	وقد جاء إبراهيم فى طيبة تلا

ثم **زينب** أم على وأُمامة ، الرافلين فى حُلل القَسَامة[1] والوسامة ، ولدى أبى العاص بن الربيع[2] ، الفائز بالـوصول إلى هذا المنزل الرفيـع ، توفيت بعد الهجرة سنة ثمان ، ومضت مع المؤمنين إلى دار الأمان .

ثم **رُقَيَّة** الراقى محلِّها على كَيْوَان [3] ، أُمُّ عبد الله بن عثمان بن عفان ، ماتت سنة اثنين من الهجرة ، ونزلت بمن يُثيب الطائع ويجزل أجره .

ثم **فاطمة** أم الحسن والحسين، الإمامين السَّيديـن السَّعيدين الشَّهـيدين ، ابنى على بن أبى طالب ، الغيث الهادى واللَّيث الغالـب ، توفيت بعد أبيها بثلاثةِ شهور[4] ، وانتقلت إلى رضوان العزيز الغفور .

ثم **أُمُّ كُلْثُوم** ذات الشرف المعلـوم ، والنظير المعدوم ، زوجـة عثـمانَ ذى النُّورين ، الآوى منها ومن أخـتها رُقَيَّة إلى طُورَيْن[5] ، ماتت بعـد الهجرة عام تسعة ، وسارت إلى محل السرور والرفعة .

ثم **عبد الله** ويسـمى الطيب الطاهر ، المولود بعـد مبـعث أبيـه الكوكب الزاهر، مات صـغيراً بمكة بعـد أخيه القـاسم ، وذوى سريعـاً غُصنه الباسق ونوره الباسم .

ثم **إبراهيم** صاحب الظئر[6] فى الجنة ، ونجل سيد الثقلين الإنس والجِنَّة، توفى سنة عشر للهـجرة صغيراً ودفن بالبقـيع ، بعد أن صلىَّ عليه من صلىَّ بالملائكة والنبيين فى الرَّقيع .

---

(١) القَسَامة : الحُسن والجمال .

(٢) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ، وهو ابن خالة زينب . (٣) كَيْوَان : زُحَل .

(٤) وقيل : ستة أشهر «مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٢٦٣» ، وهو أرجح الأقوال .

(٥) طُورَيْن : تثنية طور ، جبل معروف .

(٦) الظئر : المُرضع ، وأصل الظئر من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها .

وفى زينب يقول أبو العاص ابن الربيع :

ذكـــرتُ زينبَ لما جـــاوزوا إرَمـــاً (١)
وقلت : سُقْيـا لشـخصٍ يسكنُ الحَرَمـا
بنـتُ الأمينِ جـزاهـا اللهُ صـالحـــةٌ
وكلٌّ بـعلٍ ســـيُثْنى بالـذى عَلِمـــا

كُتَّاب النبى ﷺ

أبو بكر الصـديق ، وعُمَرُ عَامِرُ منزل التـحقـيق ، وعـثمـانُ ذو النورين الباهرين ، وعلىٌ والد الإمـامين الطاهرين ، وخالدٌ(٢) وإبانٌ(٣) وسعيدٌ (٤) بنو العاص ، وعـامرُ بن فُهَيْرَة (٥) رافع لواء الولاء والإخلاص ، وعـبد الله ابن الأرْقَم(٦) وحَنْظَلَة بن الرَّبيع(٧) ، وأُبَىٌّ بن كـعبٍ الآوى من كتـاب الله

(١) إرم : جبل من جبـال حسمى من ديار جُذام ، والبيتين فى الطبـقات الكبرى (٨/ ٣٢) ، وعيون الأثر (٢/ ٣٧٩) .

(٢) هو خالد بن سـعيد بن العـاص ، أسلم بعد أبى بكر ، وكان أول من كـتب لرسول الله ﷺ . وقيل : أول من كتب « بسم الله الرحمن الرحيم » «الإصابة ٢/ ٣٣٦» .

(٣) هو أبان بن سعيـد بن العاص بن أمية بن عبد مناف القـرشى الأموى ، قتل يوم أجنادين سنة ثلاث عشرة « الإصابة ١/ ١٥» .

(٤) هو سعيد بن سعـيد بن العاص بن أمية ، أسلم قبل الفتح بيسـير ، واستعمله النبى ﷺ على سوق مكة « الإصابة ٣/ ١٠٥ » .

(٥) هو عامر بن فُهَيْرَة التيمى ، مولى أبى بكـر الصديق ، أحد السابقين ، وكان ممن يُعذَّب فى سبيل الله « الإصابة ٣/ ٥٩٤ » .

(٦) هو عبد الله بن الأرقم بن أبى الأرقم ، أسلم يوم الـفتح ، وكتب للنبى ﷺ ولأبى بكر وعمر ، وكان على بيت المال أيام عمر ، توفى فى خلافة عثمان « الإصابة ٤/ ٤ » .

(٧) هو حَنْظَلَة بن الربيع بن صـيفى التيـمى ، ويعرف بالكاتب ، مـات فى إمارة مـعاوية=

إلى حصنٍ منيع ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والمُغـيرة بن شُعبة فاتحُ ميسان ، ومحمد بن مسلمــة البطل المِقدام ، وزيدٌ بن ثابت والزبير بن العوَّام ، وثابتُ ابن قيسٍ[1] وشُرَحْبيل [2] ، والعــلاء بن الحَضْرَمى[3] الباسلُ [4] النبيل، وعمرو بن العاص وعبد الله بن رواحة ، وخالدٌ بنَ الوليد الموصوف بالحماسة والسـمـاحة ، وعـبـد الله بن زيد وجُهَيمُ [5] المِفْضَال ، وحـفـيـدُ أُبىَّ بن سَلُول[6] ومُعَيْقيبُ [7] أمين بيت المال .

=«الإصابة ٢/ ١٣٤».

(١) هو ثابت بن قيس بـن شماس ، وكان خـطيب رسول ﷺ ، وخطيب الأنصار ، شـهد أحداً ومـا بعدها من المشاهد ، قـتل يوم اليمامـة فى خلافة أبى بكر الصـديق « الإصابة ١/ ٣٩٥».

(٢) هو شُرَحْبيل ابن حسنة ، وهى أمه على ما جـزم به غير واحد ، وأبوه عبد الله بن المطاع ابن عبد الله الغطريف ؛ وهو أول من كتب لرسول الله ﷺ «الإصابة ٣/ ٣٢٨» .

(٣) استعمله النـبى ﷺ على البحرين ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر ، وكـان مجاب الدعوة ، وخاض البحر بكلمات قالها، وهو أول من بنى مسجداً فى أرض الكفر ، وأول من نقش خاتم الخلافة « الإصابة ٤/ ٥٤١ » .

(٤) الباسل : من أسماء الأسد .

(٥) هو جُهَيم بن الصَّلْت بن مـخرمـة بن المطلب ، أسلم بعد الفتح ، وقيل : أسلـم عام خيبر، وكان يكتب أموال الصدقات « الإصابة ١/ ٥٢٤» .

(٦) هو عبـد الله بن عبد الله بن أُبى بن سلول ، شهـد بدراً وأحداً والمشاهد ، وكان اسمه الحبـاب فسمـاه رسول الله ﷺ عبـد الله ، استشـهد باليمـامة فى قتـال الردة « الإصابة ٤/ ١٥٦ » .

(٧) هو مُعَيْقيب (ويقال : مُعَيْقب) بن أبى فاطمـة الدوسى من السابقين الأولين ، هاجر إلى الحبشة ، وقدم على النبى ﷺ بالمدينة فى السفـينتين ، واستعمله أبى بكر وعمر على بيت المال ، وتوفى فى آخر خلافة عثمان ، كـان على خاتمة ، ويقال : كان خازنه. «الإصابة ٦/ ١٩٤» .

قـل للـكرامِ الـكاتـبـين أبشـــــروا
بِصُحـــبـــةِ الـهـــادى أبى الطـاهرِ
مَنْ مِثْلُكُمُ فـى الحَظّ والحَظـيـــــــا
كُتَّابَ وحـى الملِكِ الـقـــــــــاهِرِ

رُسُل النبى ﷺ

عَمْرُو بن أُميَّة الضِّمْرى (١)

بعثـه إلى النَّجاشـى بكتاب ، يُرشـده فيه إلى طـريق الصواب ، فـأخذه ووضعـه على عينيه ، ونزل عن سريـره فجلس بين يديه ، ثم أسلمَ فَسَلِم ، وشهد من الحق بما عَلِم ، وقام بما يجب من تـعظيم رسوله وكتابه ، وأرسل إليه امتثالاً لأمره بمن قِبَلَهُ من أصحابه .

دِحْيَة بن خليفة الكَلْبى (٢)

بعثـه إلى هِرَقْل ملك الرُّوم ، ومعـه كتـابٌ بنقْش الهداية مَرْقُوم ، فـقرأ الكتاب وهمَّ بالإسلام ، فقوبل من أصحابه بالتعنيف والمَلاَم، فأعرض إشفاقاً على مُلكه ، وأمسك خوفاً من توصُّلِهم إلى هَلكه .

---

(١) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس الضمرى أبو أمية ، أسلم ثم هاجر إلى المدينة، وكان من أجياد العرب ورجالها ، مات فى أيام معاوية «الإصابة ٤/ ٦٠٢» .

(٢) هو دحية بن خليفـة بن مروة الكلبى، أسلم قديماً ، ولم يشهد بدراً وشـهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ بعد بدر، وكان من أجمل النـاس ، وكان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ على صورته ، ودحية فى لغة أهل اليمن : الرئيس «الإصابة ٢/ ٢٨٤» .

عبد الله بن حُذافَة السَّهْمى [1]

بعثه إلى كِسْرى[2] ملك فارس ، وجهَّز معه كتاباً مشتملاً على غرس النصح فأكرم بالغارس ، فمزَّق الكتاب ، ونكص عن الجواب ، فلما بلغه ذلك دعا عليه بالتمزيق ، فمزَّق الله ملكه وملك قومه وبالله التوفيق .

حاطب بن أبى بَلْتَعَة اللَّخْمى [3]

بعثه إلى المُقَوْقِس ملك الإسكندرية ، وهو يومئذ عظيم القبط بالديار المصرية ، يأمره بالهداية ، وينهاه عن الغواية ، فقال خيراً وقارب الأمر ، لكنه لم يُسْلِم فلم يَسْلَم من حرِّ الجمر ، وأرسل إليه مارية وأختها ، وهديَّةً رأى لسان القلم أن يختصر نعتها[4] .

---

(١) هو عبد الله بن حُذافَة السهمى القرشى أسلم قديماً ، وكان من المهاجرين الأولين ، وشهد بدراً ، توفى فى خلافة عثمان بمصر ، وشهد فتحها «الإصابة ٤/ ٥٧» .

(٢) اسمه أبرويز بن هرمز ، كذا سماه غير واحد .

(٣) شهد بدراً والمواقع كلها ، وكان أحد فرسان قريش وشعرائها فى الجاهلية مات فى المدينة عام ٣٠ هـ ، وصلى عليه عثمان رضى الله عنها «الإصابة ٢/ ٤» .

(٤) الهدية هى : فرساً يقال له : اللذاذ ، وبغلته دُلْدل ، وحماراً ، وغلاماً خصياً ممسوحاً ، وقدحاً من قوارير .

شُجَاعُ بن وهب الأَسَدِي [1]

بعثه إلى الحارث ملك البلقاء من الشام ، وأرسل معه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ، فقرأه ووقف عليه ، ورمى به قائلاً : أنا أسير إليه ، ثم أنه عزم على المسير ، لكنه انقلب خاسئاً وهو حَسير .

سُلَيْطُ بن عمرو العامرى [2]

بعثه إلى هوذة بن علىٍّ باليمامة ، يدعوه إلى ما يدنيه من دار المقامة ، فأكرم الرسول وأنزله ، ثم كتب : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأثنى على نفسه فى خطابته وشعره ، وطلب منه أن يجعل له بعض أمره ، فأبى عليه فى مرامه ، ولم يلتفت إلى ما نمقه من كلامه .

عمرو بن العاص

بعثه إلى جيفر ملك عُمَان ، يستدعيه إلى الإيمان والأمان ، فأسْلَمَ وسَلَّم، وبكلمة الصدق والحق تكلَّم ، وخلَّى بين الصدقة وبين عمرو ، وفوَّض إليه مقاليد النهى والأمر .

---

(١) هو شجاع بن وهب ، أسلم قديماً ، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وعاد إلى مكة ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، استشهد باليمامة وهو ابن بضع وأربعين سنة « الإصابة ٣/ ٣١٦ » .

(٢) هو سُلَيْطُ بن عمرو العامرى ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً ، وقتل باليمامة سنة اثنتى عشرة ، وقيل : أربع عشر «الإصابة ٣/ ١٦١ » .

العلاء بن الحَضْرَمِىّ

بعثه إلى المُنْذر العبـدى ملك البحرين ، ومعه كتـاب ينطق لذى الشهادتين بأجور ولا أقول بأجرين ، فقرأ الكتاب، وأحسن الخطاب ، وأسلم وصدَّق، وطُلَّة الغىِّ طَلَّق[1] ، وهَجَرَ من لم يُسـلِم من أهل هَجَرْ[2] ، وظهر بخلقٍ يُقرِّبه ممن خلق كل شئ بقدر .

رُسُل النـبىِّ إلـى الملـوكِ تجـــهَّـــزوا
يدعَـــونـهم بِدعـــايـةِ الإســـلامِ
فَلِمنْ أطاعَ كـــرامـــةٌ ، ولمن عـــصى
خِزىٌ يـدومُ علـى مـــــدى الأيـامِ

خُدَّام النبى ﷺ

أنسُ بن مالك وعـبد الله بن مسـعود [3] ، وأبو ذرٍ البـالغ بصدقـه ذِرْوَة المقصود ، وربيعةُ بن كعب[4] وعُقْبةُ بن عامر[5] ، وأسلعُ بـن شَرِيكٍ [6]

(١) طُلَّة الغىِّ طَلَّق : الطُّلَّة : الزوجـة ، شـبه ثبـوت الغى فى القـلب بثبـوت الزوجـة فى العصمة.   (٢) هَجَرْ : مدينة هى قاعدة البحرين «مراصد الاطلاع ٣/ ١٤٥٢ » .

(٣) كان عبد الله بن مسـعود صاحب نعليه ، كان إذا قام ألبسه إياهمـا ، وإذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم .

(٤) هو ربيعة بن كعب أبو فراس الأسلمى «مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٢٨ » .

(٥) هو عقبة بن عـامر الجهنى ، صاحب بغلته ، يقود به فى الأسـفار ، وهو أحد من جمع القرآن «الإصابة ٤/ ٥٢٠» .

(٦) كان يخدم النبى ﷺ وصاحب راحلته « الإصابة ١/ ١٥٨» .

الظافر بالغيث الهامر ، وسعدُ مولى أبى بكر الصديق، وبلالٌ رئيس المُؤذِّنين على التحقيق ، وأبو الحَمْراء[1] وذو مِخْمَرَ[2] ، وبُكَيرٌ[3] الذى أورق غصن سعده وأثمر .

خُدَّام خير الورى أكرمْ بهم نَفَراً
كم زهْرةٍ قطفوا من روضِ نِعْمَتِهِ
لو لم يكن لهم حَظٌ له مَدَدٌ
من السعادةِ ما فازوا بِخِدْمَتِهِ

موالى رسول الله ﷺ

زيد بن حارثة وأسامةُ بن زيد، وأيمنُ[4] الشهيد بحُنَين وأسلمُ بن عُبيد[5]، وأبو رافعٍ[6] وثوبان ، وأبو مَسْروحٍ وشُقْران[7]،ويَسَارٌ ورَبَاح[8]،

---

(١) أبو الحمراء ، هلال بن الحارث السلمى « الإصابة ٦/ ٥٨٤» .

(٢) ذو مِخْمَر : ابن أخو النجاشى ويقال : ابن أخته . ويقال : ذو مخبر « الإصابة ٢/ ٤١٢» .

(٣) بُكير بن شدَّاخ الليثى ، ويقال : بكر ، وكان ممن يخدم النبى ﷺ وهو غلام ، فلما احتلم أعلم النبى ﷺ بذلك فدعا له « الإصابة ١/ ٣٢٤» .

(٤) هو أيمن بن عبيد بن أم أيمن ، أخو أسامة بن زيد لأمه ، وكان على مطهرة النبى ﷺ .

(٥) ذكره الدمياطى فى موالى رسول الله ﷺ « الإصابة ١/ ٦٣ » .

(٦) واسمه أسلم ، وقيل إبراهيم ، وقيل : هرمز ، وكان للعباس بن عبد المطلب ، وقيل: كان لسعيد بن العاص بن أحيحة.

(٧) كان حبشياً ، وكان ممن حضر غسل رسول الله ﷺ ودفنه ، وهو الذى طرح القطيفة تحت رسول الله ﷺ فى قبره « الإصابة ٣/ ٣٥٢ » .

(٨) هو رباح الأسود وكان يأذن على رسول الله ﷺ «مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٠١» .

وفَضَالة [1] الطائر بجناح النجاح ، وأبو كبشة[2] وطَهْمَان ، وأبو السَّمْح[3] وكَيْسَان [4] ، وأفلحُ وهابورٌ ورافـع ، ومِدعمٌ وكَرْكَرَةْ [5] ونافـع ، وأبو مُوهبَة [6] وذكْوان ، وأبو لُبـابة ومَرْوَان ، وهـاشمٌ وسَنْدَرٌ وحُنينٌ ويزيد ، وزيدٌ وعبيدٌ وسـعدٌ وسعيد ، وأبو واقدٍ وضُمَيرةُ وأبو عـسيب ، وسفينة [7] الفائز من خدمته بأوفى نصيب .

وأم أيمن وسلمى [8] وريحانة ، ومارية التى علت بولدها بَهْرَام [9] الفَلَكِ وكَيْوَانَة [10] ، وربيحـة وميـمونة [11] ، وخـضرةُ الأمـينة المأمـونة ، وأم عِيَاش[12] ورضوى ، وأم ضميرة الثاوية فى أعزِّ مثوى .

---

(1) وكان من أهل اليمن .

(2) أبو كبشة : حاضن النبى ﷺ الذى كانت قريش تنسبه إليه ، فتقول : قال ابن أبى كبشة « الإصابة ٧/ ٣٤٢ » .

(3) أو السمح يقال إن اسمه أبو ذر ، وكان يخدم رسول الله ﷺ « الإصابة ٧/ ١٨٩» .

(4) كيسان ويقال : مِهْران أو ميمون أو هرمز « الإصابة ٦/ ٣٣٢ » .

(5) كَرْكَرَةْ : وكان نوبيـاً أهداه له هوذة بن على الحنفى اليمامى فـأعتقـه ، وكان يمسك دابة النبى ﷺ عند القتال يوم خيبر « الإصابة ٥/ ٥٨٧ » .

(6) ويقال : أبو مـوهوبة ، وأبو مُوَيهبـة ، شهد غـزوة المُرَيسيع ، وكـان ممن يقود لعـائشة جملها « الإصابة ٧/ ٣٩٣ » .

(7) كان أصله من فارس فاشترته أم سلمة ، ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبى ﷺ ، واختلف فى اسمه على إحدى وعشرين قولاً «الإصابة ٣/ ٣٣٢» .

(8) سلمى هم أم رافع زوج أبى رافع « الإصابة ٣/ ٢٩٥ ، ٧/ ٧١١» .

(9) بَهْرَام : لفظ فارسى الأصل ، يطلق على المريخ أحد الكواكب السبعة .

(10) كَيْوَان : زُحَل .

(11) هى ميمونة بنت سعد ، وروى لها أصحاب السنن الأربعة « الإصابة ٨/ ١٢٩ » .

(12) أم عياش : وقيل كانت أمة لرقية بنت النبى ﷺ « الإصابة ٨/ ٢٧١» .

مـــوالىِ خـيـــرِ خَلْقِ اللهِ كـــانوا
نجـــومَ المجـــدِ فى أُفُقِ المعـــالى

أيـا من قَصْدُهُ الإعـــرابَ عـنهـم
هـمُ الســـــاداتُ فـى زىِّ المـوالــى

خيل النبى ﷺ ودوابُّه

كان له فرسٌ أدْهم يسمى السَّكْبَ (١) لخفته، وفرسٌ أشْهب يُدعى المُرْتَجِز لحسن صهيله وغُنَّتِه .

واللُّحَيف(٢) الذى يلحفُ الأرض بذيله الطويل ، واللَّزاز(٣) والظَّرِبُ (٤) اللَّذان لا نظير لهما فى العاديات ولا مثيل .

والوَرْدُ (٥) الذى أنْعَمَ به على عمر، وسبْحَة (٦) التى سابق بها فلم يُدْرَك لها أثر.

هذه سبعة أفـراس متفق عليها ، وذكر الرواة له غـيرها من الخيل وأشاروا إليها .

---

(١) السَّكْب : ومعناه : خفيف الجرى سريعـه ، شبه بفيض الماء وإنسكابه ، وهو أول فرس ملكه النبى ﷺ ابتاعه بالمدينة ، فكان أول ما غزا عليه أُحُداً .

(٢) ورواه بعضهم بالجيم فإن صح فهو من السرعة .

(٣) اللَّزاز : من قولـهم : لازته أى : لاصقتـه، وكان يلزق بالمطلوب لسـرعتـه ، وقيل : لاجتماع خَلْقِه وقيل معناه : لا يسابق شيئاً إلا لزه أى: أثبته ، وأهداه له المقوقس .

(٤) الظَّرْب : وهو الكريم من الخيل ، وإنما سمى بذلك لقوته وصلابة حافره ، أهداه له فروة ابن عمرو الجُذامى . وقاله الواقدى : الطِّرب .

(٥) الوَرْد : وهو لون بين الكميت الأحمر والأشقر ، أهداه له تميم الدارى .

(٦) سَبْحة : سمى بذلك من قولهم : فرس سبح ، إذا كان حسن مَدَّ اليدين فى الجرى .

وكانت له بغلةٌ شهباء يقال لها دُلْدُلٌ [١] مشهورة الأمر ، وبغلةٌ تسمى فَضَّةً أهداها له الجُذامى فَرْوة بن عمرو[٢] ، وبغلةٌ بيضاء بعث إليه صاحب أيلة[٣] بها وبكتابه ، وبغلةٌ أهداها له أصحاب الجَندَل[٤] مع جُبَّةٍ من ثيابه .

وحِماران أحدهما عُفَيرٌ [٥] والآخر يَعْفُور [٦] ، هذه عدَّتها حسب ما هو فى كتب القوم مسطور .

وكانت له ناقةٌ تسمى العَضْبَاء هاجر عليها إلى المدينة ، وجملٌ أحمرٌ وقف عليه بعرفة أين الجَدِيلُ [٧] من رُتْبَته المكينة، وجملٌ يقال له الثعلب معروفٌ فى ذلك الصدر ، ومُهَرىٌ [٨] له بُرَةٌ [٩] من فضة غَنِمهُ يوم بدر ، ومُهْرية من نَعَمِ بنى عقيل بالهامرية ، وعِدَّةُ لِقَاح [١٠] منها : بُردة ومروة والعريس والسَّعدية .

وكان له قطيعٌ من الغنم منه: غوثة وبركة وزمزم وقمر ، هذا نص ما وردت به النقول وصح فى الخبر .

(١) الدلدلة : تحريك الرأس والأعضاء فى المشى ، وأهداه له المقوقس .

(٢) هو فروة بن عمرو بن ودقة الأنصارى ، شهد بدراً والعقبة «الإصابة ٥/ ٣٦٤» .

(٣) أيْلَة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام . وقيل هى آخر الحجاز وأول الشام . « معجم البلدان ١/ ٢٩٢ » .

(٤) الجَنْدَل : يقصد بها : دومة الجَنْدَل : من أعمال المدينة .

(٥) عُفَيْر : مأخوذ من العُفْرَة ، وهو لون التراب .

(٦) يَعْفور : اسم ولد الظبية ، سمى بذلك لسرعته .

(٧) الجَديل : كان فحلاً من الإبل للنعمان بن المنذر .

(٨) المهرى : إبل تنسب إلى مهرة ، قبيلة باليمن .

(٩) البُرَة : حلقةٌ من صفر أو غيره توضع فى أحد جانبى البعير للتذليل .

(١٠) اللِّقاح : جمع لِقحة بكسر اللام وفتحها ، وهى الناقة ذات الدَّر ، لم يمض على ولادتها أكثر من ثلاثة أشهر .

خيلُ الرسولِ سبعةٌ مسطوره

ودُلْدُلٌ بغلتُهُ مشهوره

والناقةُ العضْباءُ نِعْمَ الصوره

صورتها المحمودةُ المشكوره

وهكذا أنعامُهُ المذكوره

عِدتُها مضبوطةٌ محصوره

فاجنح إلى سيرتهِ المأثوره

واترك أمانى نفسكَ المغْروره

تحيةٌ أزهارها ممطوره

منى عليهِ لم تزلْ منشوره

الغزوات والسرايا والوفود [1]

سرية حمزة بن عبد المطلب [2] إلى سيف البحر [3]

سنة إحدى من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى رمضان عام الهجرة ، وعقد له لواء يهدى بالبياض من لونه إلى طريق النُّصرة .

---

(١) الغزوات ثمان وعشرون ، والسرايا أربع وخمسون ، والوفود ثمانية.

(٢) حمزة بن عبد المطلب : عم النبى ﷺ ، وأحد صناديد قريش ، حضر وقعة بدر وغيرها، وقتل يوم أحد «الإصابة ٢/ ١٢١ » .

(٣) سيف البحر : ساحله .

وهو أول لواء عقده الرسول ، وحمله أبو مَرْثَد الغَنَوى [١] فأكْرِم بالحَامِلِ والمحمول .

فسار فى ثلاثين من المهاجرين يطلب عير أبى جهل بن هشام ، وكان قد آب فى ثلاثمائة قرشى من بلاد الشام ، فالتقوا بسيف البحر من ناحية العِيص[٢] ، واصطفوا قائلين : لا مَحِيدَ عن القتال ولا محيص ، فمشى بين الفريقين حليفُها مَجْدىٌّ بن عمرو [٣] ، حتى منعهما من الوقوع فى أشراك العِرَاك [٤] وانفصل الأمر .

وفى هذه السرية يقول حمزة من أبيات :

فما بَرِحوا حتى انتدبتُ لغَارة
لهُم حيثُ حَلّوا ابتغى راحَةَ الفضْلِ

بأمر رسول اللهِ أولُ خافقٍ
عليه لواءً لم يكن لاح من قبل

فلمَّا تراءينا أناخوا فعقَّلوا
مَطَايا[٥] وعقَّلنا مدى غَرَض النَّبْلِ

وقلنا لهم : حبلُ الإلهِ نَصيرُنا
وما لهم إلا الضلالةُ من حبلِ

---

(١) هو كَنَّاز بن الحُصين ، ويقال: حصين بن كناز «الإصابة ٧/ ٣٦٩» .

(٢) العِيص : من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون منها إلى الشام « معجم البلدان ٤/ ١٧٣ » .

(٣) مجدى بن عمرو : لا يُعْلَم له إسلام .

(٤) العرَاك : القتال .

(٥) عقَّلوا مطايا: عقَلَ البعير: ضم رسغ يده إلى عضُدِه وربطهما معاً بالعقال ليبقى باركاً .

فـثـار أبو جـهـلٍ هُنالكَ باغـيـاً
فـخـابَ وردَّ اللهُ كـيـد أبى جـهـلِ
فـيـا للُؤَيٍّ لا تُطِيـعـوا غُواتِكمْ
وفيئوا[1] إلى الإسـلام والمنـهج السَّهْلِ

سرية عبيدة بن الحارث[2] إلى بطن رابغ سنة إحدى من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شوال على رأس خمسة وثلاثة ، وعقد له لواء أبيض حمله مِسْطَح بن أُثاثة [3] ، فسار فى ستين رجلاً من المهاجرين ، صابرين على الجهاد فى سبيل الله ومصابرين ، فلقىَ أبا سفيان فى مائتى رجلٍ ملتفين عليه ، وهو على ماءٍ من بطن رابغٍ [4] المُشار إليه ، فكانت بينهما المناوشة[5] والرمى بالنِّبال ، ولم يَسُلوا سيوفاً ولا اصطفوا للقتال .

ثم انصرفت كل فرقة إلى ناحية، ورجع ابن الحارث إلى المدينة بفرقته الناجية .

---

(١) فيئوا : ارجعوا .

(٢) عُبيدة بن الحارث أسلم قديماً ، وشهد بدراً «الإصابة ٤/ ٤٢٤» .

(٣) هو مِسْطَح بن أُثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف ، أبو عباد ، صحابى من الشجعان الأشراف ، كان اسمه « عوفاً » ولقب « بمسطح » فغلب عليه ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها «الإصابة ٦/ ٩٣ » .

(٤) بطن رابغ : واد من الجحفة ، وهو على عشرة أميال من الجحفة « معجم البلدان ٣/ ١١» .

(٥) المناوشة فى القتال : تدانى الفريقين، وأخذ بعضهم بعضاً .

وفى هذه السرية يقول أبو بكر الصديق من أبيات [1] :

تَرى مِن لُؤَىٍّ فِرْقَةً لا يَصُدُّهـا
عن الكُفْرِ تَذْكيرٌ ولا بَعْثُ باعِثِ

فإن يرجعوا عن كفرهم وعُقُوقِهم
فما طيبات الحِلِّ مِثلُ الخَبَائثِ

وإن يركبوا طُغْيانَهُم وضَلالهُم
فَلَيْسَ عَذَابُ اللهِ عنهُمْ بِلابِثِ

لَتَبْتَدِرَنَّهُمْ غارَةٌ ذاتُ مَصْدَقٍ
تُحَرِّمُ أظهارَ النِّساءِ الطَّوامِثِ

تُغَادِرُ قتلى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلهمُ
ولا ترأفُ الكُفَّارَ رأفَ ابن حارِثِ

سرية سعد بن أبى وقاص إلى الخَرَّارِ [2] سنة إحدى من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى ذى القعدة عام هجرته ، وعقد له لواء يُخْجِلُ الصُّبح ببياضه ونُضرته ، حمله المِقْداد بن عمرو ، ممتثلاً ما أشار به صاحب الأمر .

فسار فى عشرين من المهاجرين الأبرار ، طالباً عيرَ قريشٍ مأموراً أن لا يجاوز الخرَّار ، وكانوا يكْمَنونَ النَّهار ويسيرون الليل ، حتى جاءوها صُبح

(١) وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبى بكر ، والله أعلم .

(٢) الخَرَّار : ماء لبنى زهير وبنى بدر وهو واد بالحجاز يصب فى الجحفة . وقيل أول وادٍ من أودية المدينة . وقيل : موضع بخيبر « مراصد الاطلاع ١/ ٤٥٥ » .

يوم خميس مجيء السَّيْل ، فوجدوا العير قد مرَّت بالأمس ، فرجعوا إلى خدمة من بِدُعائه رجعت الشمس[1] .

أيا سعدُ خبِّرنى بِحالِ سريةٍ
على جانبِ الخَرَّارِ خَرَّ لها المجدُ
وحَدِّث عن المختارِ وانثر عُقُودَهُ
علَيَّ وزِدنى مِن حديثِكَ يا سعدُ

غزوة وَدَّان[2]

سنة اثنتين من الهجرة

خرج النبى ﷺ فى صفر من السنة المذكورة ، ودفع لِوَاءَهُ إلى حمزة الموصوف بالمناقب المبرورة ، واستخلف على المدينة سعد بن عُبادة ، وسار معه المهاجرون الرَّافِلون فى حُلل السعادة ، حتى بلغ الأبواء يُريد عِيراً لقريش، فلم يلق كيداً فرجع بمن معه من الجيش .

وفى هذه الغزوة وادع بنى ضَمْرَة ، وكتب بينه وبينهم كتاباً أجرى الثِّقَاتُ من الرواة ذِكْرَه ، وهى أول غزوة غزاها بنفسه ، وأخلى بسببها المدينة من بركته وأنسه .

(١) حديث ردّ الشمس ذكره طائفة كأبى جعفر الطحاوى والقاضى عياض وغيرهما وعدوا ذلك من معجزات رسول الله ﷺ، لكن المحققين من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع ، انظر: الموضوعات (١/ ٣٥٥) ، والآلئ (١/ ٣٣٦) ، والفوائد للشوكانى (ص ٣٥٠)، وللحافظ الشامى «مزيل اللبس عن حديث رد الشمس».

(٢) وَدَّان : قرية جامعةٌ فى نواحى الفُرْع ، بينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال «مراصد الاطلاع ٣/ ١٤٢٩» . وتسمى أيضاً «غزوة الأبواء».

يا حادىَ الأظْعانِ[١] يَخْتَرِقُ الرَّهـا [٢]
ويُجِيـدُ قـطعَ سبـاسبِ الفَلَوَاتِ [٣]
عَرِّجْ علـى وَدَّانَ فَهْيَ لأحـمـدٍ
خـيـرِ البـرايا أولُ الغـزواتِ

غزوة بُوَاط [٤]
سنة اثنتين من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى الشـهر الذى قبله صفر ، ودفـع إلى سعد بن أبى وقاص لواهُ عند السفر ، واستخلف سعد بن معاذ على المدينة[٥] ، وسار فى مائتين من الباذلين فى طاعته نفائس نفوسهم الثمينة .

وكان قصده اعتراض أُمية بن خلف والعِيـر ، حيث سمع أن فيها مائة من قريش وألفاً وخمسمائة بعير ، فبلغ بُوَاطاً وهى جبالٌ من ناحية رَضْوى [٦] ، فلم يلق كيداً فرجع إلى أعز منزل وأكرم مثوى .

---

(١) الأظعان : جمع ظعينة : الراحلة يُرتحلُ عليها .
(٢) الرَّها : الأرض الواسعة .
(٣) سباسب الفَلَوَات : الأرض القفر المستوية البعيدة فى الصحراء ، لا ماء فيها ولا أنيس.
(٤) بُوَاط : جبل من جبال جـهينة من ناحية رضوى، والمغاربة يفتحـون الباء ، والضم أشهر «معجم البلدان ١/ ٥٠٣ » .
(٥) فى سيرة ابن هشام «١/ ٥٩٩»، وعيون الأثر «١/ ٣٥٧» أن النبى ﷺ استعمل على المدينة السائب بن مظعون .
(٦) رَضْوى : جبل ، وهو من ينبع على مسيرة يـوم ، ومن المدينة على سبعة مراحل ، وهو الجبل الذى يـزعم الكيسانيـة أن محـمد بن الحنفـية به مقـيم حيٌّ يرزق « معـجم البلدان ٣/ ٥١» .

أيـهــــــا الســــــائـرُ المُجِدُّ تَلَفَّتْ
نــــحْوَ رَضْوِي وانْزِلْ بــــأرضِ بُوَاطِ
فـــيــــهــا حَلَّ أشـــرفُ الرُّسلِ طُرّاً
خــيـــرُ هادٍ إلـى ســـواءِ الصِّراطِ

غزوة سَفْوان[1] وهى بدرُ الأولى سنة اثنتين من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى ربيع الأول بعد بُوَاطٍ ، ودفع لِواهُ إلى على بن أبى طالب السَّالك أقوم صراطٍ ، واستخلف زيد بن حارثة ، وسار بِذَوِى الرماح الفارِيَةِ والسيوف الفارِثَة[2] ، طالباً كُرز بن جابر [3] ، عازماً على أن يقطع منه الدَّابِر ، وكان قد غار على سَرْح[4] المدينة فاستاقه ، وأدخل أهله باباً من من الهمِّ ليس لهم به طاقة ، واستمر فى طلبه إلى أن بلغ سَفْوان من ناحية بدر ، ثم رجع حيث فاته الشاردُ الواردُ غدير الغدر .

يــا راجِلاً [5] يبـــغى حِمَى يَثْرِبٍ
أبـشـــــــــر وسِرْ مُنْشَرِحَ الـصَّدْرِ

(١) سَفْوان : واد من ناحية بدر « معجم البلدان ٣/ ٢٢٥ » .
(٢) الفارية والفارثة : أى القاطعة .
(٣) هو كُرز بن جابر بن حِسِل القرشى الفهرى، وكان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم «الإصابة ٥/ ٥٨١» .
(٤) السرح: الإبل والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة .
(٥) يا راجلاً : يعنى : ماشياً بالجيم ، ويصح بالحاء المهملة ، ويكون من الرحيل .

واهـــرع إلـــى حُجْرَةِ خَيْرِ الـــورى
العـــاقِبِ [1] المـرتَفِعِ القـــــدْرِ
واتْبَعْ سَنَـا آثَـار أقـــــــدامِهِ
وانْزل عـلـى سَـــفْوانَ مِنْ بَدْرِ

غزوة ذى العُشَيْرَة
سنة اثنتين من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى جمادى الآخرة ، الكائن فى السَّنَة الثانية من تاريخ المهاجرة ، واستخلف على طَيْبَةَ أبا سلمة بن عبد الأسد ، ودفع إلى حمزة لواه الذى لا غاية لرفعته ولا أمد .

وسار فى مائة وخمسين من ذوى الهجرة ، الذين لا يشوب عزمَهُم فى طاعته تقصيرٌ ولا فَتْرة ، حيث بلغه أن عير قريش فصلت بأموالها ، وخرجت من مكة إلى الشام محفوظة بالحُمس [2] من رجالِها فانتهى إلى ذى العُشَيْرة بناحية يَنْبُع [3] ، فوجد العير قد دخلت منهم المنازل والأرْبُع [4] .

وفى هذه الغَزَاةِ كَنَّى علياً «أبا تراب» ، حين وجده نائماً ليس بينه وبين الأرض حجاب [5] .

---

(١) العاقب : الذى يخلف من كان قبله بالخير .
(٢) الحُمس : أى الشجعان .
(٣) يَنْبُع : من أرض تهامة ، وهى قريبة من طريق الحاج الشامى « معجم البلدان ٥/ ٤٥٠».
(٤) الأرْبُع : ما حول المنازل والديار .
(٥) ورد فى البخارى أن النبى ﷺ كناه بها فى المسجد النبوى ، فلعل الرسول ﷺ كنّاه بها مرتين ؛ مرة فى المسجد النبوى ، ومرة فى هذه الغزوة .

وفيها وادَعَ[1] بنى مُدْلجٍ وحلفاءهم من بنى ضمرة ، ثم رجع بأصحابه المهاجرين لم يلق كيداً ولا ما يكره .

أيا صاحِ سِرْ بى إلى مكةٍ
ولُذْ بالمنازلِ والأرْبُعِ

وحُثَّ المَطَايا وخُذْ يُمْنَةً
إلى ذى العُشَيْرةِ من ينْبُعِ

سرية عبد الله بن جَحْش[2] إلى نَخْلَة سنة اثنتين من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شهر رجب الفرد ، فسار فى اثنى عشر[3] من المهاجرين الصَّالى مَنْ عاداهم نارُ العكس والطَّرد ، حتى انتهى بمن معه إلى نَخْلَة بين مكة والطائف ، ونزل يترصَّدُ قريشاً حَسْبَ ما أُمِرَ به غيرَ وجلٍ ولا خائف ، فمرَّت بهم عيرٌ لقريش تحمل أصنافاً من التجارة ، فأخذوا العير ورجعوا بعد قتل واحدٍ وأسر اثنين مُعْلنين بالبشارة ، فقالت قريش فى معرض الملام: قد أحلَّ محمدٌ وأصحابهُ الشهر الحرام .

---

(١) وادع : أى صالح، يعنى وقَّع بينه وبينهم صلح على وضع الحرب .

(٢) هو أمير المؤمنين المجدع فى الله تعالى ، عبد الله بن جَحْش سماه ﷺ أمير المؤمنين ، فهو أول من تسمى به فى الإسلام «الإصابة ٥/ ٣٥» .

(٣) ذكر فى عيون الأثر أنهم ثمانية فقط «١/ ٣٥٩» ، وكذلك فى تاريخ الإسلام «المغازى: ٤٩».

وفى ذلك يقول عبد الله بن جَحْشٍ من أبيات :

تَعُدُّون قـــتـــلاً فى الحَرَام عَظِيْمَةً
وأعـظـمُ مـنـه لـو يـرى الـرُّشْدَ راشِدُ

صــدُودُكم عـمَّا يـقـولُ مـحـمـدٌ
وكُفْرٌ بـه واللهُ راءٍ وشـــاهـدُ

وإخْراجُكُم من مـسـجـدِ اللهِ أهلَهُ
لئـلا يُرى للهِ فى الـبـيـتِ سـاجـدُ

غزوة بدر الكبرى
سنة اثنتين مِّن الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى شهـر الصيام ، وظهر بين أصحابه النُّجـوم كالبدر عند التمام ، واستـخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المُنذر [(١)] ، ودفع لواه إلى مصعب بن عُمير[(٢)] ذى السيف الذى إذا أفضى لم يُعْذِر .

وسار فى ثلاثمائة أو يزيد من المهاجرين والأنصار ، يريد عيراً [(٣)] لقريش

---

(١) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصارى ، مختلف فى اسمه ، قيل : اسمه بشير ، وقيل : مروان ، مات فى خلافة على « الإصابة : ٤/ ١٦٨ » .

(٢) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبـد مناف ، القرشى ، من بنى عبد الدار ، صحابى شجـاع ، من السابقـين إلى الإسلام ، هاجر إلـى المدينة وعُرف فيـها بالمقـرئ «الإصابة ٦/ ١٢٣» .

(٣) العِيْرُ : الإبل بأحمالها .

فيها أنواعٌ من المتْجَر وجمـاعةٌ من التُّجَّار ، حتى وصل قريباً من بدر ، ونزل بمن معه من أهل الشرف والقدر .

وكان قـد بلغ قريشاً خـروجه إلى إمساكـهم ، فبعـثوا إلى مكة من حضَّ أصحابهم على إدراكهم ، فهرع إليهم الرامح والنابل ، واجتمعوا نحو الألف ما بين الفارس والراجل ، فردُّوا العيـر وأحرزوا المال ، ثم أصبحوا مُصمِّمين على الكفاح والنِّزال .

فبرز المسلمـون إلى قتالهم ، والتقى الفريقان يعـومون فى بحر مَجَالهم ، وحميَ الوطيس[١] وهاجت نار الوغى ، وخـذل الله من طغى من المشـركين وبغى ، ومنح أهل الإيمان أكنافـهم ، فقـتلوا صناديدهم وأسروا أشـرافهم ، وظفروا بالنصـر العزيز والفتح القريب ، ورمـوا بعض القتلى فى القليب [٢] وما أدراك ما القليب .

وجـهَّز النبى ﷺ عبـد الله بن رَوَاحَة مبـشِّراً مـأجوراً ، ثم انقلب عليـه الصلاة والسلام بالنَّفل [٣] والأسرى إلى أهله مسروراً .

وفى هذه الغزوة يقول حمزة بن عبد المطلب من أبيات :

عَشِيَّةَ راحــوا نـحــوَ بدرٍ بِجــمــعِهِم

فكـانوا رُهُوناً لـلرَّكـيَّةِ[٤] مـن بــدرِ

---

(١) الوطيس : يعنى التنور شبه الحرب فى شدتها بشدة اتقاد نار التنور .
(٢) القليب : البئر التى لم تُطْو ، ويذكَّر ويؤنَّث .
(٣) النَّفل : الغنيمة .
(٤) الرَّكيَّة : البئر لم تُطْو .

ونحـنُ تَركنا عتُـــبَةَ [1] الـغيّ ثـاويـاً
وشَيْبَةَ[2] في قـتلي تُجرْجَمَ[3] في الجَفْرِ [4]
وعـمـروٌ ثَوىَ فـيــمن ثوىَ من حُـماتهمُ
فَشُقَّتْ جيُوبُ النَّائحـــاتِ عـلى عَمْرو

وفيها يقول على بن أبى طالب من أبيات :

وأمـكن مـنهـم يومَ بـدرِ رَســـولَهُ
وقـومـاً غِضـاباً فـعْلُهُمْ أحـسنُ الفِعْلِ
تبـيـتُ عُيـونُ النَّائحـات عليـهمُ
تَجُودُ بإسبـالِ الرَّشَاشِ[5] وبالـوبْلِ [6]
نـوائِحُ تــنْعـى عُتْبَةَ الـغـىِّ وابــنـه
وشــيــبـةَ تنـعـاهُ وتـنعى أبا جـهلِ

وفيها يقول حسان بن ثابت من أبيات :

يُنـاديـهـم رســــــول الله لمَّا
قــذفـناهم كَبَاكِبَ [7] فـى القـليـبِ
ألم تجـدوا كــلامىَ كـان حــقَّـاً
وأمـــــرُ اللهِ يـأخُذُ بـالـقُلـوبِ
فـــمـا نطقــوا ولو نطـقـوا لقــالوا :
صَدَقْتَ وكُنـتَ ذا رأيٍ مُصـــيـبِ

---

(١) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد الوليد ، كبير قريش وأحد سادتها فى الجاهلية ، أحاط به على بن أبى طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه .

(٢) هو شيبة بن ربيعة بن عبد شمس قتل يوم بدر كافراً ، وكان يقف بعرفة إذا حج بخلاف سائر قريش « جمهرة أنساب العرب : ٧٦ ، ٨٠ ، ٤٩١ » .

(٣) تُجَرْجَم : تُصرع .   (٤) الجَفْر : البئر المتسعة .   (٥) الرَّشاش : المطر الخفيف.

(٦) الوبْل : المطر الشديد ، الضخم القَطْر .   (٧) كَباكِب : صرعى .

وفيها يقول من أبيات :

سِرنا وســـــاروا إلى بـدرٍ لِحَيْنِهِمْ
لو يعلمــونَ يقينَ العلمِ مــا ســاروا
دَلَّى لــهـم بــغُرورٍ ثــم أسلــمَهُم
إنَّ الخــبـيثَ لِمَنْ والاهُ غــرَّارُ [1]

وفيها يقول من أبيات :

ألا لـيتَ شِعْرى هـل أتـى أهـلُ مكـةٍ
إبارَتَنَا الـكُفَّارَ فى ســاعــةِ العُسْرِ
قَتَلْنا سَرَاةَ الـقــوم [2] عندَ مَجــالِنا
فلم يـرجـعــوا إلا بقــاصِمَةِ الظَّهْرِ
لَعَمْرِي مــا حــامت فــوارِسُ مــالكٍ
وأشـيــاعـهم يومَ الـتـقـينـا على بدرِ

وفيها يقول كعبُ بن مالك من أبيات :

فــمــا ظَفِرتْ فــوارِسُكم بِبَدْرٍ
ولا رَجَعــوا إليـكمْ بـالســواءِ
فــلا تــعـجل أبا سُفــيــانَ وارقَبْ
جِيــاد الخــيـل تَطْلُعُ من كَدَاءِ [3]

---

(١) يريد إبليس .

(٢) سَرَاة القوم : أشرافهم .

(٣) كَدَاء : بأعلى مكة ، وهو الذى دخل منه رسول الله ﷺ فى حجه .

سرية عُمَيْرٍ بن عَدِيٍّ[1] إلى عَصْمَاء بنت مَرْوَان[2] سنةَ اثنتين من الهجرة

نهض بخمس نفرٍ فى شهر ليلة القـدر ، المشرقة أيامه بالأنوار الساطعة من أهل بدر ، فسار إلى عَصْمَاء وكانـت تَعِيبُ الإسلام ، وتقول الشِّعْر مُحَرِّضةً فيه على خير الأنام ، فجاءها حـتى دخل بيتها فى جوف الليل ، ومال على صدرها بِذُباب سيفه[3] كلَّ الميل ، ثم رجع فـصلى الفـجر مع الرسـول ، وأصبح يتلقاه كلٌّ من المؤمنين بمضاعفة القبول .

عُمَيْرٌ رعـــــــاه اللهُ مـن مُتَيَقِّظٍ
وأنْزَلَهُ فى الخُلْـدِ بالمنـزلِ الأسـمـا

إلـى بيـتِ مَرْوانٍ مـــضـى وحِسَامُهُ
يقـولُ لها : لا عـاصِمَ اليومَ يا عَصْمـا

---

(١) هو عُمَيْر بن عدِيّ الخطمي ، وكان ضرير البصر ، وسماه رسول الله ﷺ البصير ، وهو أول من أسلم من بنى خَطَمة ، وهو قارئهم وإمامهم «الإصابة ٤/ ٧٢١» .

(٢) هى عَصْماء بنت مروان زوج يزيد بن زيد بن حِصن الخَطْمى .

(٣) ذُباب السيف : حدّ طرفيه .

سرية سالم بن عُمَير [1] إلى أبى عَفَك [2] اليهودى سنة اثنتين من الهجرة

نهض فى شوال من السنة المُعَيَّنة ، وسار لا يسمع فى قتل اليهودى دعوى ولا بيِّنة ، وكان شيخاً قد بلغ عشرين ومائة عـام ، يقول الشعر محرضاً فيه على من سَبَحَ فى بحر النبوة وعام ، فجـاءه ليلاً وقد قام بفِناءِ داره ، فوضع السَّيف على كَبِده حـتى أخرجـه من فَقَاره [3] ، ثم رجع ســالمٌ فى حِرْزِ السلامة ، بعد أن أورد عدوَّ اللهِ ورسوله حِمامه [4] .

إلامَ لَحـــاك اللهُ تُلقى مُحــــرِّضـــاً
على خـــيــر مَبْعُوثٍ إلى الإنسِ والجِنِّ
حَبَاكَ [5] حَنِيـفٌ [6] آخـرَ الليلِ طَعْنَةً
فـــخُذْها أبا عَفْكٍ علـى كِبَرِ السِّنِّ [7]

---

(١) هو سالم بن عُمَيْر : شـهد بدراً و المشـاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وأحـد البكائين، وتوفى فى خلافة معاوية « الإصابة ٣/ ١٠ ».

(٢) أبوعَفَك : يقال رجل أعفك بيِّن العفَك أى أحمق .

(٣) فَقَارِه : أى من ظهره .

(٤) حِمامَه : الموت

(٥) حَباكَ : أعطاك .

(٦) حنيف : مسلم .

(٧) على كِبَر السن : تقدم أنه بلغ مائة وعشـرين سنة ،وهذه الأبيات تنسب لأُمامة الزيدية ، ويقال : المريدية ، والمرثدية ، والربزية «الإصابة ٧/ ٥٠٥ » .

غزوة بنى قَيْنُقَاع
سنة اثنتين من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ للنصف من شوال المذكور ، ودفع إلـى حمزة بن عبد المطلب لواءه المنشور، واستخلف ابن المنذر أبا لُبَابَة، وسار إلى بنى قَيْنُقَاع[1] بمن معه من الـصحابة ، وكانوا أول من غَدَرَ من اليهـود ، لأنهم وادعوه ثم نقضوا حبل العهود .

فنازلهم خمسة عشر يوماً ، لم يقـبل فيهم بَعْدَ غدرهم لوماً ، وحاصرهم فى حصنهم أشـد الحصار ، وأجلب[2] عليهم بالمهاجـرين والأنصار ، حتى قذف اللهُ [3] فى قلوبهم الرعب والمخـافة ، ونزلوا على حكـمه لا يُظْهِرون ولا يُضْمِرن خلافه ، فغنم أموالهم ، وترك نساءهم وأطفالهم ، وأسرهم ثم أطلقهم ، وجـمعهم ثم أجلاهم عن ديارهم وفـرَّقهم ، ورجع إلى المدينة ، مصحوباً بالنصر والتأييد والسكينة .

حَدِّثْ عن الحـــربِ التـى أمَّهـــا
خـــيـــرُ الورى واذْكُرْ بـنى قَيْنُقَاع
لما بـغــــوا أجــــلاهمُ المـصطـفى
ومـنهـمُ أخلـى الـرُّبى والـبِقــــاع

---

(١) قَيْنُقَاع : شعب من اليهود كانوا يسكنون المدينة .

(٢) أجْلَبَ : جمع .

(٣) قذف : ألقى .

غزوة السَّويق [1]

سنة اثنين من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى ذى الحجة الحرام ، واستخلف أبا لُبَابَة الفائز بنيل المراد والمَرَام ، وذلك حين بلغه أن أبا سفيان بن حرب ، لما رجع المشركون من بدرٍ بل من محل كَرِّ الكَرْب ، خرج فى جمعٍ نهرُ غيظهم آخذٌ فى الزيادة والفيض ، حتى مروا بمكان قريب من المدينة يُعْرف بالعُرَيْض[2] ، فقتلوا رجلين وحرقوا عدة أبيات ، فلما أحسوا بالطلب وقع بينهم سهم الشَّتات ، وولوا هاربين يلتمسون الطريق ، وجعلوا يتخففون للهرب فيطرحون جُرُبَ السَّويق ، وكانت عامة أزوادهم ، فأخذها المسلمون وانصرفوا إلى بلادهم .

قل لأبى سفيان إن وافَيْتَهُ
ماذا ترى فى غزوةِ السَّوِيْقِ

طَرَحْتُموه عندما مزَّقكم
شدُّ الرِّحالِ أيّما تَمْزِيقِ

---

(١) السَّويق : بالسين والصاد لغة ، قمح أو شعير يُقلى ثم يطحن ويُستَفّ تارة بما يُثرى به أو بسمن أو عسل وسمن .

(٢) العُرَيْض : واد بالمدينة « معجم البلدان ٤/ ١١٤» .

غزوة قَرْقَرَة الكُدْر (١)
سنة ثلاث من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ للنصف من المحرَّم ، فى غُرَّة السنة الثالثة من قدومه المُكَرَّم ، واستخلف عبد الله بن أُمِّ مكتوم ، ودفع لواه إلى علىٍّ صاحب الفضل المعلوم ، وسار فى مائتين إلى القَرْقَرَة الملساء أرضُها ، الكائن بناحية المعْدَن (٢) طولها وعرضها ، وكان بلغه أنها مشحونة (٣) بأهل الشرك والطغيانِ ، وأن بها جمعاً من سُلَيمٍ وغَطَفَان ، فلما وصلها فى أكرم نفير ، ولم يجد غير الرعاء وخمس مائة بعير ، فظفر بها وغنمها ، وعلى أصحابه أهل القسَام قسمها ، ثم رجع يجرُّ على سحاب الثواب ذيله ، وكانت غيبته المباركة خمس عشرة ليلة .

دَرْسَ المغَازِى أَلْقِهِ بينَنَا
واذكر لنا قَرْقَرَةَ الكُدْرِ

منزلةٌ حلَّ بها المُصطفى
قاتِلُ أهلِ الشِّرْكِ والغَدْرِ

---

(١) قَرْقَرة الكُدْر : القَرْقَرة : أرض ملساء . والكُدْر : طيرٌ فى ألوانها كُدرة وعُرِف بها ذلك الموضع ، يعنى أنها مستقر هذه الطيور. وهى بناحية المعدن ، قريبة من الأرحضية، بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد «مراصد الاطلاع ٣/ ١١٥٢»، وتعرف اليوم بالمهد.

(٢) المعْدِن : من أعمال المدينة على طريق نجد « معجم البلدان ٥/ ١٥٤» .

(٣) مشحونة : مملوءة .

سرية [محمد بن مسلمة]
إلى كعب بن الأشرف اليهودى
سنة ثلاث من الهجرة

نهض إليه فى ربيع الأول خمسة رجلٍ من الأوس [١] ، وخرجوا إلى جهته خروج السهم من القوس ، وكان يتمرد فى كفره ، ويؤذى المسلمين بِهَجْوِهِ فى شِعْرِه ، حتى أتوا إليه ليلاً ومن حِصْنِهَ أنزلوه ، وتماشوا به فى ضوء القمر خديعةً وقتلوه [٢] ، ثم خرجوا آخر الليل عند السَّحَر ، وقصُّوا على مرسلهم ﷺ الخبر ، فابتهج بمسْرَاهم ، وأثنى عليهم وشكر مسعاهم .

لما تَمَرَّدْتَ أتاك خمسةٌ
أسيافُهُم غيرَ الطِّلا [٣] لم تعْرِفِ
خَلَّوْك إذ عَرَّجْتَ عن طُرقِ الهدى
حِلفَ الرَّدى يا كعبَ يا ابن الأشرفِ

غزوة غَطْفَان
سنة ثلاث من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى الشهر المذكور [٤] إلى ذى أمرّ [٥] ، واستخلف

---

(١) هم : محمد بن مسلمة ، وعَبَّاد بن بشْر ، وأبو نائلة سِلْكان بن سلامة ، والحارث بن أوس بن مُعاذ ، وأبو عَبْس بن جبر .

(٢) قال العلماء : فى حديث كعب بن الأشرف دليل على جواز قتل من سَبَّ النبى ﷺ أو انتقصه أو آذاه ، سواء أكان بعهد أم بغير عهد .

(٣) الطِّلا : إراقة الدماء .

(٤) هو شهر ربيع الأول .

(٥) أمَرَّ: أفعل من المرارة، موضع فى برية الشام، من جهة الحجاز «مراصد الاطلاع ١/ ١١٦».

عثمان بن عفان جامع الأحـزاب والسُّور ، وذلك حين بلغه أن بها جمعاً من ثعلبـة ومحـارب ، يُريدون أن يظفروا من الأطراف بنيل المآرب ، وسـار فى أربعة وخـمسين من أصـحابه ، وذهب لا يألو [1] فى طلب أعـوان الشرك وأحزابه ، فلمـا دنوا من مكانهم لم يجدوا فيه أحـداً من الرجال ، إلا أنهم نظروا إليهم هاربين على رؤوس الجبال .

وفى هذه الغزوة سَلَّ دُعْثور بن الحارث على النبى ﷺ سيف الحَيْف [2] ، فدفعـه جبريل عليه السلام حتى وقـع من يده ذلك السيف ، ثم أسلم ودعا قومه إلى الإسـلام ، وانصرف صاحب الآيات البينات بمن معـه من أصحابه الأعلام .

سـار الـنبىُّ بـنفـسـهِ وبِصَحْبِهِ
لِقِتـالِ أهلِ الـشـركِ من غَطْفَانِ
هربـوا ولو ثَبَتـوا الـغَدَاةَ لعـايـنوا
سـيـفـاً وجِيداً كـيـف يأتلفـانِ

غزوة بُحْرَان
سنة ثلاث من الهجرة

ثم خرج الـنبى ﷺ بعد مُضى أربعـة شهور ، واسـتخلف ابن أم مـكتوم على المدينة المُشْرقة بالنجوم والبدور ، وأعدَّ السَّير حتى ورد بُحْرَان [3]، وهو

(١) لا يألو : أى لا يقصر .

(٢) الحيف : الجور. وورد فى غزوة ذات الرقاع قصة تشبه قصة دعثور فلعلهما قصتان .

(٣) بُحْرَان : بموحدة مضمومة وقيل بفتحها ، موضع بناحة الفُرُع ، قال الواقدى : بين الفُرُع والمدينة ثمانية بُرُد .

فى ثلاثمائة من أهله أهْلِ الإيمان ، حيث بلغه أن بها جمعاً كثيراً من بنى سُلَيم ، لا يُفَرِّقُون ممن يبغى تفريقهم حتى ولا من أمِّ اللُّهَيْم [1] ، فلم يجد منهم عمراً ولا زيداً ، فرجع بعد عشرِ ليالٍ وما لقِيَ كيداً .

لبنى سُليمٍ قلْ إذا ما جِئتَهم :
أفررْتُمُ خوفاً من الشُّجعانِ
لو تَثْبُتونَ إلى اللقاءِ لَوَرَدْتُمُ
بحر المنايا فى حِمَى بُحْرانِ

سرية زيد بن حارثة إلى القَرْدَة [2]
سنة ثلاث من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى جمادى الآخرة من هذا العام ، يطلب عيراً لقريش فيها جملةٌ من الفضة وعِدةٌ من الأنعام ، فخرج فى مائة راكب ، وسار مسير القمر بين الكواكب ، فأصاب العير وهرب القوم ، وحصل على الصِّلاتِ [3] أهلُ الصلاة والصوم ، ثم قدموا سالمين بالغنيمة ، وعرضوها على ذى اليد الكريمة والأخلاق العظيمة ، فخمسها وقسم الباقى على أهل السرية ، وانفصلت على الخير والبرِّ هاتيك القضية .

---

(١) أم اللُّهَيْم : الداهية و الموت ؛ لالتهامهما الخلق .

(٢) القَرْدَة : ماء من مياه نجد ، اختلف فى ضبطه على أربعة أقوال : القَرْدَة ، والفَرْدَة ، والفَرَدَة ، والقِرَدَة « شرح المواهب ٢/ ١٧ » .

(٣) الصِّلات : جمع صِلة : العطية .

يـا زيدُ زادك ربـنـا من فـــــــضلـهِ

أقـــبلت بـالإنعـــامِ والأنعـــامِ

فـالمشـركـون خــذَلْتَهمْ قَسَمـاً لـقـد

فُزتَ الـغَدَاةَ بـأوفــــــــرِ الأقْسَامِ

غزوة أُحُد

سنة ثلاث من الهجرة

ثم خـرج النبى ﷺ لسـبعٍ خَلَوْنَ من شوال ، ومـعـه أصحـابه الذين لا يرهبـون الخوض فى بحـر الأهوال ، ودفع لواءه إلى مـصعب بن عـميـر ، واستخـلف ابن أم مكتوم المكتوب من أهل الخيـر ، وكان بلغه أن أبا سـفيان ومن معـه من قريش ، لم يَصْفُ لهم بعـد وقعة بدرٍ مـوردُ العيش ، وأنهم أجمعوا على حربه ، واتفقوا عل منازلته فى سِرْبِهْ [١] ، وساروا يقطعون إلى جهـته المراحل ، وأقـبلوا فى ثلاثة آلاف دارع وفارس وراجل ، حـتى نزلوا قريباً من المدينة ، ونزعوا أثواب الوقار والسكينة .

ومضى النبـى ﷺ حتى نزل الشِّعْبَ [٢] من أُحُد ، ومعه سـبعين مائة لم ينصرف عنه أحد منهم ولم يحد .

ثم التقى الفريقان ، واقتتل حـتى الصاحبان والصديقان ، واضْطَرمت نار

---

(١) سِرْبِه : طريقه وجهته .

(٢) الشِّعب : الطريق فى الجبل .

الحـرب ، واشتـدت مـواقع الطعن والضَّرب ، وكـان يوم بلاءٍ وتمحـيص ، وتنكيد على المسلمين وتنغيص ، أكرم الله من أكـرم فيه بالشهادة ، ونقل من نقل من المؤمنين إلى دار السعـادة ، ثم أعزَّ بقوته جنده ، وأنزل نصـره وأنجز وعده .

وفيه قتل حـمزة بن عبد المطلب ومُصعب بن عمـير ، وحمل بعده اللواء عليٌّ مالك زمـام النجدة بنجدٍ والغُوَيْر ، وقُتِلَ تكملة سبـعين ممن يشار ببنان الشرف إليه ، وأصيبت عين قَتَادة فـردها الرسول فكانت أحسن عينيه [1] ، ثم انصرف أبو سفـيان بمن معه من الخابطـين فى الظُّلم ، ونادى أن موعدكم بدراً العام القابل فقيل له : نعم .

وخرج ﷺ يلتمس حمزة عـمُّه ، وهو يعوم لحزنه عليه فى بحر غُمَّةٍ وأى غُمَّة ، فلما وجـده صلى عليه ثنتـين وسبعين صـلاة ، وانصرف راجـعاً إلى المدينة بعد أن دفنه بهاتيك الفلاة .

وفى يوم أُحُدٍ يقول حسان بن ثابت :

فَدَعْ ذِكْـــرَ دارٍ بدَّدت بين أهـلهـــا
نَويً لِمَتَيـنـــاتِ [2] الجِبـــالِ قَطُوعُ

وقل : إن يـكنْ يـومـــاً بأُحُدٍ يَعُدُّهُ
ســفـيـهٌ فـإن الحقَ ســوفَ يَشِيعُ

لقـد صـابَرَتْ فـيــه بنو الأوس كُلُّهمْ
وكـــان لهـم ذِكْرٌ هُناكَ رفـــيـعُ

---

(١) سيرة ابن هشام «٢/ ٨٢» .

(٢) لمتينات : المتين : الشديد .

أَمَامَ رســـــــول اللهِ لا شـكَّ أنَّهُ

لهـم ناصـــرٌ من ربـهم وشَفـــيعُ

وفيه يقول كعب بن مالك من أبيات :

واذكــر قــريشــاً غَدَاةَ السَّفْحِ من أُحُدِ

مــاذا لـقــينـا ومــا لقَوا مــن الهَرَبِ

كنَّا الأسـودَ وكـانـوا النُّمْرَ إذ زحـفـوا

مــا إن نُرَاقــبُ من إلٍّ [1] ولا نســبِ

جــالوا وجُلْنَا فـمـا فازوا ولا رجـعـوا

ونحن نَثْفِنُهُمْ [2] لمْ نألُ [3] فى الطلبِ

فــينا الرســولُ شِهــابٌ ثُمَّ يتــبــعُهُ

نورٌ مُضِيءٌ لـه فــضـلٌ علـى الشُهُبِ

بــدا لنـا فـــاتَّبَعْنـاهُ نُصـــدِّقُهُ

وكــذَّبـوهُ فكنا أســعــد الـعــربِ

وفى حمزة يقول حسان بن ثابت من أبيات :

دعْ عنكَ داراً قـد عفـا [4] رسمُهـا [5]

وابكِ عـلى حـــمــزةَ ذى النَّائِلِ [6]

---

(١) من إلٍ : يعنى عهد .

(٢) نثفِنُهُم : نطاردهم .

(٣) نال : يعنى نقصر .

(٤) عفَا : دَرَس .

(٥) الرَّسْم : الأثر .

(٦) النائل : العطاء .

المالىءِ الشِّيزى[1] إذا أعصَفَتْ [2]
غبراء[3] فى ذى الشَّبَمِ[4] الماحِلِ [5]

أبيضَ فى الذِّرْوَةِ من هاشمٍ
لم يُمْرِ [6] دُونَ الحق بالباطلِ

أظلمت الأرضُ لفُقْدانه
واسودَّ نورُ القمرِ النَّاصلِ [7]

وفيه يقول كعب بن مالك من أبيات :

ولقد هُدِدْتُ لفقدِ حمزةَ هدَّةً
ظلَّتْ بناتُ الجوفِ [8] منِّى ترعُدُ

ولو أنَّهُ فُجِعت حِراءُ بمثله
لرأيتُ راسِىَ صَخْرِهَا يتَبَدَّدُ

قَرْمٌ[9] تمكَّنَ فى ذُؤَابَةِ هاشمٍ
حيثُ النبوةُ والنَّدى والسُّؤْدَدُ

عمُّ النبى محمدٍ وصفيُّهُ
وَرَدَ الحِمامَ [10] فطابَ ذاكَ الموردُ

---

(1) الشِّيزَى : جفان من خشب ، وقيل القطعة من خشب الجوز .

(2) أعصفت : اشتد هبوبها .

(3) الغَبْراء : الريح التى تثير الغبار .

(4) الشَّبم : البَرْدُ .

(5) الماحِل : من المحل ، وهو القحط .

(6) لم يُمْرِ : يجادل.

(7) النَّاصِل : الخارج ، يقال : نصل القمر من السحاب ، إذا خرج عنه .

(8) بنات الجوف : يعنى قلبه وما اتصل به من كبده وأمعائه .

(9) قَرْم : أى سيد .

(10) الحِمام : بكسر الحاء الموت .

وفيه يقول من أبيات :

بكتْ عَيْنى وحُقَّ لها بُكاها
وما يُغْنى البُكاءُ أو العويلُ

على أسدِ الإلهِ غَدَاةَ قالوا :
أحمزةُ ذاكُمُ الرَّجُلُ القَتِيلُ

أُصيبَ المسلِمُونَ به جميعاً
هُنَاكَ، وقد أُصِيبَ به الرَّسُولُ

أبا يَعلى لكَ الأركانُ هُدَّتْ
وأنتَ الماجدُ البَرُّ الوَصُولُ

عليك سلامُ ربِّكَ فى جِنَانٍ
يُخَالِطُها نَعِيمٌ لا يَزُولُ

غزوة حَمْراء الأسد
سنة ثلاث من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى شوال المذكور ، بعد غزوة أحد المشهود يومها والمشهور ، واستخلف عبد الله بن أمِّ مكتوم ، وسار مُرْهِباً لعدوه المخذول وضِدِّه المحروم ، ليسمعوا بخروجه فى طلبهم ، ويقطعون بأنه مُجِدٌّ فى قتلهم وأخذ سَلْبهم ، حتى بلغ حَمْراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال، ثم رجع ولم يلق كيداً وكانت مُدةُ غيبته خمس ليال .

لمسيرِ أحمدَ مُرْهِباً لِعَدُوِّهِ
شُهُبَ الهُدى ظهرتْ بحمراءِ الأسدِ

(١٠)

بطلٌ شجاعٌ كم له من غزوةٍ
أردى بها أهلَ الضَّلالةِ والحَسَد

سرية أبى سلمة المخزومى[1] إلى قَطَنٍ[2] سنة أربعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى غُرَّة المُحَرَّم ، وعقدَ له لواءً لا يفنى مجده ولا يُصْرَّم ، وجهز معه مائة وخمسين من المهاجرين والأنصار ، يا لهم أنصارٌ تَفِرُّ لهيبتهم أهل البوادى والأمصار ، وذلك حين بلغه أن ابنى خُوَيْلد [3] يدعون إلى حربه ، ويُحرِّضون على قتال المنتظمين فى سِلْكِ حزبه .

فسار إلى قَطَنٍ وهو جبل بناحية فَيْد [4] ، وظَفِروا بالصيد من الإبل والشاء وسلموا من الكيد ، ثم انحدروا إلى المدينة بما غنموا ، وشهدوا من غيبة ذوى الشرك والإفك بما علموا .

صاروا إلى ناحيةٍ من فَيْد
لمعْشَرٍ من شِرْكِهِمْ فى قَيْد

---

(١) هو عبد الله بن عبد الأسد المخزومى ، وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فهو ابن عمة النبى ﷺ ، وهو أول من هاجر إلى الحبشة ، وهو أول من يعطى كتابه بيمينه «الإصابة ٤/ ١٥٢».

(٢) قَطَن : جبل أو ماء من أرض بنى أسد بناحية فيد « معجم البلدان ٤/ ٣٧٤ » .

(٣) ابنى خويلد : هما طُليحة وكان من أشجع العرب ويعد بألف فارس ، أسلم بعد ذلك . وسلمة لم يعلم له إسلاماً .

(٤) فَيْد : فلاة فى الأرض بين أسد وطئ « البكرى ٣/ ١٠٣٣ » . وقيل : فيد نصف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة « معجم البلدان ٢/ ٤٠٩ » .

فـــانقلبـــوا من نحـــوهمْ بالـــصيـــــد
وسَلِمُوا مــن الأذى والــكــيـــــــــــد

سرية عبد الله بن أُنَيْس إلى سفيان الهُذَلى بعُرَنَة سنة أربعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ لخمسٍ خـلون من الشهر المذكور[1] ، إلى سفـيان الراكب سفـينة بغيه المعـروف وكفره المشـهور ، حيـث وصل إليه أنه تحوَّل فى غـير مجاله، وسعى فى تحريض المشركين على قتاله .

فمضى إليه عبد الله وحده ، معـتمداً على من ينصر عبده وينجز وعده ، فقتله وجاء برأسه إليه ، ووضعه حال قدومه بين يديه ، فأعطاه عصاً وقال : «تَخَصَّرْ [2] بهذه فى الجنة » ، فأخذها من يده الكريمة متحلياً بِمَنٍّ هذه المِنَّة .

وفى سفيان الهُذَلى يقول عبد الله بن أُنيس من أبيات :

تركـتُ ابن ثورٍ كـــالحُوارِ [3] وحـولهُ
نوائِحُ تـفـــرى كلَّ جـــيبٍ مُقَدَّدِ
تــنـاولـتُهُ والـطَّعْنُ خـلـفـى وخـلـفُهُ
بأبـيضَ مــن مـــاء الحـــديـدِ مُهنَّدِ
وقلتُ له : خـذها بِضـربَةِ مـاجـدٍ [4]
حنِيفٍ عـلى دينِ النـبىِّ مـــحـــمـــدِ

---

(١) هذه السرية كانت فى شهر المحرم . (٢) التَخَصَّر: الاتكاء على قصب ونحوه .

(٣) كالحُوار : الحُوار ، ولد الناقة من وقت ولادته إلى أن يُفطم ويُفصل .

(٤) الماجِدُ : الشريف الخَيِّر .

وكنتُ إذا همَّ الرسولُ بكافرٍ
سبقتُ إليهِ باللسانِ وباليدِ

سرية المنذر بن عمرو[1] إلى بئر مَعُونة[2] سنة أربعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ إلى نجدٍ فى صفر ، وجهز معه من شبان الأنصار ثلاثين نفراً وعشرة نفر ، فمضوا صحبةَ مُلاعِبِ الأسنَّةِ عامر بن مالك[3] ، حتى نزلوا بئر مَعُونة المحفوفة مَطالِبُهُ بالمهالك .

وكان عامرٌ قد قدم ولم يَبْعُدْ من الإسلام ، وأشار بتجهيز النفر للدعوة ملتزماً بحفظ الجوار ورفع الأعلام ، فأنذر بهم عدو الله عامر بن الطُّفَيْل ، واستصرخ القبائل من سُلَيْم فأقبلوا بالرَّجْلِ[4] والخيل ، وأحاطوا بالصحابة مبادرين إليهم ، فقاتلوهم حتى قُتِلوا رحمة الله ورضوانه عليهم .

---

(١) هو المنذر بن عمرو الساعدى شهد العقبة وبدراً وأحداً ، وهو المعروف بالمعْتق ليموت ، لقبه به رسول الله ﷺ « الإصابة ٦/ ٢١٧ » .

(٢) بئر مَعُونة : ماء لبنى عامر بن صعصعة « معجم البكرى ٢/ ٤٧ » ، وقال الحافظ الشامى (٦/ ١٠٤) : موضع فى بلاد هُذَيل بين مكة وعُسْفان . وقال ياقوت : بين أرض عامر وحرَّة بنى سليم « معجم البلدان ٥/ ١٥٩ » .

(٣) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى الكلابى ، أبو بَراء ، مُلاعِبِ الأسنة ، وهو خال عامر بن الطفيل « الإصلبة ٣/ ٥٩٩ » .

(٤) الرَّجل : بسكون الجيم وكسرها . أى الماشى .

وفى قتلى بئر معونة يقول حسان بن ثابت من أبيات :

على قــتلــى مَعُونَة فــاســـــتــهِلِّى
بدمــعِ العَينِ سَحًّا غـــيــــرَ نزْرِ [1]
علــى خـــيلِ الــرســـولِ غَدَاةَ لاقـــوا
ولاقـــتـــــهُم منايــاهم بــقـــدرِ

سرية مَرْثَد الغَنَوى[2] إلى الرَّجيع سنة أربعٍ من الهجرة

بعثـه النبى ﷺ فى سـتةٍ[3] من زعـماء الأصحـاب ، منهم خُبـيب بن عَدِىّ[4] صاحب الكرامـات والدعاء المستجاب ، فـمضـوا صُحْبَةَ رهطٍ من عَضَل[5] والقارة[6] ، وكانوا قد قَدِموا على من يكرم ضـيفه ويرعى جاره ، يطلبون مـنه من يفقّه قومـهم ويُقرئهم القـرآن ، حتى إذا نزلوا بالرَّجـيع ماءٍ

---

(١) غير نزر : أى قليل .

(٢) صحابى، وأبوه صحابى ، وهما ممن شهد بدراً « الإصابة ٦/ ٧٠ » .

(٣) هذا ما ذكره ابن إسحاق ، وجزم ابن سعد بأنهم عـشرة وسمى منهم سبعة : عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، ومرثـد بن أبى مرثد الغنوى ، وعبـد الله بن طارق ، وخُبيب بن عدى ، وزيد بن الدَّثِنة ، وخالد بن البُكير، ومُعَتِّب بن عُبيد .

(٤) خُبيب بن عدى بن مالك الأنصارى الأوسى ، بدرىٌّ مشهور .

(٥) عَضْل : بطن من بنى الهون .

(٦) القارة : أحـد القريات التى منها دومـة ، وسكاكة ، وهى على جبل « مـراصد الاطلاع ٣/ ١٠٥٦ » .

لهذيلٍ من ناحية عُسْفان [١] ، نفروا عليهم بنى لَحْيَان [٢] ودهموهم غدراً ، فأهلكوا البعض وأسروا البعض ثم قتلوهم صبراً .

ولما أجمعوا على صلب خبيب قال من أبيات :

وقــد جـمــعــوا أبناءهم ونِســاءهُم
وقُرِّبْتُ مـن جــــذعٍ طويـلٍ مَمَنَّعِ

وذلـك فـى ذاتِ الإلــهِ [٣] وإن يشــأ
يُبارِكْ علـى أوصالِ [٤] شِلْوٍ مُمزَّعِ [٥]

ولســتُ أُبالـى بعْدَ أن مُتُّ مُسْلمــاً
علـى أىِّ جنـبٍ كــان للهِ مَصْرَعِى

وفى خُبَيب يقول حسان بن ثابت من أبيات :

لو كــان فى الدّار قــومٌ ذو مُحــافَظَةٍ
حـامى الحـقـيـقـةِ مـاضٍ خـالُهُ أنسُ

إذاً وجـدتَّ خـبـيـبـاً مـجلِسـاً فَسِحـاً
ولم يُشَدَّ عـليـكَ السِّجْنُ والحــرسُ

---

(١) عُسْفان : قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهى حد تهامة « معجم البلدان» .

(٢) لَحْيَان : وضبط بكسر اللام ، وهو ابن هُذَيْل وهو ابن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر .

(٣) الذات هنا بمعنى الطاعة أو السبيل .

(٤) الأوصال : الأعضاء .

(٥) المُمزَّع : المُقَطَّع .

وفى هُذَيْلٍ يقول حسان بن ثابت من أبيات :

إنْ سَرَّكَ الـــغَدْرُ صِرْفاً لا مِزاحَ لـــهُ
فــآتِ الرَّجـــيعَ فَسَلْ عن دارِ لِحْيَانِ

قـــومٌ تواصَوا بأكـل الجـــارِ بـينَهُمُ
فَخَيْرُهُم رَجُلاً والـــتَّيْـــسُ مِثْلانِ

وفيهم يقول من أبيات :

فـــلا واللهِ مـــا تدرى هُذَيـلٌ
أمـحـضٌ مـاءُ زمـزمَ أم مـشُوبُ

ومـا لهم إذا اعـتـمـروا وحـجُّوا
من الحَجَريـنِ والمســعى نَصـيبُ

ولكـنَّ الرَّجـــيعَ لهم مـــحلٌ
بـه اللـوم المُبَيَّنُ والعـــيـــوبُ

هُمُ غـــرُّوا بِذِمَّتِهِم خـبـيـبـاً
فـبـئس العـهـد عـهـدهم الكذوبُ

غزوة بنى النَّضير [١]
سنة أربعٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى ربيع الأول من السنة المشار إليـها ، وترك عبد الله ابن أُمِّ مكْتوم بالمدينة عاملاً عليها ، وسـار بأصحابه إلى بنى النَّضير ، عازماً على حربِ الجليل منهم و الحقير ، حيث خانوا ومكروا ، ونقدوا حبل العهد وغدروا ، فحاصرهم عشرة أيام ونصفها ، وقذف [٢] الله فى قلوبهم الرعب وضاعف ضعفـها ، فأجلاهم [٣] عن ديارهم حـسب سـؤالهم ، وكفَّ عن دمائهم وبعض أموالهم ، وأمر بقبض ما تركوه من الأموال والأصناف ، وما وُجِدَ لهم من البَيْضِ والدروع والأسياف .

وكانت أموالهم فيئاً له وحُبْساً لنوائبه ، ثم رجع منصوراً على أهل الكتاب مسروراً بكتائبه .

فـلـمَّا أُشْرِبـوا [٤] غـدراً وكـفـراً
وجـدَّ بـهم [٥] عـن الحـق الـنُّفُورُ

أرى اللهُ الـنـبـىَّ بـرأىِ صِدق
وكـانَ اللهُ يَحْكُمُ لا يجـورُ

---

(١) النَّضِير : حَىٌّ من يهـود دخلوا فى العرب وهم على نسـبهم إلى هارون عليـه السلام ، وكانوا من سِبْط لم يصبهم جلاء فيما خلا .

(٢) قَذَفَ : ألقى .

(٣) أجْلاهم : أخرجهم ، والجَلاء : ترك المنزل من خوف .

(٤) أُشربوا : بمعنى خالط قلوبهم .

(٥) جدَّ بهم : مال بهم .

فأيَّدَهُ وسلَّطَهُ عليهم
وكان نصيرهُ نِعْمَ النَّصِيرُ
وهلكَ بنو النَّضيرِ بدارِ سُوءٍ
أبادهُمُ بما اجترَحُوا المبيرُ

غزوة بدر الموعد
سنة أربعٍ منَ الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ إلى أبى سفيان غُرَّة ذى القَعْدَة ، ومعه ألف وخمسمائة من أرباب الألباب والنَّجدة ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة (١) ، ودفع اللواء إلى على بن أبى طالب صاحب الحماسة (٢) والسماحة ، وساروا إلى بدرٍ فأقاموا بها ثمانية أيام ، وقُوبِلوا عند بيع تجارتهم فيها بالربح والإكرام ، وخرج أبو سفيان من مكة ومعه ألفان ، ومضى حتى انتهى إلى مَجَنَّة (٣) من ناحية الظَّهران ، ثم بدا له أن يرجع فرجع ، وفرَّق من فِرَقِ الطائفة الكافرة ما اجتمع ، وتوكل المسلمون على من بأمره تتفجَّر الأنهار من الحجارة ، فانقلبوا بنعمة من اللهِ وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ والفضل ما أصابوا من التجارة .

وفى هذه الغزوة يقول كعب بن مالك من أبيات :

وَعَدْنَا أبا سفيانَ وعداً ولم نَجِدْ
لميعاده صِدْقاً وما كان وافيا

(١) ذكر ابن إسحاق أنه استخلف عبد الله بن أُبَى بن سلول .

(٢) الحماسة : الشجاعة .

(٣) مَجَنَّة : سوق بقرب مكة .

فـأُقْسِمُ لـو وافـيـتنا فلقـيـتَنا
لأُبْتَ [(١)] ذميمـاً وافـتقـدت المواليـا

غزوة ذات الرِّقاع [(٢)]
سنة خمس من الهجرة

ثم خـرج النبى ﷺ لعشرٍ خَلَوْنَ من المُحَرم ، ومـعه أربع مـائة من الذين تفضل الله عليهم بصحبته وتكرَّم ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان ، حيث بلغه أن أنماراً وثعلبة أجمعوا على البغي والعدوان .

وقصـد نجداً حتى أتى مـحَالَّهم بذات الرِّقاع ، وهى جبلٌ فـيه من الحُمْرة والسواد والبـياض بِقاع ، فلـم يجد سوى شِرْذِمـةٍ من ذوات الحِجال [(٣)] ، وأُخْبِرَ بأن المجتمعين تفرقوا إلى رؤوس الجبال .

وفى هذه الغزوة صلى المسلمون صـلاة الخوف ، وفِعْلُ الحذر من العدو لا ينبغى أن يقترن بسوف .

وفيـها استـغفـر لجابر بن عبـد الله مراتٍ عديدة ، ونَخَسَ جـملهُ البطىء فخرج يُواهِق [(٤)] النوق الشديدة .

---

(١) لأبت : أى رجعت .

(٢) اختلف فى تسمية هذه الغزوة بذات الرِّقاع فـقيل : هى اسم شجرة سميت الغزوة بها ، وقيل: لأن أقدامهم نَقِبتْ فكانوا يلفون عليها الخِرَق . وقيل : بل سميت برقاع كانت فى ألويتهم. وقيل: لأن خيلهم كان بها سواد وبياض، ويحتمل أنها سميت بالمجموع. وتسمى أيضاً بـ« غزوة صلاة الخوف » و « غزوة الأعاجيب » لما وقع فيها من الأمور العجيبة.

(٣) ذوات الحجال : هنَّ النساء .

(٤) يواهق : أى يضاهيها فى السير .

وفيهـا أخذ رجلٌ من المشركين سيـفه فاستلَّه عليـه ، وجعل يهُزُّه ويهمُّ به فمنعه الله منه وردَّ السيف إليه [1] .

ثم رجع المسلمون مستبشرين بحسن أوبتهم [2] ، وكانت خمـس عشرة ليلة مدة غيبتهم .

سـائقَ الـظَّعنِ سِرْ مُجـداً ويَمِّم
أرض نجـدِ وانزلْ بِذاتِ الـرِّقـاعِ
فـا إليـهـا وافـىَ الرسـولُ مُبيـداً
للأعـادى بـكلِ قَرْمٍ [3] شـجـاعِ

غزوة دُوْمَةَ الجَنْدل
سنة خمسٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ لخمسٍ بقين من ربيع الأول [4] ، ومعه ألفٌ ممن لا يتغير عن محبته ولا يتحوَّل .

واستخلف سِباعَ بن عُرْفُطة الغِفارى ، واتخذ دليلاً مـن بنى عَذْرة عارفاً بالفيافى والصحارى [5].

وسـار إلى دُوْمَةَ الجَنْدل [6] وهى من أطراف الشـام ، حيث بلغـه أن بها

(١) الحديث أخرجه البخارى (٥/ ١٤٧ -٦٤) كتاب المغازى .

(٢) أوبتهم : رجوعهم .

(٣) قَرْم : أى سيد .

(٤) فى أسـد الغابة « ٤/ ٣٤٢ »: أن النبى ﷺ لم يسر إلى دومة الجندل ، وإنما أرسل إليـها جيشاً مع خالد بن الوليد .

(٥) الدليل يقال له : مذكور العُذرى رضى الله عنه « المغازى : ٤٠٣ ، والإصابة ٦/ ٦٤ » .

(٦) دُوْمَة الجندل : بدال مهملة مضمومة ويجوز فتحها ، بينها وبين دمشق خمس ليال .

جمعاً يسيرون من ظُلم السيارة فى ظلام ، فلما دنوا منها لم يجدوا غير الرعاء والماشية ، فأصابوا منها وسمع بهم أهلها فتفرقوا فى البادية ، وأقاموا بها عدة أيام ، ثم رجعوا مغمورين بالفضل والإنعام .

يا دُومةَ الجَنْدلِ بالشآمِ (١)
بُشْرَاكِ بالإقبالِ والإنعامِ
وافَى إليكِ صاحِبُ الأعلامِ
محمدٌ حامى حِمى الإسلامِ
صلَّى عليه اللهُ ذو الإكرامِ
ما لاحَ زهْرُ الرَّوْضِ فى الأكمامِ

غزوة المُرَيْسِيع (٢)
سنة خمسٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ لليلتين خلتا من شعبان ، ومعه جيشٌ يُضِئ الآفاق بنجومه الأبطال والفرسان ، وصحب عائشة وأم سلمة زوجتيه ، وترك زيد بن حارثة بالمدينة مُسْنِداً أمرها إليه ، وذهب إلى جهة بنى المُصْطَلَق ، وبروق النصر على ألويته تخفق وتأتلق ، حيث سمع بجمعهم الأيك أبى الفَرار ، وتحريض قائدهم الحارث بن أبى ضِرَار .

فلما بلغهم مسيره مزج أمرهم واضطرب ، وتفرق عنهم من كان معهم من

---

(١) الشآم : بفتح الهمزة ومدها ، لغة فى الشام وبها يستقيم وزن البيت .

(٢) المُرَيْسِيع : ورواه بعضهم بالغين المعجمة ، ماء لبنى خُزاعة بينه وبين الفُرع مسيرة يوم «مراصد الاطلاع ٣/ ١٢٦٣ » ، وتسمى غزوة بنى المصطلق .

العرب ، ومضى يقطع المنازل ويطوى المراحل ، حتى لقيهم بالمُرَيْسِيع ماءٌ لهم بناحية الساحل ، فاصطفوا للقتال ، وتراموا ساعة بالنبال ، ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجلٍ واحد ، فظفروا بالفارس والراجل والمقارب والمباعد .

وفى هذه الغزوة كان حديث عائشة وقول أهل الإفك فيها ، ثم نزل من القرآن ببراءتها مما ذكر تصريحاً وتنبيها .

وفيها نزلت آية التيمم المتلوة على مر الدهر ، وكانت مدة الغيبة عن منازل طيبة (١) قريباً من شهر .

وفى شأن عائشة يقول حسَّان بن ثابت من أبيات :

حَصَانٌ (٢) رَزَانٌ (٣) ما تُزَنُّ (٤) بريبةٍ
وتُصبِحُ غَرْثَى (٥) من لحومِ الغوافِلِ

عَقِيلَةُ حيٍّ من لُؤيِّ بن غالبٍ
كِرامُ المساعى مَجْدُهُمْ غيرُ زائلِ

مُهَذَّبَةٌ قد طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا (٤)
وطَهَّرَهَا من كلِّ سوءٍ وباطلِ

---

(١) طيبة : من أسماء المدينة المنورة .
(٢) الحَصان : العفيفة .
(٣) الرزان : الملازمة موضعها .
(٤) ما تُزنّ : أى ما تتهم .
(٣) غرثى : أى جائعة ، ويعنى أنها كافة عن أعراض الناس .
(٥) خيمها : أى أصلها .

غزوة الخَنْدَقِ المعروفة بالأحْزَابِ
سنة خمسٍ من الهجرة

بلغ رســول الله ﷺ فى ذى القعــدة من السنة المذكورة ، أن نفــراً من بنى النضير خرجوا إلى مكة بعد وقعتهم المشهورة ، فألبوا قريشاً عليه ، ودعوهم إلى حربه والخــروج إليه ، وثابروا على جمع الأحزاب ، وســعوا فى تأليف الأحابيش (١) والأعراب ، فأمر بحفر خندق حول المدينة بإشارة من سلمان، وحفــر فيه بيــده الكريمة ترغيبــاً لأهل الإيمان ، فبالغ المسلمــون فى العمل ، ودأبوا فيه بضع عشــرة ليلة حتى كَمُل ، وخرج فى ثلاثة آلاف من أوليائه ، وجعل الخندق حاجزاً بينه وبين أعدائه .

وأقبل أبو ســفيان بن حرب ، يقــود المشركين الحافِّين به من جهــة الشرق والغــرب ، وهم قريشٌ وسُلَيْمٌ وبنو أســدٍ ومن معــهم ، وبنو فَزَارَة وأشْجَعَ وبنو مُرَّة ومن تبــعهم ، فنزل فى عــشرة آلاف نفــر ، وصار إليــهم من بنى قُرَيظة من نقض العهد وغدر .

وعَظُم الخطبُ واشــتد الأمــر ، ونجم نفاق من يخــشى على الياقــوت من الجمر .

وأقام المشركــون نحو شهر على الحصار ، وليس بين الفــريقين غير الرمى

---

(١) الأحابيش : هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خريمة وبنو الحارث بن عبد مناف ، اجتمعوا بذبنة حُبْشىّ (جبل بــأسفل مكة) فتــحالفوا ، فــسمَّوا الأحابيش باسم الجــبل ، وقيل : سموا أحابيش لاجتماعهم .

بالأسهـم القِصار ، لكن عـمرو بن عـبد وُدٍ ظهر قـائلاً : هل من مـبارز ؟ فناجزه [1] على بن أبى طالب وَقَتَلَهُ قِتْلَةَ بطل دُلامِز [2] .

ثم إن الله تعـالى أرسل عليـهم الريح ، وجـهز إلـيهم جنود الـتقـديس والتسـبيح ، وشهـر بينهم أسياف الخـلاف ، فرحلوا بعـد أن كادوا يهلكون بعواصف التلاَف .

وفى هذه الغزوة ظهرت للنبى ﷺ معجزات عديدة ، منها عودة كُدْيَة [3] الخندق كالكثيب[4] بعد أن كانت شديدة ، ومنهـا تكثير القليل من تمر أخت النعمان بن بشير، ومنها شبعُ أهل الخندق من شُوَيْهة جابر وقُرصة الشعير[5] .

ثم استقر المسلمون فى ديارهم ، وكُفُوا شرَّ من قصد لجهله محو نهارهم .

وفى قتل عمرو بن عبد وُدٍ يقول على بن أبى طالب :

نصَرَ الحـجـارةَ [6] من سـفـاهة رأيه
ونصـرتُ ربَّ مـحـمـدٍ بصـوابِ

وصَدَدتُ حين تـركـتُهُ مُتَجـدِّلاً [7]
كـالجـذعِ بـين دكـادكٍ [8] وروابـى

---

(1) ناجزه : بارزه . (2) دُلامِز : قوى مُناصر .

(3) الكُدْيَة : الأرض الصلبة .

(4) الكثيب : المجتمع من الرمل . وانظر الحديث فى البخارى (٤١٠٢) .

(5) انظر حديث جابر فى البخارى (٤١٠١)، وتحرف فى المخطوط إلى: عبد الله بن جابر .

(6) أراد الأنصاب التى كانوا يعبدونها .

(7) مُتجدلاً : أى لاصقاً بالأرض وهى الجَدالة .

(8) الدكادك : جمع دكداك ، وهو من الرمل ما تبلَّدَ بالأرض ولم يرتفع .

وعـــــفَفْتُ عن أثـوابِهِ ولـو أننـى

كـنـتُ المُقَطَّرَ (١) بَزَّنــى (٢) أثوابـى

لا تحـــسبنَّ اللهَ خـــاذلَ دينـهِ

ونبـيِّه يا مـعـشـرَ الأحـزابِ (٣)

وفى هذه الغزوة يقول كعب بن مالك من أبيات :

لقــدْ علمَ الأحـزابُ حين تألـبـوا (٤)

علـينـا ورامـــوا ديـنَنَا مـــا نُوَادِعُ

يـــذُودُونـــنـــا عـــن ديـــنِنَا ونَذودُهُمْ

عن الـكُفْرِ والرحــمنِ راءٍ وســامِعُ

إذا غـــايـظونا فى مـــقـــامٍ أعـــاننا

عـلى غَيْظِهِمْ نـصـــــرٌ من اللهِ واقـعُ

وذلكَ حِفْظُ اللهِ فـــينـا وفـــضْلُهُ

بجـــودٍ ومَنْ لم يـحْفَظِ اللهُ ضــائعُ

غزوة بنى قُرَيْظَةَ
سنة خمس من الهجرة

ثم خـرج النبى ﷺ إلى بنى قُرَيْظَةَ (٥) فى ذى القعدة ، بعـد رجوعه من الخندق بأمر من هزم الأحـزاب وحده ، واستخلف عـبد الله بن أمِّ مكتوم ،

---

(١) المُقَطَّر : الملقى على أحد قُطْريه أى جنبيه. (٢) بَزَّنى : سلبنى وجرّدنى .

(٣) نبه ابن هشام فى السيرة ، وسبط ابن العجمى فى نور النبراس على أن أهل العلم بالشعر ينكرون نسبة هذه الأبيات لعلى رضى الله عنه . (٤) تألبوا : تجمعوا .

(٥) قُرَيْظَة : هو اسم رجل نزل أولاده قلعة حصينة بقرب المدينة فنسبت إليهم .

ودفع لواءه إلى على بن ملجأ السائل والمحروم .

ثم سـار إلى حصـونهم فى ثلاثة آلاف ، وأنسـاهم لذة القرار فى مـوطن الإيلاف ، وحاصرهم خمـسة عشر يوماً ، ومنعهم أن يلقـوا راحة أو يعرفوا نومـاً، فجنحـوا إلى سِلْمِه ، وأذعنوا بالنزول على حكمه ، فـأخرج النـساء والذرية واعتـقل الرجال ، وجمع الأمتـعة والأسلحة والماشيـة والجمال ، ثم سُئِلَ فى إطلاقهم فـرأى تحكيم سعد بن مـعاذ فى هذه القضيـة، فلما حَضَرَ حكَمَ بأن يُقتل الرجال وتُقسم الأموال وتُسبى النساء والذرية ، ثم رجع النبى ﷺ إلى المدينة فضرب بـها أعناقهم ، وقسم بين المسلمين سـباياهم وأموالهم ولا أقول وأرزاقهم ، وحـصرت عدتهم فكانوا دون سبع مـائة نفر ، ونودى عليهم بلسان التوبيخ هذا جزاء من كفر .

وفى هذه الغزوة يقول حسان بن ثابت :

لقــد لَقِيَتْ قُرِيظةُ مــا ســأها[1]
وحـلَّ بحـصنِهـا ذلٌ ذليـلُ
وسـعـدٌ كـان أنـذرهُمْ بِنُصحٍ
بـأن إلـهـكـم ربٌ جـلـيـلُ
فـمـا بَرِحُوا بنـقضِ العـهـد حـتَّى
فـلاهُمْ [2] فى بـلادهِم الـرسـولُ
نحـا فـى حـصنهمْ منَّا صُفُوفٌ
لـه مِنْ حـرٍّ وقْعَتِهِمْ صَلـيـلُ

(١) أراد ما سـاءها فقلب ، والعرب تفـعل ذلك فى بعض الأفعـال ، يقولون : رأى وراءى بمعنى واحد على جهة القلب .

(٢) يقال : فلوته بالسيف إذا ضربت رأسه.

سرية محمد بن مَسْلَمَة إلى القُرَطَاء من بنى كلابٍ سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ لعشرٍ خلون من المحرم ، وجهز معه ثلاثين راكباً تتوقد بهم نار الحرب وتتضرم ، فمضوا إلى منزل القُرَطَاء (١) بناحية ضَرِيَّة (٢) ، وناجزهم بقلوب من الشك والريب عَرِيَّه ، فقتلوا منهم طائفة ، وفرت البقية الشقية وجلةً خائفة ، فظفروا بِجِمالٍ جميلة الإعناق والإيجاف (٣) ، وغنموا من الغنم ما عدته ثلاثة آلاف ، ثم قدموا على النبى ﷺ فخمَّس الغنيمة ، وفضَّ الباقى على القادمين بعُلوِّ الهمة وقوة العزيمة .

لما تجـــرَّأ القُرَطَاءُ واعـــتَدَوا
وافـــاهُمُ مـــحـــمـــدُ بن مَسْلَمَهْ
فـــاستلَّ سـيفَ الحـقِّ فى قِتـالِهم
وعـــادَ مَخْصُوصـــاً بِكلِّ مكْرُمَهْ

غزوة بنى لَحْيان سنة ست من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى السنة السادسة ، ومعه مائتا رجل من أهل المعرفة والممارسة ، واستخلف ابن أمِّ مكتوم على يثرب ، وعزم متوكلاً على اللهِ

---

(١) القُرَطَاء : بطن من بنى بكر بن كلاب .
(٢) ضَرِيَّة : قرية فى طريق مكة من البصرة من نجد «مراصد الاطلاع ٢/ ٨٦٨» .
(٣) الإعناق والإيجاف : ضربان من السير .

ربِّ المشرق والمغرب ، ومضى طالباً بثأر أهل الرَّجيع [1] من بنى لَحْيان ، وأعدَّ السير[2] حتى انتهى إلى غُران [3] وادٍ بين أَمَجَ [4] وعَسْفَان[5] ، فرأى الديار منهم خالية ، والمنازل وهى على عروشها خاوية ، فبث سراياه بنواحى الرَّمل والجَدَد ، وأقام بها مدة فلم يظفر منهم بأحد ، سمعوا به فتعلقوا بحبال الجبال ، وتفرقوا فى العِقَاب والشِّعاب والرمال ، ثم نزل عُسْفان تخويفاً لمن بمكة من أولائك النفر ، ثم قفل راجعاً إلى المدينة مستعيذاً بالله من وعثاء السفر .

وفى هذه الغزوة يقول كعب بن مالك :

ولو أن بنى لَحيانَ كانوا تناظروا [6]
لقوا عُصباً فى دارهمْ ذاتُ مَصْدَقِ

لقوا سَرَعَاناً [7] يملأُ السِّربَ[8] رَوْعُهُ
أمامَ طواحنٍ[9] كالمجَرَّةِ[10] فيلقِ [11]

ولكنهم كانوا وِبَاراً [12] تتبَّعَتْ
شِعابَ حِجارٍ[13] غيرَ ذى مُتَنَفَّقِ [14]

---

(١) الرَّجيع : من ناحية الشام على ثلاثة أميال من المدينة . (٢) أعدَّ السير : أى أسرع .
(٣) غُران : واد الأزرق . (٤) أَمَجُ : بلد من أعراض المدينة « معجم البلدان ١/ ٢٤٩» .
(٥) عُسْفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة « معجم البلدان ٤/ ١٢١ » .
(٦) تناظروا : أى انتظروا بعضهم بعضاً . (٧) السَرَعَان : أول القوم .
(٨) السَرْب : بفتح السين : الطريق ، وبكسر السين : النفس .
(٩) الطحون : كتيبة تطحن كل ما تمر به .
(١٠) المَجَرة : مجرة السماء ، وهو البياض المستطيل بين النجوم .
(١١) فيلق : الكتيبة الشديدة .
(١٢) الوِبَار : جمع وبرة ، وهى دويبة أصغر من السنور تشبه بها العرب الضعفاء .
(١٣) حجار : جمع حِجْرٍ ، ومن رواه : حجاز فيعنى أرض مكة وما يليها ، ومن رواه حجَان فيعنى المعوجة . (١٤) مُتنفق : هو سرب فى الأرض له مخلصٌ إلى مكان .

غزوة ذى قَرَد [1]
سنة ست من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى الشهر المذكور إلى جهة الغابة [2] ، وخرج معه خمسمائة نفرٍ ويزيدون من الصحابة ، واستخلف ابن أمٍّ مكتوم على طيبة ، وتلفع بمروط البسالة[3] والجلالة والهيبة ، وسار إلى عُيينة بن حِصْن[4] الفزارى ، الذى كان يباهى بشدة كفره ويبارى ، حيث بلغه أنه ركب خيل الاجتراء والاجتراح، وأغار فى أربعين فارساً على ما كان له بالغابة من اللِّقاح، فوجدهم قد استاقوا وانهزموا، وظنوا أنهم غنموا لا والله بل غَرِموا.

فمضت فرقة فى آثارهم إلى ذى قَرَد ، فأدركوهم وقتلوا خمسة ممن على البغى مَرَد ، وظفروا بخيلهم وسلاحهم ، واستنقذوا نصف ما أخذوه من لِقَاحهم [5] .

وصلَّى عليه السلام صلاة الخوف فى هذه الغزوة ، ثم انصرف إلى المدينة رفيع العِماد عالىَ الذروة .

وفى هذه الغزوة يقول كعب بن مالك من أبيات :

---

(١) ذو قَرَد : بفتح القاف والراء وهو ضبط أصحاب الحديث ، وضبطه أهل اللغة بالضم فيهما ، وهى على نحو بريد مما يلى غَطَفَان ، وقيل : على مسافة يوم . والقَرَدُ فى اللغة: الصوف الردئ .

(٢) الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام، فيه أموال لأهل المدينة .

(٣) تلَفَّع بمروط البسالة : أى التحف بأكسية الشجاعة .

(٤) عُيَينة بن حِصن الفَزَارى ، أبو مالك ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وكان من الأعراب الجفاة « الإصابة ٤/ ٧٦٧ » .

(٥) هذا غلط بين، والذى فى الصحيحين: أنهم استنقذوا اللقاح كُلَّها .

أيحسبُ أولادُ اللَّقيطَةِ (١) أنَّنا
على الخيلِ لسنَا مِثْلَهُمْ فى الفوارسِ

ونحن أُناسٌ لا نرىَ القَتْلَ سُبَّةً
ولا نَنْثَنى (٢) عند الرماحِ المدَاعِسِ (٣)

نرُدُّ كُمَاةَ (٤) المُعْلِمينَ إذا انتَخَوا (٥)
بِضَربٍ يُسَلِّى نخوةَ (٦) المتقاعِسِ (٧)

بكل فتىً حامى الحقيقة ماجد
كريمٍ كسِرْحَانٍ (٨) الغضَاةِ (٩) مُخَالِسِ

يذودونَ (١٠) عن أحسابِهِم وبلادهم
ببيضٍ تَقُدُّ (١١) الهامَ (١٢) تحتَ القوانسِ (١٣)

سرية عُكَّاشة بن محْصَن الأسدي (١٤) إلى الغَمْرِ سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المذكور (١٥) ، وجهز معه أربعين من الراغبين فى العمل المبرور ، فخرج بهم إلى الغَمْر وهو ماء لبنى أسد ، فلما وصلوا

---

(١) اللَّقيطة : الرجل الساقط الرَّذْلُ المهين ، وكذا المرأة . (٢) ننثنى : نرجع .

(٣) المدَاعس : المطاعن ، واحدها مدعس ، يقال دعسه بالرمح إذا طعنه .

(٤) الكُماة : الشجعان . (٥) انتخوا : تكبروا .

(٦) النَّخوة : العظمة والتكبر . (٧) المتقاعس : الذى لا يلين ولا ينقاد .

(٨) السِّرْحَان : الذئب . (٩) الغضاة : شجرة ويقال : أخبث الذئاب ذئاب الغضى .

(١٠) يذودن : يمنعون ويدفعون . (١١) تَقُدُّ : تقطع .

(١٢) الهام: جمع هامة: الرأس . (١٣) القوانس : أعلى بيض الحديد ، واحدها قونس .

(١٤) عُكَّاشة بن مِحْصَن بن حرثان الأسدى ، شهد المشاهد كلها مع النبى ﷺ وقتل فى حرب الرِدَّة ببزاخة بأرض نجد « الإصابة ٤/ ٥٣٣ » . (١٥) هو شهر ربيع الأول .

إليه لم يجدوه مأهولاً بأحد ، هربوا حيث بلغهم الطلب ، وشَرَدوا خوفاً من السيوف واليَلَب (١) ، فاستاقوا ما رأوا من النَّعم ، ورجعوا مغمورين بالفضل والنِّعَم .

أولاكَ خيرُ الخلقِ يا عُكَّاشَةُ
قُرباً لهُ حدَّقَ كلُّ مُحسنِ
يا طالبَ العلياءِ أقصِرْ واتَّئِدْ
فازَ بها عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنِ

سرية محمد بن مَسْلَمَة إلى ذى القَصَّة سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شهر ربيع الآخر، وجهز معه عشرة من ذوى المناقب والمفاخر ، فمضوا إلى بنى ثعلبة بذى القَصَّة (٢) ، وقد قُسِّمت لهم مع الشهداء حِصَّةٌ وأى حِصَّة .

فلما وردوا عليهم فى ليلة حالكة الجُلْباب ، أحدق بهم القوم وكانوا مائة من الأجلاف الأعراب ، وحملوا عليهم فقتلوهم ، وعن الرجوع إلى الأوطان فتلوهم ، ولم يفلت منهم إلا محمد بن مَسْلَمَة ، على أنه عاد جريحاً صُحْبَةَ رجلٍ من أهل المرحمة .

هنيئاً لأرباب الشَّهادةِ ما رأوا
من الخيرِ فى الفَرْدوسِ والبرِّ والفضلِ

---

(٢) اليَلَبُ : جُنَنٌ من لُبُود . الواحدة يَلَبَةُ .

(٢) ذو القَصَّة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً فى طريق الربذة « معجم البلدان ٣٦٦/٤ » .

لِوَكْرِ السعِدى طاروا فَفُضَّ جَنَاحُهُمْ
بِذي القَصَّةِ المشْهُورُ عندَ ذَوِى النَّقْلِ

سرية أبى عُبَيْدة بن الجرَّاح إلى بنى ثَعْلَبَة
سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المُشار إلَيه [1] ، وجهز معه أربعين من أصحابه المقربين لديه ، فَسَرَوا ليلاً ، وجرُّوا للأخذ بالثأر ذيلاً ، حتى وافوا بنى ثَعْلَبَة صُبحاً ، مضمرين ألا يرفعوا عنهم سيفاً ولا رُمحاً ، فأعجزوهم هرباً فى الجبال ، وانهزموا لا يلتفتون لمال ولا عيال ، فأخذوا من نَعَمِهِم ومتاعهم ، ثم رجعوا سالمين إلى منازلهم ورِبَاعِهِم .

قُلْ لبنى ثعلبةَ الباغِينَ يا من
فى الرُّبى غاروا كَغَوْرِ الثَّعلبِ
هلاَّ ثَبَتُّمْ للِّقا حتى تروا
حقيقة المَهْلَكِ دُونَ المَطْلَبِ

سرية زيد بن حارثة إلى الجَمُوم
سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المقدَّم ذكره [2] ، ومعه من المسلمين من لا يخفى خطره ولا قَدْرُه ، فمضوا إلى بنى سُلَيْم حتى دنوا من الجَمُوم [3] ،

(١) هو شهر ربيع الآخر « السيرة الشامية ٦/ ٨١ » .
(٢) الشهر المقدم ذكره هو شهر ربيع الآخر .
(٣) الجَموم : ناحية ببطن نخل على أربعة بُرد من المدينة .

وهو ناحيـة طائرها على بطن نَخْلٍ تحوم ، فوجدوه خـالياً من أهله ، صِفْراً من جميع المشركين حَدَثِه وكهله ، ورأوا فى مـحالِّهم نَعَماً وأسرى ، فأخذوا النَّعَم وتمنَّحوا الأسرى بعد العُسر يُسرا .

إلى بـطنِ نَخْلٍ ســـار زيدٌ وحــــوله
كُمَاةٌ لـهم عـــــزمٌ عـلىٌّ عَلَى الـنَّسْرِ
فَشـــرَّد أعـــداءً وحـــازَ غَنِيْمـــةً
وأنقــذَ أصـــحـــابَ النبى من الأســـرِ

سرية زيد بن حارثة إلى العيص (١)
سنة ست من الهجرة

بعـثه النـبى ﷺ فى جمـادى الأولى ، وأفـاض عليه مـن سحـائب يده الطولى، وجهزه فى سبعين ومائة راكب ، تتكمَّل بهم المواقف وتتجمل بهم المواكب ، وأمـرهم بطلب عيـر لقريـش أقبلت من الشـام ، فسـاروا إليهـا وانقضُّوا عليهـا انقضاض البُزَاةِ (٢) على الحَمَام ، فأخـذوا ما كان فيـها من الفضة الكثـيرة ، ولم يغادروا مما اشتملت عليـه صغيرة ولا كبـيرة ، وأسروا ناساً منهم أبو الـعاص بن الربيع(٣) ، ثم رجعوا يتـفيئون (٤) فى ظـلٍ من السلامة رفيع .

---

(١) العِيص : موضع فى بلاد بنى سُليم به مـاء يقال له : ذئبان العـيص ، بينها وبين المدينة أربعة ليالٍ « معجم البلدان ٤/ ١٧٣ » .

(٢) البُزاة : جمع البازى : جنس من الصقور ، من فصيلة العُقاب النِّسْرية .

(٣) استجـار أبو العاص بزينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته ، فقـال رسول الله ﷺ : « قد أجرنا من أجرت » وردَّ عليه ما أُخِذَ منه .

(٤) يتفيئون : يستظلون .

قل لابنِ حـــارثةَ الذى أسيـــافـهُ

مـــشـــهـــورةٌ لم تُنْسَ يـوم العِيْصِ

للهِ دَرُّكَ حـــيثُ لـم تبـــرحْ عـلى

خِذْلانِ أهـلِ الشِّرْكِ أىَّ حـــريـصِ

سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرَف [1]
سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشـهر المنوَّه بذكره [2] ، وأرسله مُخَلَّقاً بعبـير النصر والظفر طائرُ وكْرِه ، وجهز معه خمسة عشر رجلاً من أهل الحزم والتجربة، وأمره بالمضى إلى ماءٍ يُعرف بالطَّرفِ لغزو بنى ثَعْلَبة .

فسـار إليهم مُغير ، وأصاب من نَعَمِهِم عشرين بعـير ، وفاته المشـركون هرباً، غـاروا فى بَحْرةِ الحُجاز فلن تستطيع لهم طلبـاً ، ثم رجع إلى المدينة رفيع المنال ، وساق معه الإبل بعد غيبة أربع ليال .

أكْرِمْ بقـومٍ من صـحـابةِ أحـمـدِ

فـضـلَ المطَارفِ شـمَّروا نحـو الطَّرفْ

ســاروا لِثَعْلبــةَ البُغــاةِ وحـــصَّلوا

نَعَمــاً بـهــا لهـمُ نعــيـمٌ فى الغُرَفْ

---

(١) الطَّرَف : ماء قـريب من المرقى دون النخيل ، على ستة وثلاثين ميـلاً من المدينة طريق النقرة «مراصد الاطلاع ٢/ ٨٨٥» .

(٢) الشهر المنوه بذكره هو شهر جمادى الآخرة .

سرية زيد بن حارثة إلى حسْمَى [1]
سنة ستٍ من الهجرَة

بعثه النبى ﷺ فى جمـادى الآخرة ، وجهزه إلى جُذامٍ [2] فى خمسمائة من ذوى الوجـوه الزَّاهرة ، حيث عـارضوا دِحـيَةَ الكلبى [3] وقطعوا عليه الطريق ، وقابلوه فى سلب متاعه وانتهاك حرمته بما لا يليق ، فساروا ومعهم دليلٌ من بنى عُذرة ، حتى هجموا فى صـبحٍ أسفر على كل منهم بما يكره ، فأوقعوهم بالإغارة عليهم فى شرك الحـيرة ، وقتلوا كبيرهم الهُنَيدُ بن عارضٍ وغيره ، وأخذوا إبلهم وشاءهم ، وسبَّوا صبيانهم ونساءهم .

فأتى رفاعة الجُذَامىُّ إلى النبى ﷺ ، ودفع إليه كتابه المُسَطَّرُ له ولقومه عند إسلامه فيما تقدم ، فبعث على بن أبى طالب برد أموالهم ، وأن يُخَلَّى بينهم وبين نسائهم وأطفالهم ، فامتُثِلت أوامره الشريفة ، بعد رد ما أُخِذَ لدحية بن خليفة .

مَنَّ الـرســـــول علـى جُذامٍ بالـذى
أخـــذَ الـصِّحـــابُ لهم مـن الأمـــوالِ

والمُصـطفـى كمْ مِنَّةٍ ظـهــــرتْ لـهُ
مــــقْرونةٍ بـالجـــودِ والإفـــضـــالِ

---

(١) حسْمَى : أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادى القـرى ليلتان . وقيل: موضع من أرض جُذام ذكروا أن الماء فى زمن الطوفان أقام به بعد نضوبه ثمانين عاماً .

(٢) جُذام : قبيلة بجبال حِسمَى من معَدَ .

(٣) هو دحية بن خليفة الكلبى وكان قادماً من عند قيصر ، وقد أجازه وكساه ، وهو صحابى مشهور ، عاش إلى خلافة معاوية « الإصابة ٢/ ٢٨٤ » .

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَةَ الجَنْدَل [1]
سنة ستٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شعبان من السنة المذكورة ، بعد أن عمَّمه بيده الواضحة معجزاتها المشهورة [2] ، وأمره بغزو أهل الكفر والعناد ، ونهاه عن الغدر والغلولِ [3] وقتلِ الأولاد .

فسار حسب الأمر إلى كلبٍ بدُومَة الجَنْدَل ، ومكث بها يدعو إلى من سبَّح بحمده الطير وعَنْدَل [4] ، فأسلم رأسهم الأصبغ بن عمرو ، وتبعه كثير من المعتاضين عن البَرْض [5] بالغَمْر [6] .

ثم تزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ ، ورجع مشمولاً ببركة من حكم فعدل وخطب فأبلغ .

سار ابن عوفٍ إلى كلبٍ بمن معهُ
من الكُمَاةِ فلما أسلموا سَلِموا

ورأسهم نجلُ عمرو كان قائدهم
إلى الطريق فيالله ما غنموا

---

(١) دُومَة الجَنْدَل ، ويقال : دوماء بالمد : حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة المنورة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة.

(٢) ذكره الهيثمى فى المجمع (٥/ ١٢٣) وعزاه للطبرانى فى الأوسط وقال : إسناده حسن .

(٣) الغلول : الغدر والخيانة فى المغنم .

(٤) عَنْدَل : صوت .

(٥) البَرْض : القليل .

(٦) الغَمْر : الكثير .

سرية على بن أبى طالب إلى بنى سعدٍ سنة ستٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المشار إليه [1] ، وجهز معه مائة يتبعون رأيه ويعتمدون عليه ، حيث بلغه أنهم يريدون إمداد اليهود ، ويقصدون إعانة من كتم الحق ونقد العهود .

فمضى مُضْمِراً إيقاع المشركين فى الشَّرَك، وسار حتى انتهى إلى الغَمَجِ[2] ماءٌ بين خَيْبَر وفَدَك ، وسمعوا بمجيئه فتفرقوا ، وأحسوا بأسه فانهزموا وتمزقوا ، فأغار لهم على ألفى شاة وخمسمائة بعير ، فعزل الخُمْسَ وقسم الباقى بين المأمور من الغزاة والأمير ، ثم وافى المدينة قادماً ، وانقلب إلى أهله سالماً غانماً .

مهلاً بنى سعدٍ فقد جاءَكُم
لَيْثُ الوغَى نجلُ أبى طالبِ
فى عُصْبَةٍ ما للعدى عندهمْ
زادٌ سوى العَاسِلِ [3] والقاضِبِ [4]
يا ويلكم كلٌ غدا منكمُ
منهزماً ما يلحقُ بالهاربِ

---

(١) كانت فى شهر شعبان « السيرة الشامية ٦/ ٧٦ » .

(٢) الغَمَج : من المياه ما لم يكن عذباً .

(٣) العَاسِل : الذئب .

(٤) القَاضِب : السيف القطَّاع .

سرية زيد بن حارثة إلى وادى القُرى
سنة ستٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شهر الصوم ، وجهز معه قوماً من أصحابه سُقْياً لهم من قوم ، فسار بهم إلى بنى بدر من فزارة ، مضمراً أن يأخذ منهم بالثأر ويُشِنَّ عليهم الإغارة ، وكانوا قد قطعوا عليه الطريق بوادى القُرى ، وتركوه بعد أن جرحوه وأخذوا تجارته مُلْقاً على البَرَى [1] ، فجاءهم صُحْبَة يومٍ عبوس ، وسقاهم للحتف كؤوساً وأى كؤوس ، وقتلوا أُمَّ قِرْفَةَ بنت ربيعة ابن بدر [2] ، وأهْلَكُوا غيرها ممن يمُت عندهم بعُلُو القدر ، ثم رجعوا مستبشرين بالظَّفَر ، فرحين بالظهور على من جحد وكفر .

أيا طالبَ الأخبارِ عنْ أُمِّ قِرْفَةٍ
بوادى القُرى يَمِّم وسَلْ عن بنى بدرِ
ترى القومَ صرعى فى خِلال ديارهم
جزاءً بما كانوا عليه من الغدرِ

---

(١) البَرَى : التُّراب .

(٢) ذكر الواقدى أنها قتلت يوم بُزاخة (ماء لبنى أسد ، كانت به وقعة بين المسلمين والمرتدين فى خلافة الصديق رضى الله عنه) وهو خطأ لأن المقتول يوم بُزاخة بنوها التسعة ، وكانت أمُّ قِرفة تشدد فى السَّب على رسول الله ﷺ والنيل من شخصه الكريم «الروض الأنف ٤/ ٢٥٢» .

سرية عبد الله بن عَتيك[1]
إلى ابن أبى الحُقَيْق اليهودى
سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المذكور[2] ، وجهَّز معه أربعة [3] من ذوى الفضل المأثور، وأمرهم بقتل سَلاَّم بن أبى الحُقَيْق ، فمضوا إليه مُضِيَّ البرق ولا أقول البُرَيْق .

وكان قد أجْلَبَ[4] فى غَطْفَان [5] وغيرهم ، والتزم لمحاربيه توفير عطائهم وميَرِهم[6] .

وسَرَوا إلى منزله ليلاً ، ولم يصحبوا معهم خوَلاً ولا خيلاً ، واحتالوا على الدُّخول إليه أيَّ احتيال ، وقتله عبد الله بن عَتِيكٍ على الصحيح من الأقوال .

وخرجوا حتى اختفوا ببعض المَناهِر[7] ، وجَدَّ اليهود فى طلبهم إلى أن كَلَّ الطالب وتعب المُظاهر، فلما أيسوا رجعوا ، وتفرَّقوا بعد أن اجتمعوا .

---

(١) هو عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود الأنصارى، شهد أحداً وما بعدها و قتل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق « الإصابة ٤/ ١٦٧ ».

(٢) قال ابن سعد : كانت فى رمضان (٣/ ١٣٤) .

(٣) هؤلاء الأربعة هم : مسعود بن سِنَان ، وعبد الله بن أُنيس الجهنى ، وأبو قتادة الحارث ابن ربْعى ، وخُزاعى بن أسود ، وزاد السهيلى (٢/ ٢٠٩) : أسعد بن حَرَام .

(٤) أجْلَبَ : جمع ما قدر عليه ممن أطاعه .

(٥) غَطَفَان : قبيلة نسبت إلى جدها .

(٦) المِيَرة : الطعام يجمع للسفر ونحوه .

(٧) المَناهر : جمع مَنْهَرُ ، وهو خرق فى الحصن نافذ يدخل فيه الماء، وقيل: محل الكُناسة.

ثم انصرف المسلمون إلى الأهل والأصحاب ، وقد ظفروا بقتل عدو الله مُحَزِّبِ الأحزاب .

وفى قتله وقتل كعب بن الأشرف يقول حسان بن ثابت من أبيات :

لله دَرُّ عُصابَةٍ لاقَيْتَهُم
يا ابنَ الحُقَيقِ وأنتَ يا ابن الأشْرفِ

يَسْرُون بالبيضِ[1] الخِفافِ إليكمُ
مَرْحباً كأُسدٍ فى عرينٍ[2] مُغْرِفِ[3]

مُستبصرينَ [4] لِنصرِ دينِ نبيهمْ
مُستَصْرخينَ[5] لكلِّ أمرٍ مُجْحِفِ [6]

سرية عبد الله بن رواحة إلى أُسَيْر بن رِزام اليهودى [7] سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ إلى أُسَيْرٍ فى شوَّال، ومعه ثلاثون لا يعبَؤن بجوابٍ فى الحرب ولا جَوَّال ، حيث بلغه أنه أُمِّرَ بعد سلام ، وأنه يجمع لحربه أعداء الدين وأضْدَادَ الإسلام .

(١) البيض : السيوف . (٢) العَرين : مأوى الأسد ، والجمع : عُرُن .
(٣) المُغْرِف : الشجر الكثير الملتف الأغصان .
(٤) رواية المؤلف والديوان «مستبصرين» بالباء الموحدة أجود من رواية المطبوعة من سيرة ابن هشام «مستنصرين» بالنون . (٥) فى السيرة الشامية (٦/ ١٦٦) : مستصغرين .
(٦) المُجْحِف : الذى يذهب بالنفوس والأموال .
(٧) فى تاريخ خليفة (٧٧) ، وتاريخ الطبرى (٣/ ١٧١)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٢١) : «يُسير ابن رزام » . وفى سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٦) : «اليُسير بن رزام» .

فساروا إليه وقصدوه ، وبتقريبه واستعماله على خَيْبَر وعَدُوه ، فخرج معهم فى ثلاثين راكباً من اليهود ، ثم ندم فى الطريق ومال إلى الصدود .

فلما ظهر للمسلمين مكرُهُم ، وتبين لذوى الأفهام غدرهم ، شهروا عليهم السيوف ، وأتْرَعُوا [١] لهم موارد الحُتُوف ، واستأصلوهم غير منهزم واحد، ثم رجعوا مسرورين بالنُّصْرة على الكافر والجاحد .

لما تعدى أُسَيْرٌ	سارت إليه الصحابهْ
وفى عِقَابِ[٢] الفيافى[٣]	ساقوا إليه عذابَهْ
ورهطُهُ جرَّعوهُمْ	من الحِمامِ شَرَابَهْ
والحقُّ منْ زاغَ عنهُ	كان الحسَامُ جوابهْ

سرية كُرْزِ بن جابر الفهْرى[٤] إلى العُرَنِيِّين سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المبدوء بذكره [٥] ، وجهَّز معه عشرين فارساً حارساً للدين بنصله ونصره ، وأمرهم بطلب ثمانيةٍ أسلموا من عُرَيْنة ، تركهم فى لِقاحِهِ [٦] ليُذهِب الله وَصَبَ [٧] كلٍّ منهم وشينَه .

(١) أتْرَعُوا : عجَّلوا لهم .

(٢) عِقَاب : جمع عَقَبَة وهى المرقى الصعب من الجبال .

(٣) الفيافى : من الصحراء .

(٤) هو كُرز بن جابر بن حِسل الفِهْرِى ، استشهد يوم فتح مكة «الإصابة ٥/ ٥٨١» .

(٥) هذه السرية كانت فى شهر شوال . (٦) اللِّقاح : الناقة ذات اللبن .

(٧) الوَصَبْ : المرض .

فلمـا صَحَوْا عَدَوْا على اللِّقَاح غـدراً ، ومـثَّلوا بمولاه يَسَارٍ حـتى مـات صبراً .

فنهضت فى طلبهم الفـوارس ، وبرزت إلى ذى الجُدُرِ كالأُسدِ العوابس ، فأدركوهــم وحصروهم ، وأحاطوا بهم وأسـروهم ، وقَدِموا على النبى ﷺ وهو بالغَابَة ، فقطَّع أيديهم وأرجلهم وسَمَلَ(١) أعينهم وصلبهم بمحضرٍ من الصحابة .

لله أنــــت وفِتْيَـــــةٌ	تبعتك يا كُرْزَ بن جابرْ
أمســكتَ أعــداءَ النبيِ	محمدٍ ربِّ المفَـــاخِرْ
وحضرتَ أربابَ الخنَا(٢)	وأسرت منهم كلَّ غادرْ
بُشْــــراكَ بالنَّعْمـاءِ فى	دارِ البقــاءِ معَ الأكابرْ

سرية عمرو بن أُمَيَّة الضِّمرى(٣) إلى أبى سفيان سنة ست من الهجرة

بعثه النبى ﷺ إلى مكة فى الشهرً المُشار إليه ، وبعث معه سَلَمَة بن أسْلَمٍ رضوان الله عليه ، وأمرهما بقتل أبى سـفيان ، لِما بلغه عنه فى ذلك الوقت من الطغيان .

---

(١) سَمَلَ : فقأ أعينهم بأى شئ كان ، وروى : سمَّرَ .

(٢) الخِنَا : العار والفساد .

(٣) هو عمرو بـن خويلد الضِّمرى ، وكان من خـير رجال العرب جـرأة ونجدة ، وكان أول مشاهده بئر معونة ، وبعثه النبى ﷺ إلى النجاشى فى زواج أم حبيبة «الإصابة ٤/٦٠٢» .

وكان قد جهز رجلاً من الأعراب لاغتياله[1] ، وأركبه بعيراً وأعطاه نفقة له ولعياله ، فلما أقبل الرجل الآتى لغير الخير ، قصَّ عليه الخبر حين أمسكه أُسَيْدُ بن الحُضَير .

ثم أن عمرو بن أُميَّة دخل مكة ، واستعمل يقين العزم ونفى شكَّه ، فأحسَّت قريشٌ به وقصدته بالطلب ، وحشدوا[2] عليه خوفاً من قتله فهرب، ثم قفل [3] إلى المدينة عائداً ، بعد أن قَتَلَ ثلاثة وأسروا واحداً .

أتى عمروٌ الضِّمْرِىُّ مكةَ مُضْمِراً
قِتالَ امرئٍ يؤذى النبىَّ محمَّدا
فجاسَ خِلالَ الدَّارِ لا يَرْهَبِ العدا
وعادَ إلى نحوِ الرَّسولِ مؤيَّدا

غزوة الحُدَيْبِيَة
سنة ستٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى ذى القعدة إلى العُمرة ، واستنفر أصحابه المتَّبِعين قوله الممتثلين أمره ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أُمِّ مكْتوم[4] ، ومضى فى ألف وأربعمائة مقيمٍ على طاعة الحى القيوم ، لم يصحب غير سلاح المسافر ، ولم يقصد حرب مشركٍ ولا كافر .

---

(١) الاغتيال : هو الأخذ فى غفلة . (٢) حشدوا : جمعوا .
(٣) قَفَل : رجع .
(٤) قال ابن هشام : استعمل نُميلة بن عبد الله الليثى . وقال البلاذرى : أبو رهْم كُلثوم بن الحصين «المواهب ٢/ ١٨٠» .

وساق من الهـدى سبعين بَدَنَة[١] ، وأحرم ولبىَّ مـوضِّحاً للناس شـرعه وسننه ، وسـار مُظَلَّلاً بغمـام النِّعم ، حـتى دنا من الحُدَيْبِيَة[٢] وهى طرف الحرام، وبلغ قريشاً خروجُهُ فى أصحـابه الكرام ، فأجمعوا رأيهم على صده عن المسجد الحرام ، وبادروا إلى جمع الرجال ، وخرجوا مستعدين للقتال ، ولبسوا جلود النمور ، وغـرَّهم بالله الغَرُور ، وراسلوه بمنعه من الدخول إلى سِرْبِهِم ، بعد أن عرَّفهم أنه إنما جاء للزيارة لا لحربهم .

ثم عقـد الصلح بينهم على وضع الحـرب عشر سنين كـوامل ، وعلى أن ينصرف عنهم ثم يدخل عليهم فى العام القابل .

وفى هذه الغزوة كانت بيعة الرِّضوان ، وفيهـا أقيمت صلاة الخوف خشية ذوى الجَوْرِ والعدوان ، وفيها نزلت سورة الفتح المبين ، وفيها ظهرت معجزة نبع الماء من البـئر الضنين[٣]، وفـيهـا أنزل الله على رسـوله وعلى المؤمنين السكينة ، ولما فرغ ﷺ نحر هديه وحلق رأسه ثم قفل إلى المدينة .

عـــــرِّجْ عـلى أرضِ الحُدَيْبِيَــةِ التـى
شَرُفَتْ بموطـئِ ســـيِّــدِ الأكـــــوانِ
فـــهى التى صـلىَّ النبىُّ بهـــا صـــلاةَ
الخـــــوفِ يَخْشـى منْ ذوى الـعُدْوانِ
وبـهـــــا تـنَزَّلَتِ السَّكـينـةُ وارتقـىَ
منْ حَلَّ مَجْلِسَ بـيـــعــــةِ الرِّضْوانِ

---

(١) البَدَنَة : ناقة أو بقرة ، تنحر بمكة قرباناً وكانوا يسمِّنونها لذلك .

(٢) الحُدَيْبِيَة : بئر سمـى المكان بها ، والأعرف فيـها التخفـيف ، وعامة الفقـهاء والمحدِّثين فيشدِّدونها.

(٣) الضنين : البخيل .

غزوة خَيْبَر
سنة سبعٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى جمــادى الأولى إلى خَيْبَر ، وظهر بعسكره الذى أناف[1] بحــسن الأوصاف عــلى كلِّ عسكر ، واســتــخلف سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ الغِفَارى، وســاروا إلى حـــرب من يجــادل فى الحق ويمارى ، حـــتى نزلوا بساحــتهم ، وأقبلوا بنفــى دعَتِهِمْ وراحتهم ، فــوعظ الناس وفرَّق الرايات ، ودفع لواءه إلى صاحب الآيات .

وجدَّ المسلمــون فى قتالــهم ، وبالغوا فى جِلادِهِم[2] لا فى جــدالهم ، وأرغموا آنافهم ، وقــتلوا أشرافهم ، وأنزلوهم من صَيَاصِيهم[3] ، وأخذوا بأعناقهم ونواصيــهم ، وأقاموا حصونهم على محــاصرتهم مدَّة ، وألجأوهم إلى اقتحام عِقاب الضيقِ والشدة ، وفــتحوا لهم عدة حصون ،وأدالوا ما كان بها من المال المصون ، وظفروا بالسبائب[4] والسبايا ، واستخرجوا ما كان فى الزوايا من الخبايا .

ثم إن النبى ﷺ أجــابهم إلى ســؤالهم ، وساقــهم مع أهل فَدَكٍ[5] على النصف من أموالهم .

---

(١) أنَافَ : أى ساد وعلا .

(٢) جِلادهم : ضربهم بالسيوف .

(٣) صَيَاصِيهم : أى حصونهم .

(٤) السَبَائب : جمع سَبِيبة وهى : الشُّقَّة الرقيقة من الكَتَّان .

(٥) فَدَك : قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان. وقيل : ثلاثة «مراصد الاطلاع ١٠٢٠».

وفى هذه الغزوة تزوج صفية ، ونهى عن أكل لحوم الحُمر الأهلية ، وفيها قتل اليهودية التى اهدت إليه الشاة المسمومة[1] ، ونهى عن بيع الغنيمة التى هى غير مقسومة .

ولما فـرغ من أمر خَيْبَر قـسم الغنائم ، ثم قـفل إلى المدينة مرفـوع الألوية منصوب العزائم .

وفى هذه الغزوة يقول كعب بن مالك من أبيات :

ونحن وردنـا خـيـبـراً وفُرُوضَهُ[1]
بكلِّ فتىً عـارى الأشاجِعِ[3] مِذْوَدِ [4]
جـوادٍ لدى الغـايـاتِ لا واهنَ القُوى
جـرِىٍّ على الأعـداءِ فـى كلِّ مـشـهـدِ
عظـيمِ رمَادِ الـقـدْرِ فى كـلِّ شِتْوَةٍ
ضَرُوبٍ بـنـصْلِ المَشْرَفـيِّ [5] المُهَنَّدِ
يرى القـتلَ مـدْحـاً إنْ أصـابَ شَهَـادَةً
منَ اللهِ يرْجـوهـا وفـوزاً بأحـمـدِ

وفيها يقول ابن القَيِّم العَبْسِىِّ من أبيات [6] :

ولكـلِّ حِصْنٍ شـاغِلٌ من خـيْلِهِمْ
من عـبـدِ الأشْهلِ أو بنـى النَّجَّارِ

---

(١) ويقال : بل عفى عنها . (٢) الفروض : المواضع التى يشرب منها فى الأنهار.
(٣) الأشاجع : عروق ظهر الكف . (٤) مِذْوَد : مانع .
(٥) المَشْرَفى : سيوف منسوبة إلى المشارف ، من قرى الشام .
(٦) هو على بن عباد الإسكندرى ، العبسى ، شاعراً من أهلب الإسكندرية ، وكان أبوه قيم جامعها ، توفى سنة ٥٢٦ هـ «خريدة العصر ٢/ ٤٣» .

جَرَتْ بأبْطَحِهـا(١) الـذُّيُولُ فـلـم تَدَعْ

إلا الدُّجَاجَ يَصـيـحُ فى الأسْحـارِ

سرية عمر بن الخطاب إلى هَوَازِن سنة سبعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شعبان ، وأمره بالمضى إلى تُرَبَة(٢) طريق صنعاء ونَجْران(٣) ، فسار فى ثلاثين مستعدين للنزال ، ومعه دليل جليل من بنى هلال، فكان يقتل بخبرته القِفَار ، ويسرى بهم الليل ويكْمَنُ النهار ، حتى قدموا على محال هَوَازِن ، فإذا هم قد نَفَرُوا حيث بهم نُذِرَوا عن المواطن ، فلما لم يقعوا منهم على أثر ، رجعوا إلى المدينة يقابلون الوِرْدَ بالصَّدَر .

نَفَرَتْ هَوَازِنُ من لـقـاءِ سـريَّةٍ

فـيـهـا سَرِيٌ بالتُّقى مـعـروفُ

أعنـى ابْنَ خطَّابٍ وحَسْبُكَ خـاطِبـاً

بِلسـانِ سـيفٍ وعْظُهُ مـوصُوفُ

(١) الأبطح : المكان السَّهْل .

(٢) تُرَبَة : واد بقرب مكة على يومين منها ، حوله جبال السراة «مراصد الاطلاع ١/ ٢٥٧» .
وقال ابن سعد : تربة ناحية العبلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران . .

(٣) تحرفت فى « عيون الأثر ٢/ ١٩٩ » إلى : بُحْران ، ومن المعلوم أن تُرَبَة ليست فى اتجاها .

سرية أبى بكر الصِّدِّيق إلى فَزَارَة
سنة سبعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المذكور [١] ، وجهز معه نفراً من أصحابه المحمود فعلهم المشكور ، فساروا جازمين بقتال فَزَارَة ، عازمين على ملتقى المشركين بالتعزية لا بالبشارة ، فلما دنوا منهم شنُّوا عليهم الغارة عند مائهم ، وأسرعوا فى الرَّمَل[٢] إليهم حتى رَمَلُوهُم بدمائهم ، وسَبَوْا نسوة من ذراريهم ، واحتاطوا على صبيانهم وجواريهم ، ثم قفلوا[٣] راجعين ، وتركوا قتلاهم على الدار هاجعين .

هلْ منْ فَزَارَةَ مُخْبِرٌ عمَّا لَقَوْا
منْ مُرهَفَاتِ[٤] سريَّةِ الصِّدِّيقِ
نصبوُا لهمْ شَرَكَ الرَّدى ورَمَوْهمُ
منْ بعْدِ جَمْعِ الشَّملِ بالتَّفْريقِ

---

(١) هو شهر شعبان « السيرة الشامية ٥/ ١٣١ » .
(٢) الرَّمَل : ضرب من السير .
(٣) قفلوا : أى رجعوا .
(٤) مُرْهَفَات : المراد السيوف والخيل .

سرية بَشير بن سعد الأنصارى[1] إلى فَدَك سنة سبعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المشار إليه[2] ، وجهَّزَ معه ثلاثين رجلاً من المقبولين لديه ، وأمرهم بالمضى إلى بنى مُرَّةَ ، فساروا طامعين فى أن تكون لهم الكرة .

فلما انتهوا إلى فَدَكٍ وجدوهم فى بواديهم ، ورأوا نَعَمَهُم وشاءهم ترعى بواديهم ، فاستاقوها وذهبوا ، لكن أدركها أربابُها وعليها غَلَبوا ، بعد أن تراموا بالنبال ، ثم رجعوا ببشيرٍ جريحاً بسهامِ أهل الضلال .

لله قومٌ مَضَوْا إلى فَدَكٍ
يهْدُونَ أهلَ الضَّلالِ للرَّشَدِ
فقَاتَلُوهُمْ وغيَّهُمْ تبِعُوا
وقابَلُوهُمْ بأوجُهِ العَدَدِ
بَشِيرُ بُشْرَاكَ بالجِرَاحَةِ فى
ذاتِ الإلهِ المُهَيمِنِ الصَّمدِ

---

(١) هو بَشِير بن سعد الأنصارى البدرى ، استشهد بعين التمر مع خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر الصديق سنة اثنتى عشرة «الإصابة ١/ ٣١١» .

(٢) هو شهر شعبان « السيرة الشامية ٥/ ١٣٢» .

سرية غالب بن عبد الله اللَّيثى إلى المَيْفَعَة [1]
سنة سبعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شهر الصيام ، وجهز معه مائة وثلاثين لا يأخذهم فى اللهِ مَلام ، فساروا إلى ثعلبة بالمَيْفَعَة ، وحصلوا من المسير إليهم على الأجر والمنفعة ، وهجموا عليهم هجوم السيل ، وقتلوا من جَرَّ إلى مناوشتهم فُضُول الذَّيل ، وأغاروا على نَعَمِهِم وشائهم ، وأعرضوا عن سماع كلامهم وإجابة ندائهم ، ثم انصرفوا راجعين بما معهم من الغنيمة ، فرحين بغزو الخابطين من الشرك فى الحنادس البهيمة .

سَـــريَّةُ غــالبٍ غَلَبَتْ وسَرَّت
قلوباً بالسَّلامةِ والغنيمه
فيا بُشْرى لهم فى دارِ عدنٍ
بِفَيضِ الفَضْلِ والنِّعَمِ العَميمَه

سرية بَشِير بن سعد الأنصارى إلى يَمن وجَبَار
سنة سبعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شهر عيد الفطر ، وجهَّز معه ثلاثمائة تتأرَّج المحافل فى ثنائهم بالعطر ، وأمرهم بالمضى إلى غطفان ، حيث بلغه ما هم فيه من الاجتماع والهذيان .

---

(1) المَيْفَعَة : بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد ، وهى وراء بطن نخل إلى النُّقْرة قليلاً .

فنزلوا مُجِدِّين فى السير والسُّرى ، حتى نزلوا بِسِلاحٍ[1] قريباً من وادى القُرى ، وسمع المشركون بطلبهم وارتيادهم ، فتفرقوا ولحقوا بعلْياء بلادهم، فاستاقوا من نَعَمِهِم ما لا يكاد يحصره القلم ، وأسروا منهم رجلين ورجعوا بهما وبالنَّعَم .

بَشِيرُ بنُ سعدٍ نَجْمُ سَعْدِكَ زاهِرٌ
وسَهْمُكَ لم يَبْرحْ مُعَلىً مُسدَّدَا

إلى غَطَفَانٍ سِرتَ فى اليوم طاعةً
لخَيْرِ الورى أبشِرْ بما تشْتَهى غَدا

عُمْرَةُ القَضَاء [2]
سنة سبعٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى ذى القعدة معتمراً ، وأمر من شهد الحُدَيْبِيَة بقضاء عمرته التى صُدَّ عنها معتذراً ، فاستجابوا لما أمر ، وكانوا ألفى نفر .

واستخلف على المدينة أبا رُهْمٍ الغِفارى[3] ، وسار بعد إحرامه من باب المسجد فى أُسْدِ الضَّوَارى ، وساق ستين بَدَنَةً وقاد مائة فرس ، وقدَّم الخيل والهدى والسلاح محفوظاً بالحرس .

---

(١) سِلاح : موضع قريب من خيبر .

(٢) يقال لهذه العمرة : عمرة القِصاص ، والقَضيَّة ، والصُّلح .

(٣) أبو رُهْم الغِفَارى: اسمه كلثوم بن حصين بن زيد بن غفار، وكان ممن بايع تحت الشجرة «الإصابة ٧/ ١٤١» . وقال ابن هشام : استعمل عُويف بن الأضبط .

ومضى مُحْرِماً ملُبَيّاً إلى أن نزل بِمَرِّ الظَّهْرَان ، وخرج قريشٌ من مكة حين سمعوا بقدوم سيد ولد عدنان .

ثم ركب ناقته القصواء والمسلمون به مُحْدِقون ، واستمر مُلَبِّياً إلى أن دخل من الثنية[1] التى تُطلِعهُ عل الحَجُون[2] ، ولم يزل يُلبى حتى استلم الركن بمحْجَنه[3] مُضَّطَبِعاً ، وطاف على راحلته وكلٌ يطوف لفعله متَّبعاً ، ثم سعى بين الصفا والمروة ، ونحر وحلق بها والناس يحذُون حذوه .

ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وسلَّمَ إلى جعفرِ عِمَارَةَ بنت عمِّه حمزة الهاشمية .

وأقام بمكة ثلاثاً ثم رحل فى الرابع فنزل بسَرِف ، بعد أن قيل له من جهة قريش قد قضيت أجلك فانصرف ، ثم أدلج إلى دار هجرته، وقفل مؤيداً بنصر الله بعد قضاء عُمرته .

وفيها يقول عبد الله بن رواحة وهو آخذٌ بخطام ناقة رسول الله ﷺ :

خَلُّوا بنى الكفَّارِ عن سبيلهِ
خَلُّوا فكلُّ الخير فى رسوله
يا ربِّ إنى مؤمنٌ بقيلهِ [4]
أعرفُ حقَّ اللهِ فى قبولِه

---

(١) الثَّنية : كل عقبة مسلوكة .

(٢) الحَجُون : أعلى مكة ، عند مقبرة أهلها « مراصد الاطلاع : ٣٨٣».

(٣) المِحْجَن : عصا مقنعة الرأس يلتقط بها الراكب ما سقط منه .

(٤) قِيله : أى قوله .

سرية ابن أبى العَوْجَاء السَّلَمى[1] إلى بنى سُلَيْم سنة سبعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى ذى الحجة ، وجهـز معه خمسين لا يُقْعِدهم عن العدو قِرَّةٌ[2] ولا إجَّه[3] ، فصـعدوا إلى بنى سُلَيْمٍ فى سِلْمِ السـير ، وقـد حوَّم عليهم للشهادة طيرٌ أكرم به من طير .

فلما انتهوا إليهم رأوهم فى جمعٍ كثـير ، وقد استعدَّ لحربهم المأمور منهم والأمير ، فتراموا بالنبال ، وحمى وطِيسُ القتال ، وأحدق المشركون بهم من كل ناحية ، فقاتلوا حتى قُتِلَ عامة أهل الجنة العالية .

عــاجُوا ونَجْلُ أبى العَوْجَـاءِ قــائِدُهمْ
إلى سُلَيـمٍ فـــمــــا آبوا ولا رجَعُوا

واسـتُشْهِدوا غــيـرَ آحــادٍ فـيــا لهمُ
قـومـاً جَنَوْا فى جِنَانِ الخُلْدِ مـا زرعـوا

---

(١) هو الأخرم بن أبى العَوْجَاء السلمى ، كـذا ذكر ابن إسحاق ، وابن سعـد ، وابن حجر فى الإصابة (١/ ٣٧) بإثبات ابن وأغرب الذهبى فى الكنى فـقال : أبو العوجاء ، وكذلك وقع فى تاريخ خليفة : ٨٥ .

(٢) القرَّة : البرد .

(٣) الإجَّة : الحر .

سرية غالب بن عبد الله اللَّيثى إلى بنى المُلَوَّح
سنة ثمان من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى صفر ، وجهَّز معه من أصحابه الميامين عدة نفر ، وأمرهم أن يشنُّوا على بنى المُلَوَّح الغارة ، ويبادروا إلى أخذ ما لهم من السلاح والشَّارة ، فساروا حتى دنوا من الكَدِيد[1]، ومضوا رافلين فى حُلَل النصر والتأييد ، فكَمِنوا فى ناحية الوادى ، منتظرين إصابة العِزَّة من أهل النادى ، ثم شنوا الغارة عليهم، واستاقوا ما كان من النَّعَم لديهم ، فاتَّبعوا آثارهم ، وقصدوا ضِرَارهم ، فلما أدركوهم حال بينهم السيل ، ورجعوا متباينين فريقاً بالنيل وفريقاً بالويل .

لِلهِ غـالبٌ الـذى غَلَبَ الـعِدى
قـهـراً وفـازَ من الهِدايةِ بـالنِّعَمْ
لـما أتى أهـلَ الـكديـدِ عليـهـمُ
شنَّ الإغـارةَ ثـمَّ أقـبلَ بـالنَّعَمْ

(١) الكَدِيد : موضع بالحجاز بين عُسْفان وأمج ، لكنه أقرب إلى مكة فإنه على اثنين وأربعين ميلاً «مراصد الاطلاع ٣/ ١١٥٢» .

سرية غالب بن عبد الله اللَّيْثى إلى فَدَك
سنة ثمانٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المذكور[1] . وجهَّز معه مائتى مؤيدٍ من الله ومنصور ، فساروا ممتثلين أمر من بحرب العدو يشير ، حتى انتهوا إلى مَحَالِّ القوم ، لا تأخذهم فى اللهِ لومة ذى لوم .

وأغاروا عليهم مع الفجر ، وابتغوا فى الفتك بهم جزيل الأجر ، واستاقوا ما به من النَّعَمِ وظفروا ، ثم رجعوا فرحين بالنصر على الذين كفروا .

سارت سريَّةُ غالبٍ
نحو العِداةِ إلى فَدَكْ
وتنوَّعوا فى قتلهمْ
إذْ أوقعُوهُمْ فى الشَرَكْ
هذا جزاءُ من اعتدى
ظُلماً ولم يخْشَ الدَّرَكْ (٢)

---

(١) هو شهر صفر « السيرة الشامية ٥/ ١٤٠» .

(٢) الدَّرك : اسم مصدر من الإدراك وفى القرآن الكريم ﴿لا تخافُ دَرَكاً ولا تَخْشَى﴾ .

سرية شُجَاع بن وَهْب الأسدى[1] إلى هَوَازِن
سنة ثمان من الهجرة

بعثه النبى ﷺ عام ثمانية ، وجهَّز معه أربعةً وعشرين مؤمنين بعالم السِّر والعلانية ، وأمرهم بالذهاب إلى هَوَازِن ، والإغارة على الناقص منهم والوازن .

فقصدوا جهة المعْدِن محلَّ جمعهم ، ودنوا منهم ناظرين إلى خفضهم ورفعهم ، ثم أصابوا منهم غِرَّة ، فكَرُّوا على أنعامهم أىَّ كَرَّة ، واستاقوا منها جملة من الجمال ، ورجعوا مسرورين بالمال وحسن المآل .

لا تسألِ الرُّكْبانَ عن هَوَازِنٍ
وما لَقوا منْ كيدِ أربابِ الرَّشَدْ
ما حالُ أغمارٍ بما يُصْلِحهُمُ
فجأهُمْ أىَّ شُجاعٍ من أسَدْ

سرية كَعْب بن عُمير الغفارى
إلى ذات أطْلاحٍ بالشَام
سنة ثمَانٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المقدم ذكره[2] ، وجهَّز معه خمسة عشر رجلاً

---

(٢) من السابقين الأولين ، ممن هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدراً ، واستشهد باليمامة . «الإصابة ٣/ ٢١٦» .

(٢) هو شهر ربيع الأول . « الطبقات الكبر ٢/ ١٢٧» .

يَطيُب خبرُ كلٍّ منهم وخبـره ، وأمرهم بالمسير إلى ذات أطْلاح[1] ، يُعرِّفون أهلها الطريق المرشد إلى الصَّلاح .

فساروا حتى انتهوا إليها حسب الأمـر ، فوجدوا بها جمعاً يطأون من غيِّهم على الجمـر ، فدعوهـم إلى الإسلام فأبوا ، وانتـقلوا من المقال إلى القـتال وصَبَوْا ، فبرز المسلمون وحَمَلوا ، وبالغوا فى قتالهم حتى قُتِلوا ، ولم يَسْلَمْ غير واحدٍ ألصـقه الجرح بالبَرى[2] ، ثم تحامـل راجعاً إلى المدينـة مُخْبراً بما جرى .

لله كـــعبٌ ومن أمَّ الـعِدى مـــعـــهُ
يـجنـونَ طـلْحَ الرَّدى فـى ذاتِ أطْلاحِ
حازوا الشهـادةَ وانصاعوا [3] إلـى نُزُلٍ
فـــى جـــنَّةِ الخُلْدِ ذى رَوْحٍ وذى راحِ

سرية زيد بن حارثة إلى مُؤْتَة [4] بالشَّام سنة ثمان من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى جمـادى الأولى ، وعقد له لواءً كم بلغ به فى الدَّارين سولا ، وعَضَّدَهُ بجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة ، وجهز معه ثلاثة آلاف من المسلمين الذيـن يشكر الدين لكل منهم غُدُوَّهُ ورواحـه ، وأمـرهم

(١) ذات أطْلاح : هى من وراء وادى القُرى .

(٢) البَرى :التراب ، وذكر ابن سعد أن الذى نجا هو كعب بن عمير الغفارى «٢/ ١٢٧» .

(٣) انْصاعوا : انفتلوا مسرعين .

(٤) مُؤْتَة : قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام «مراصد الاطلاع ٣/ ١٣٣٠» ، وهى بالضم والهمز ، وجوز أهل الغريب بغير الهمز ، وقيدها بالهمز الفراء وثعلب .

بالدعاء إلى الإسلام ، وقتال من لم يطع بعد الإنذار والإعلام ، وأكد عليهم الوصية ، وخرج مشيعاً لهم إلى الثَّنية .

وسار المسلمون حتى نزلوا بمَعَان[1] ، ثم مضوا إلى مُؤْتَة قـرية من البلقاء بمكان .

وكان بلغـهم أن هرقل قد دنا منهم واقترب ، وظهـر فى جيش يزيد على مـائة ألفٍ من الروم والعـرب ، فتـوقـفوا ونكّلوا ، ثم تـقدمـوا وتوكَّلوا ، وجاءهم ما لا قبل به لأحد ، من الكُرَاع [2] والمتاع والعَدَد والعُدَد .

والتقى الفريقان ، واختلف الطريقان ، وحمى الوَطِيس [3] ، وبرز حتى الراهب والقـسيس، واشتـد الأمر ، ووطئ المسلـمون على الجمـر ، وأطلق العدو سيـوفه ورماحه ، وقُتِلَ زيدٌ وجـعفرٌ وعبد الله بـن رواحة ، ثم انحاز الناس مع خالد بن الوليد يتـبعهم العدو المخذول ، فـمضى من فاز بالرضى وتلقته الملائكة بالقبول .

وفى أصحاب مؤتة يقول حسَّان بن ثابت من أبيات :

فـــلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قـــتلى تواردُوا
بِمُؤْتَةَ منهـمْ ذُو الجَنَاحينِ جـعـــفـرُ

---

(١) مَعَان : بالفتح فى المـراصد « ١٢٨٧» وضـبط فى البكرى وعيـون الأثر (٢/ ٢١٢) بضم الميم : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز ، من نواحى البلقاء .

(٢) الكُرَاع : هو ما دون الركبة من ساق الإنسان ، وما فوق الظلف والحافر من غيره .

(٣) الوَطِيس : قال الأصـمعى : هو حجـارة مدورة إذا حَمِيَت لم يقـدر أحد يطؤها ، ولم يُسمع هذا الكلام من أحد قبل النبى ، وعبَّر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق .

وزيدٌ وعـــبـــد اللهِ حـــينَ تَتَابعـــوا

جـمـيـعـــاً وأسـبـابُ المَنِيَّةِ تَخْطُرُ (١)

وكنَّا نرى فى جـــعـفـرٍ من مـحـــمـدٍ

وفـــاءً وحـــزمـاً حـــازمـاً حينَ يـأمـرُ

ومـــازالَ فـــى الإســـلامِ من آلِ هـــاشمٍ

دعـــائِمُ عـــزٍّ لا يَزُلْنَ ومَفْخَرُ

وفيهم يقول كعب بن مالك من أبيات :

واعـــتـــادنى حُزْنٌ فـــبِتُّ كـــأننى

ببـنـاتِ نَعْشٍ(٢) والـسُّـمَـــاكِ مُوكَّلُ

فـــى ليـــلةٍ وَرَدَتْ عـــلىَّ هُمُومُهـــا

طَـــــوْراً أُجَنُّ وتـــــارةً أتَمَلْمَلُ

وجْداً علـــى النَّفَرِ الذين تـــتـــابعـــوا

يـــومـــاً بمؤتـــةَ أُسـنِدوا لم يُنْقَلـوا

صلـــىَّ الإلهُ عـــليـــهـــمُ من فِتْيـــةٍ

وسَقَى عِظَامـــهُمُ الـغَمَامُ المُسْبَلُ

---

(١) تخْطُرُ : من خطرت الرمح وهو ارتفاعه وانخفاضه .

(٢) بناتُ نعْش : سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالى ، شُبِّهت بحملة النَّعش .

سرية عمرو بن العاص إلى ذات السِّلاسِل[1]
سنة ثمان من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى جمادي الآخرة ، وعقد له لواء يعلو على النُّجوم الزاهرة ، وجهزه فى ثلاثمائة من سَرَاة [2] المهاجرين والأنصار ، فمضى إلى ذات السَّلاسِل يسرى اللَّيل ويكْمَنُ النهار [3] .

فلما قرب من القوم وسمع بجمعهم الوافر ، سأل النبى ﷺ أن يمدَّه بفرقة من العساكر ، فأجابه إلى سؤاله عند ورود الخبر ، وأمدَّه بأبى عبيدة بن الجرَّاح فى مائتين منهم أبو بكر وعمر .

فاجتمعوا على الرأى السديد ، وساروا يُرهبون العدو باللباس الشديد ، حتى وطأوا أرض بنى عَذْوَة وغيرها من تلك البلاد ، وقهروا مَنْ بناحية وادى القُرى من أهل الشرك والعناد ، ثم قفلوا إلى المدينة سالمين ، ورجعوا قائلين إن الحمد لله رب العالمين .

ألا قَدَّس الرحمنُ سِرَّ سَرِيَّة
سوابحُهُم [4] عامَتْ بذاتِ السَّلاسلِ
ميامينُ كمْ فلَّوا خَميساً [5] وكمْ حَمَوْا
طِرَافاً [6] بأطرافِ القَنَا والمَناصِلِ

---

(١) ذات السَّلاسِل : وضبطت أيضاً بضم السين الأولى وكسر السين الثانية، ماء بأرض جذام على عشرة أيام من المدينة خلف وادى القرى .

(٢) السَّراة : جمع سَرِيّ وهو الشريف أو ذو المروءة والسخاء .

(٣) كَمَنَ النهار : استتر فيه واختفى . (٤) السَّوابح : الخيل .

(٥) خَميساً : أى جيشاً . (٦) الطِّرَافُ : بيت من أدم ، وهو من بيوت الأعراب.

سرية أبى عبيدة بن الجرَّاح إلى سَيْفِ البَحْر سنة ثمان من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شهر رجب ، وأمره بالذهاب إلى من يأتى ذكره من قبائل العرب ، وجهزه فى ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار فيهم عمر ، فساروا إلى حى من جُهَينة بالقبلية ممتثلين لما أمر .

وأصابهم فى الطريق جوع شديد ، فأكلوا الخَبَطَ[1] معتاضين به عن الثَّرِيد[2] .

ثم استقام لهم الأمر من بعد ، وأكلوا الجَزُور التى نحرها لأجلهم قيسُ بن سعد .

وألقى البحر إليهم حوتاً [3] ، فاتخذوه لِعِظَمه فى تلك المدة قوتاً ، ثم انصرفوا من غير ما كيد ، فائزين من البَّر والبحر بالصَّيْد .

لله دَرُّ عُصَابةٍ ميمونة
فى سَيْرِهم نحوَ العِدَى أكلُوا الخَبَطْ
صبروا على جُهْدِ الجِهادِ وصابروا
حُبَّاً لمن بالقِسْطِ جاءَ وما قَسَطْ[4]
صلىّ عليهِ اللهُ تَتْراً ما عَلا
نجمٌ إلى وسطِ السَّماء وما هَبَط

(١) الخَبَط : هو ما سقط من ورق الشجر بالخَبْط والنَّفض ، ولذلك تسمى: سرية الخَبَطْ .

(٢) الثَّريد : ما يُثرد من الخبز .

(٣) الحوت : اسم جنس لجميع السمك ، وقيل : مخصوص بما عظم منها .

(٤) القسْطُ : العدل ، وقَسَطَ : مال عن العدل وجار.

سرية أبى قَتَادة الأنْصَارى إلى خَضِرَةَ(١) من نجد سنة ثمان من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شعبان ، وجهَّز معه خمسة عشر رجلاً من أصحابه إلى غَطْفَان ، وأمره أن يسيـر إليهم وعليهم يُغِير ، فمضى ممتـثلاً الأمر مُجِداً فى المسير ، حـتى هجم بمن معه على حاضرٍ لهم عـظيم ، وأحاطوا بهم إحاطة الزعمـاء الغارمين بالغـريم ، وظفروا بالسَّبى الكثـير ، واسـتاقـوا ألفى شاة ومائتى بعير، وقتلوا من ناوشهم، وكلَّموا من كلَّمهم أو ناقشهم ، ثم جمعوا ما حصل لهم من الغنائم ، فأخـرجوا الخمس وأدخلوا ما بقى فى المَقَاسِم ، ثم انصرفوا بالإنْعَام والأنْعَام ، وكانت غيبتهم اثنا عشر يوماً وثلاثة أيام .

سـار الـصـحـابةُ نحـوَ نجـدٍ للعِدى
وأبو قَتَـادةَ فى المسـيـرِ أمـيـرُ

يا جـارِ سلْ غَطْفَانَ مـاذا عـاينوا
من وقـعِ أسـيـافٍ لـهُنَّ صَرِيرُ؟

إن الذيـنَ عنِ الهـدايةِ أعـرضـوا
فى كـلِّ واقـعـةٍ لـهم تدمـيـرُ

---

(١) خَضِرَة : أرض لمحارب بنجد ، وقيل : هى من أعمال المدينة ، وضبطها الحافظ الشامى بفتح الخاء وكسر الضاد (٦/ ٢٩١) ، وكـذلك فى مراصد الاطلاع (١/ ٢٧٢) ، وضبطها فى « نور النبراس » بضم الخاء وسكون الضاد ، وانظر «وفاء الوفا ٣/ ١٢٠٢» ..

سرية أبى قَتَادة الأنْصَارى إلى بطن إضَم [1]
سنة ثمانٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى أول رمضان إلى بطن إضَم ، وجهَّز معه ثمانية من أصحابه المنيرةِ بهم حنادسُ الظُّلم ، وذلك حين همَّ بغزو أهل مكة ، وعزم أن يلقاهم بالأبطال والخيل والشَّكَّة [2] ، ليُظَنَّ أنه متوجهٌ إلى تلك الناحية ، ويصل الخبر بهذه التورية إلى ذوى العقول الواهية .

فمضوا إلى الجهة المذكورة ، ولم يلقوا أحداً من الفرق المأزورة ، فانصرفوا راجعين ، وانقلبوا سامعين للأمر طائعين .

سارَ أبو قَتَادةَ ممتثلاً
أوامرَ الهادى إلى بطنِ إضَمْ
فى فتيةٍ فاتوا مُريدَ سَبْقِهِمْ
أصحابِ خيرِ العُربِ طُرّاً والعَجَمْ
صلى عليه اللهُ ما دام على
أنفِ شَمامٍ عاكفٌ من الشَّمَمْ [3]

---

(١) بطن إضم : هى فيما بين ذى خشب وذى المروة وبينها وبين المدينة ثلاثة بُرُد .
(٢) الشَّكَّة : يعنى السلاح .
(٣) الشَّمَمْ : الارتفاع .

غزوة أهل مكة وأمر الفتح
سنة ثمانٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ لعشرٍ خلَوْنَ من شهر الصيام ، عازماً على الجهاد فى سبيل المنزَّه عن السِّنَةِ والمنام ، واستخلف عبد الله بن أمِّ مكْتوم ، وأبدل المنطوق إخفاءً للأمر بالمفهوم .

واستنفر أهل الحَرْبِ والحِرَب[1] ، واستظهر بمن حوله من قبائل العرب ، ثم سار فى عشرة آلاف مقاتل ، ليطأ المخادع من قريش والمُخْاتل [2] ، حيث تعدَّوا رسم الحدود، ونقضوا ما بينه وبينهم من العهود، وسلُّوا سيف النَّكَثِ من غمده ، وحاربوا خُزَاعة[3] الداخلين فى عَقْدِهِ ، على أنهم ندموا فلم ينفعهم الندم ، وقدم أبو سفيان لتجديد عهدهم فرجع قائلاً يا زلة القدم .

ومضى رسول الله ﷺ ، وبيَّن للصائمين رخصة الفطر فى السفر وعلَّم ، فلما انتهى إلى قُدَيد [4] حقق الوسائل ، ودفع الألوية والرايات إلى القبائل، واستمر حتى نزل بمرِّ الظَّهْرَان [5] ، وأمر الجيش تلك الليلة بإيقاد النيران .

فلما قارب مكة تقدمه عمُّه العباس ، فلقى أبا سفيان يَتَحسَّب [6] أخبار

---

(١) الحِرَبِ : يقال حَرِبَ الرجل إذا اشتد غضبه .

(٢) المُخَاتِل : المخادع عن غفلة .

(٣) خُزَاعَة : حى من الأزد سُمُّوا بذلك لأنهم تخزعوا أي تقطعوا عن قومهم وأقاموا بمكة.

(٤) قُدَيد : مكان بين خُليص ورَابغ ، وقيل: هو موضع قرب مكة «معجم البلدان٤/ ٢١٣».

(٥) مَرُّ الظَّهْرَان : موضع على مرحلة من مكة « مراصد الاطلاع ٣/ ١٢٥٧».

(٦) يَتَحسَّب : أى يستخبر ويستقصى فى معرفة الأمر .

سرية أبى قَتَادة الأنْصَارى إلى بطن إضَم [1]
سنة ثمانٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى أول رمضان إلى بطن إضَم ، وجهَّز معه ثمانية من أصحابه المنيرةِ بسهم حنادِسُ الظُّلم ، وذلك حين همَّ بغزو أهل مكة ، وعزم أن يلقاهم بالأبطال والخيل والشَّكَّة [2] ، ليُظَنَّ أنه متوجهٌ إلى تلك الناحية ، ويصل الخبر بهذه التورية إلى ذوى العقول الواهية .

فمضوا إلى الجهة المذكورة ، ولم يلقوا أحداً من الفرق المأزورة ، فانصرفوا راجعين ، وانقلبوا سامعين للأمر طائعين .

سارَ أبو قَتَادةَ ممتثلاً
أوامرَ الهادى إلى بطنِ إضَمْ
فى فتيةٍ فاتوا مُريدَ سَبْقِهِمْ
أصحابِ خيرِ العُربِ طُرّاً والعَجَمْ
صلى عليه اللهُ ما دام على
أنفِ شَمامٍ عاكفٌ من الشَّمَمْ [3]

---

(١) بطن إضم : هى فيما بين ذى خشب وذى المروة وبينها وبين المدينة ثلاثة بُرُد .
(٢) الشَّكَّة : يعنى السلاح .
(٣) الشَّمَمْ : الارتفاع .

غزوة أهل مكة وأمر الفتح
سنة ثمانٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ لعشرٍ خلَوْنَ من شهر الصيام ، عازماً على الجهاد فى سبيل المنزَّه عن السِّنَةِ والمنام ، واستخلف عبد الله بن أمِّ مكْتوم ، وأبدل المنطوق إخفاءً للأمر بالمفهوم .

واستنفر أهل الحَرْبِ والحِرَب[1] ، واستظهر بمن حوله من قبائل العرب ، ثم سار فى عشرة آلاف مقاتل ، ليطأ المخادع من قريش والمُخْاتِل [2] ، حيث تعدَّوا رسم الحدود، ونقضوا ما بينه وبينهم من العهود، وسلُّوا سيف النَّكَثِ من غمده ، وحاربوا خُزَاعة[3] الداخلين فى عَقْدِه ، على أنهم ندموا فلم ينفعهم الندم ، وقدم أبو سفيان لتجديد عهدهم فرجع قائلاً يا زلة القدم .

ومضى رسول الله ﷺ ، وبيَّن للصائمين رخصة الفطر فى السفر وعلَّم ، فلما انتهى إلى قُدَيد [4] حقق الوسائل ، ودفع الألوية والرايات إلى القبائل، واستمر حتى نزل بمرِّ الظَّهْرَان [5] ، وأمر الجيش تلك الليلة بإيقاد النيران .

فلما قارب مكة تقدمه عمُّه العباس ، فلقى أبا سفيان يَتَحسَّب [6] أخبار

---

(١) الحرَبِ : يقال حَرِبَ الرجل إذا اشتد غضبه .

(٢) المُخَاتِل : المخادع عن غفلة .

(٣) خُزَاعَة : حى من الأزد سُمُّوا بذلك لأنهم تخزعوا أي تقطعوا عن قومهم وأقاموا بمكة.

(٤) قُدَيد : مكان بين خُليص ورَابغ ، وقيل: هو موضع قرب مكة «معجم البلدان٤/ ٢١٣».

(٥) مَرُّ الظَّهْرَان : موضع على مرحلة من مكة « مراصد الاطلاع ٣/ ١٢٥٧».

(٦) يَتَحسَّب : أى يستخبر ويستقصى فى معرفة الأمر .

الناس ، فجاء به إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، ومعه بُدَيْلُ بن وَرْقَاء وحكيمُ بن حِزَام ، فأسلموا بين يديه ، وفازوا بالجود الموجود لديه .

ثم انطلق بأبى سفيان إلى مضيق الوادى ، فرأى من جنود الله ما يعجز عن حصره الحاضر والبادى .

ودخل النبى ﷺ فى كتيبته التى أنارت بخضرتها الأبصار ، وهو على ناقته القُصْوَاء تُحْدِقُ به المهاجرون والأنصار ، فلما انتهى إلى ذى طُوى (١) وقف متواضعاً لربه ، وعين لكل ذى راية جهة يدخل منها بصحبه ، ثم ذهب حتى نزل بأعلاها ، واستقر مبتهجاً بالنِّعم التى حازها وحواها .

وفتح مكة على أصح القولين صلحاً (٢) ، ونهى جنوده عن القتال عفواً وصفحاً .

ولما اطمأن الناس طاف بالبيت سبعاً واستلم الحَجَر ، ودخل الكعبة وصلىَّ فيها وأمر بطمس ما كان بها من الصور ، وكان حولها أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل يشير إليها وهى تسقط حيث لات حين مناص .

وقام على بابها فوحدَّ الله وقرأ شيئاً من القرآن ، وأَذِنَ لبلالٍ أن يعلن على ظهرها بالأذان .

وقصر الصلاة مدة إقامته فيها، وبعث السرايا إلى أماكن من نواحيها، ومكث يسدِّد الأمور ويقرِّ الأحوال، إلى أن خرج منها إلى حُنَيْنٍ فى أوائل شوال .

---

(١) ذو طُوى : وادى بمكة .

(٢) انظر أقوال العلماء فى تلك المسألة فى : زاد المعاد (٢/ ١٦٠) ، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٠٤) ، والروض الأنف (٧/ ٤٩)، وإمتاع الأسماع (١/ ٣٥٧) ومعلومٌ أن المؤلف شافعى المذهب.

وفى هذه الغزوة يقول العبَّاس بن مِرْدَاسٍ من أبيات :

مِنَّا بمكـةَ يوم فـتحِ محـمـدٍ
ألـفٌ تسـيـلُ بـه البِطـاحُ مُسَوَّمُ
نصـروا الرسـولَ وشـاهدوا أيامـهُ
وشِعـارُهمْ يـومَ اللقـاءِ مُقَـدَّمُ
فى منزلٍ ثبـتتْ بـهِ أقـدامُهُمْ
ضَنْكٍ كـأنَّ الهـامَ (١) فـيـهِ الحَنْتَمُ (٢)
جـرت سنابِكُهـا (٣) بنجـدٍ قـبلهـا
حـتى اسـتقـاد لـهـا الحـجَارُ الأدهمُ

وفيها يقول من أبيات :

بمـكةَ إذ جـئـنـا كـأنَّ لواءنـا
عقابٌ (٤) أرادت بعـد تحليقِهـا خَطْفَـا
على شُخُصِ الأبـصـارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَـا
إذا هى جـالـتْ فى مَرَاوِدِها (٥) عُرْفَا
غـداةَ وطِئنـا المشـركينَ فـلم نَجِدْ
لأمـرِ رسـولِ اللهِ عـدلاً ولا صَرْفَا
بَبَيضٍ تُثـيـرُ الهـامَ من مسـتـقـرِّها
وتُقْطَفُ أعنـاقُ الكُمـاةِ بهـا قَطْفَـا

---

(١) الهام : الرؤوس .   (٢) الحَنْتَم : نبات الحنظل .

(٣) السَّنابك : جمع سنبك : طرف الحافر .

(٤) العقَاب : طائر من كواسير الطيور ، قوىٌ المخالب ، حادٌ البصر .

(٥) مَرَاوِدِها : جمع مرود وهى حديدة تدور فى اللجام .

وفيها يقول من أبيات :

يا خَـيـرَ من رَكِبَ المَطِيَّ ومن مـشى

فـوقَ التُّرابِ إذا تُعـدُّ الأنفُسُ

إنَّا وَفَـيْنَا بـالذى عـاهدتـنا

والخيلُ تُقْدَعُ (١) بالكُمـاةِ وتُضْرَسُ (٢)

حـتى صـبـحنا أهْلَ مكة فـيْلقـاً (٣)

شُهُبـاً يُقـدِّمُهـا الهُمـامُ الأشْـوسُ

من كـلِّ أغلبَ مـن سُلَيمٍ فـوقـهُ

بيضـاءُ مُحكَمَةُ الدِّخالِ(٤) وقَونَسُ (٥)

يغـشى الـكتـيـبةَ مُعـلمـاً وبكفِّهِ

عَـضْبٌ يُقـدُّ به ولـدْنٌ مُدْعِسُ

وفيها يقول بُجَير بن زُهير بن أبى سُلْمى(٦) من أبيات :

ضـربـناهمْ بمـكةَ يـومَ فـتحِ الـنـ

ـبىِّ البَرِ بـالبـيضِ الخِفَافِ

وأُبنـا غـانمينَ بما اشـتـهـينا

وآبـوا نـادمـينَ عـلـى الخِلافِ

---

(١) تُقْدَع : تحتاج إلى القَدْع لتكُفَّ بعض جريها .

(٢) الضَرْسُ : العض الشديد . (٣) الفيلق : الجيش .

(٤) الدِّخال : فى الوِرْدِ : أن يدخل بعيراً قد شرب بين بعيرين ناهلين .

(٥) القَوْنَس : عظمٌ ناتئ بين أذنى الفرس .

(٦) هو بُجير بن زُهير بن أبى سُلْمى المزنى الشاعر ، أخو كعب بن زهير الشاعرالمشهور أيضاً، أسلم قبل أخيه «الإصابة ١/ ٢٦٩».

وأعْطينا رسولَ اللهِ منّا
مواثِقَنا على حُسنِ التَّصافى

وفيها يقول فَضَالَة بن عُمَيْرٍ اللَّيْثى :

قالت: هلمَّ إلى الحديثِ، فقُلتُ: لا
يأبى عليكِ اللهُ والإسلامُ
لو كنتِ جئتِ محمداً وقبيله
بالفتحِ يومَ تُكَسَّرُ الأصنامُ
لرأيتِ دينَ اللهِ أضحى بيننا
والشِّركِ يَغْشى وجهَهُ الإظلامُ

سرية خالد بن الوليد إلى العُزَّى
سنة ثمانٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ بعد الفتح فى رمضان ، ومعه ثلاثون فارساً يُضئ بشمسهم وقمرهم المَلَوَان (١) .

فخرج إلى نَخْلَة (٢) لهدم العُزَّى ، ولَعَمْرى لقد لَقِىَ بهدمها شرفاً وعزاً، وكانت من أعظم أصنام كِنَانَة، وكان لبني شيبان من سُلَيمٍ عليها السِّدانة(٣) .

---

(١) المَلَوان : الليل والنهار .

(٢) نَخْلَة : وادٍ على بعد ليلة من مكة وكانت عكاظ بينه وبين الطائف « مراصد الاطلاع ٣/ ١٣٥٨» .

(٣) السِّدانة : الخدمة .

فلما هدمها ورجع أُمِرَ بالعود إليها ، فأتاها مرة ثانية وهو متغيظٌ عليها ، فخرجت إليه امرأةٌ عُريانة ، سوداء ثائرة الرأس غضبانة ، فجزلها [١] بسيفه المعدِّ للجِلاد ، ويئست بعد ذلك أن تُعبد بتلك البلاد .

وفى سير خالد إليها يقول سَادِنها السُّلمى :

فيا عُزَّ شُدِّى شِدَّةً لا شَوى لها [٢]
على خالدٍ ألقِى القِناعَ وشَمِّرِى
ويا عُزَّ إنْ لم تَقْتُلى المرءَ خالداً
فبوئى بإثمٍ عاجلٍ أو تَنَصَّرى

سرية عمرو بن العاص إلى سُوَاعٍ سنة ثمانٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المذكور [٣] ، ومعه نفرٌ من ذوى القول المبرور والسعى المشكور ، فسار لهدم صنم هُذيلٍ المعروف بسُوَاع ، فلما انتهى إليه وثبَ عليه وثوب غَضَنْفَرٍ [٤] شجاع ، فحذَّره السَّادن [٥] ، وخوَّفَهُ سطوة الساكن ، فلم يلتفت إلى كلامه، وفسخ بالمعاول عِقْدَ نظامه ، وساقه فى جملة الخراب ، ثم رجع بعد أن ألصقه بالتراب .

---

(١) جزَلها : أى قطعها .

(٢) لا شوى لها : يقال رماه فى شواه إذا لم يصب مقتل .

(٣) هو شهر رمضان «السيرة الشامية ٥/١٩٨» .

(٤) الغَضَنْفَر : من أسماء الأسد .

(٥) السَّادن : الخادم .

إن أنت جـــئتَ إلى هُذيلٍ قُلْ لــهمْ :

يا ويحَ شـــخصٍ للحـــجـارةِ راكنِ

أضـــحـى سُوَاعٌ بالمـعـــاولِ داثِراً

خَرِباً ولـم ينفـــعـــهُ وُدُّ السَّـــادنِ

سرية سعد بن زيد الأشْهَلى إلى مَنَاة سنة ثمانٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المشار إليه[١] ، وجهَّز معه عشرين فارساً يتبعونه فيما يقدم عليه ، فسار بهم إلى مَنَاة بالمُشَلَّل [٢] ، وهى صنمٌ كانت تعبد فى غَسَّان وغيرهم وتُبَجَّل .

فلمـا وصل إليهـا خرجت إليـه امـرأة ثائرة الراس ، سوداء اللون عـارية اللباس ، تدعو بالثبور والويل ، وتميل على ضرب صدرها كل الميل ، فقتلها قتلةَ من عرف وما انحرف ، وكسر الصنم وهدم البيت ثم انصرف .

مُنِيَتْ مَنَاةُ بِضـــربـةٍ شَقِيتْ بـهـــا

من كفِّ ســـعـــدِ نجلِ زيـدٍ الأشْهلى

غَسَّانَ مـهْ ظَهَرَتْ لكمْ شـــمسُ الهـدى

من أفـقِ أصـــحـــابِ النـبى المُرسَلِ

---

(١) هو شهر رمضان .

(٢) المُشَلَّل : من ناحية البحر وهو الذى يُهبط منه إلى قُدَيْد « مراصد الاطلاع ٣/ ١٢٧٧».

سرية خالد بن الوليد إلى بنى جَذِيْمة
سنة ثمانٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شوال، وجُهِّزَ فى ثلاث مائة وخمسين يدعو إلى الإسلام من غير قتال ، فسار إلى بنى جَذِيْمَة بناحية يَلَمْلَم [١] ، ومضى مُصْلِتاً سيف عزمه الذى لا ينبو [٢] ولا يَتَثَلَّم[٣] .

فلما انتهى إليهم أقروا بالإسلام ، وذكروا أنهم أقاموا الصلاة وآمنوا بالنبى عليه السلام ، فأنكر منهم إطلاق السيوف واعتقال الرماح [٤] ، ولم يقبل ما اعتذروا به من خوف العدو فى حمل السلاح ، بل أمر بقتلهم بعد قبضهم، فقُتِل بعضُهُم وفُكَّ أسر بعْضِهِم .

فلما بلغ النبى ﷺ ما وقع ، برئَ إلى الله مما فعل خالدٌ وصنع ، وبعث علياً فودى [٥] قتلاهم وأموالهم ، ثم انصرف بعد أن أرضاهم وأصلح أحوالهم .

وفى هذه السرية يقول أحد بنى جَذِيْمة من أبيات :

ولولا مقالُ القومِ للقومِ أسلموا
لَلاقَتْ سُلَيمٌ بعد ذلكَ ناطِحَا

---

(١) يَلَمْلَم : ويقال : ألملم : موضع على ليلتين من مكة ، وهو ميقات أهل اليمن وفيه مسجد معاذ بن جبل « معجم البلدان ٥/ ٤٤١» .

(٢) لا ينبو : يقال : نبا السيف إذا لم يقطع .

(٣) لا يَتَثَلَّم : أى لا يكِلّ حده .

(٤) يقال اعتقل رمحه إذا وضعه بين ساقه وركابه .

(٥) فودى : من الدية .

فكائِنْ ترى يـوم الغُمَيْصَـاء (١) من فَتىً
أُصـيبَ ولم يَجْرَحْ وقـد كان جـارحًـا

فأجابه العبَّاس بن مِرْدَاس من أبيات :

فـــخـــالدُ أولـى بالـتَّعَدُّدِ منـكمُ
غَدَاةَ عـلا نـهْجـاً من الأمـرِ واضِحـا
مُعَانــاً بـإذنِ اللهِ يُزْجِــى (٢) إليـكمُ
ســوانِحَ لا تكبُو لـهُ وبَوَارِحَا

غزوة حُنَيْن (٣)

سنة ثمانٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ من مكـة لستٍ خلون من شوال ، عازمـاً على حرب هَوَازِن (٤) الذين طغـوا وبغوا بكثرة الأصـحاب والأمـوال ، حيث حـسدوا وحشدوا ، وحَفَدوا (٤) فى المسير إليه وحقدوا .

وخرجوا فى ثَقِيفٍ وبنى سـعدٍ بأولادهم ونسائهم ، واستاقـوا معهم لنفع المسلمين سـائر نِعَمِهِم وشائهم ، واتَّفـقـوا بعد أن أوعـبوا على الاجـتمـاع بأوطاس ، وكان قائدهم مالك بن عوفٍ الوَسْوَاس الخنَّاس .

وسار النبى ﷺ فى اثنى عشر ألفاً من مكة والمدينة ، ومضى داعياً إلى الله بإذنه وناصــراً شرعه ودينه ، حـتى انتهى إلى وادى حُنَيْنٍ فى الـليل ، وقدِم

(١) الغُمَيْصَاء : موضع فى بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر .
(٢) يُزجى : أى يسوق .
(٣) حُنين : وادٍ بينه وبين مكة ثلاث ليال .
(٤) هوَازِن : قبيلة كبيرة من العرب .
(٥) حَفَدُوا : أسرعوا .

خالد بن الوليد فى بنى سُليمٍ بالخـيل ، وصفَّ العساكر والجنود ، ودفع إلى أصحابه الألوية والبنود .

وعمد مـالك إلى أصحابه فـجمعهم ليـلاً بالوادى ، وأجمع رأيه على أن يكون جيشه عند الملتقى هو البـادى ، فلما برزت كتائب مُقَدِّمة المسلمين إلى الطريق ، حمل المـشركون عليـهم قبل أن يخرجـوا من المضيق ، فـانكشفت خيل بنى سُلَيمٍ مولِّية ، وتبعتهم خيل الناس فى غَبَشِ الصبح [1] مُصَلِّية[2] .

وثبت النبى ﷺ فى نفرٍ من أهل بيته وأصحابه الغُرر ، منهم العباس وابنه الفضل وعلىٌّ وأبو بكرٍ وعـمر ، ثم تراجع المسلمون وحـملوا على الكفار ، فطردوهم وشرَّدوهم بإذن العـزيز الغفَّار ، وأصـابوا الغرض منهم سـريعاً ، وقتلوهم حتفاً عليهم قتلاً ذريعاً ، وأُمِدُّوا بالملائكة وأيِّدوا بالنصر ، وحصَّلوا من الغنائم ما لا يكاد يبلغه الحصر ، وانهزم المشركون ما بين جريح وخائف، وتفرقوا بأوطاس[3] ونَخلَة [4] والطائف .

وأمر الناس بطلبهم ، فـخرجوا يتبعون جهـات هربهم ، فأدركوا وأهلكوا وغنموا، وأسروا وكسروا حاكمين بما علموا، وساقوا إلى الجِعِرَّانة[5] ما أصابوا من السَّبي والغنائم ، وأشرقت بنور ظَفَرِهم وتأييدهم تلك المعاهد والمعالم .

---

(١) غَبَش الصبح : إذا خالط بياض الفجر بقية ظلام الليل .

(٢) مُصَلِّية : المصلى هو الثانى من الخيل فى السباق .

(٣) أوطاس : وادٍ فى ديار هَوَازِن «معجم البلدان ١/ ٢٨١» .

(٤) نَخْلَة : واد من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين «معجم البلدان ٥/ ٢٧٨» .

(٥) الجِعِرَّانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهى إلى مكة أقرب «معجم البلدان ٢/ ١٤٢» . وفى ضـبط الراء والعين خلاف : فـالمحدِّثون يشددون الراء ويكسـرون العين ، وأهل الأدب يخففون الراء ويسكنون العين .

ثم ساروا إلى الطائف يَنْثَال[1] الخير عليهم ويتوالى ، وسيأتى ذكر مسيرهم مفصلاً إن شاء الله تعالى .

وفى هذه الغزوة يقول العبَّاس بن مِرْداس[2] من أبيات :

ولنا على بئرى حُنين موكبٌ
دَفَعَ النِّفاقَ وهضْبَةٌ ما تُقْلَعُ
ذُدنا عِدا تئِد هَوَازِنَ بالقَنَا (٣)
والخيلُ يغمُرُها عَجَاجٌ (٤) يسْطعُ
فى كلِّ سابِغَةٍ (٥) تَخَيَّرَ سَرْدَها
داود إذْ نسَجَ الحديدَ وتُبَّعُ
نُصِرَ النبىُّ بنا وكنَّا مَعْشَراً
فى كلِّ نائبةٍ نَضرُّ ونَنفَعُ
فُزْنَا برايتهِ وأورَثَ عقْدُهُ
مجدَ الحياةِ وسؤدُداً لا يُنْزَعُ

وفيها يقول من أبيات :

ويومَ حُنَينٍ حينَ سارتْ هوازنٌ
إليـنا وضاقتْ بالنُّفُوسِ الأضالِعُ

---

(١) يَنْثَال : ينصب .

(٢) هو العباس بن مِرْداس، أبو الهيثم السلمى شهد مع النبى ﷺ الفتح وحُنينا ، وهو القائل لما أعطى النبى ﷺ الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصن من غنائم حُنين أكثرمما أعطاه:

أتجعل نهبى ونهب العبيد — بن عيينة والأقْرَعَ
وما كان حِصن ولا حابسٍ — يفوقان مِرداسَ فى مُجْمَعِ

وزعم أبو عبيدة أن الخنساء أمه «الإصابة ٣/ ٦٣٣» .

(٣) القنَاَ : الرماح المجوفة .

(٤) العَجَاج : الغبار .

(٥) سابغة : أى درع تامة .

ضَرَبْنَا مع الضَّحَّاكِ[1] لا يَسْتَفِزُّنَا

قِراعُ الأعادى مِنْهُمُ والوَقَائِعُ

أَمَامَ رسولِ اللهِ يخْفِقُ فوقَنَا

لِواءٌ كَخذْرُوفِ السَّحابَةِ [2] قاطِعُ

وفيها يقول من أبيات :

ونحنُ يومَ حُنَيْنٍ كان مشهدُنا

للدِّينِ عِزاً وعِند اللهِ مُدَّخرُ

إذ نركبُ الموتَ مُخْضَراً بطائنُهُ

والخيلُ يَنْجَابُ[3]عنها ساطِعٌ[4] كَدِرُ[5]

فى مأزقٍ من مَجَرِّ الحربِ كَلْكَلُها[6]

تكادُ تأفُلُ فيهِ الشمسُ والقمرُ

وقد صَبَرْنَا بأوطاسٍ أسنَّتَنا

للهِ ينصُرُ من شِئْنا ونَنتَصِرُ

وفيها يقول من أبيات :

سمونا لها وِردَ القَطَا زَفَّةَ الضُّحَى

وكلٌ تراهُ عن أخيهِ قد أحْجَمَا

لِذِى غُدْوَةٍ حتى تَركْنَا عشيَّةً

حُنَيْناً وقد سالت دوامِعُهُ دَمَا

(١) هو الضَّحَّاك بن سفيان السلمى ، وكانت بيده راية سليم يوم حنين .
(٢) الخُذْرُوف : البرق اللامع المتقطع منها ، وأراد به هنا السرعة فى تحرك هذا اللواء .
(٣) ينجاب : ينكشف
(٤) الساطع هنا : الغبار .
(٥) كدر : متغير إلى السواد .
(٦) كلكلها : صدرها .

وقـــد أحـــرزَتْ مِنَّا هَوَازِنُ سِربَهَـــا
وحُبَّ إليـــهـــا أن نُجِيبَ ونُحْرِمَـــا

وفيها يقول من أبيات :

وعلـى حُنْيْنٍ قـــد وفـى من جَمْعِنَا
ألفٌ أُمِدَّ بـه الرســـولُ عَرَنْدَسُ (١)
كـــانوا أمـــامَ المسلمين ذَرِيَّةً (٢)
والشـــمسُ يومـئـذٍ عليـهم أشـــمسُ
نمضى ويحـــرُسُنا الإلـهُ بحِفْظِهِ
واللهِ ليسَ بضـــائعٍ من يَحْـــرُسُ

سرية الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسِىِّ إلى ذى الكَفَّيْن سنة ثمانٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شوال من وادى حُنَيْن ، وأمره بالمسير إلى قومه والقيام بهدم ذى الكفين ، وهو صنمٌ كان لعمرو بن حُمَمَة ، وكان يلوذ به فى دوسٍ أهل الحُطَمة (٣) ، وأن يستمدَّ قومه، ويأتيه إلى الطائف بالحوْمَة (٤) ، فخرج سريعاً ، ومضى سامعاً مطيعاً ، فهدم الصنم وحرَّقه ، وشتَّت شمل أصحابه وفرَّقه ، وقدِمَ إليه بدبَّابةٍ (٥) ومنجنيق ، وصحب معه أربعمائة من

(١) العَرَنْدَس : الأسد الشديد .
(٢) الذَرِيَّة : ما يُتَعلَّم عليه الطعن . ومن رواه: دريئة فمعناه : مدافعة . ومن رواه : دَرِيَّة فمعناه: تستر.
(٣) الحُطمة : من أسماء النار .
(٤) الحَوْمَة : حومة القتال : أشد موضع فيه .
(٥) الدَّبَّابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها الأسوار لينقبوها .

ذوى الإيمان والتصديق ، وهو القائل :

يا ذا الكفَّين[1] لستُ مِنْ عُبَّادِكا
ميلادُنا أقدمُ من ميلادكا
إنى حَشَشْتُ النَّار[2] فى فؤادِكا

غزوة الطائف وقَسْمُ غنائم حُنَيْن وعُمرة الجِعِرَّانَة سنة ثمان من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ من حُنَيْنٍ فى الشهر المذكور[3] ، طالباً غزو ثَقيفٍ فى جيشه المؤيَّد وعسكره المنصور ، وجعل على مقدمته خالد بن الوليد ، وانبعث إلى جهة قصده محروساً بعين الباعث الشهيد ، ومضى إلى أن نزل قريباً من حصن الطائف، فإذا هم قد تستَّروا بما يمنعهم من الرامى والقاذف، فنصب عليهم المنجنيق ، واحتال المسلمون على أخذهم بكل طريق ، وحاصروهم تسعة أيام ومثلها ، وأرسلوا لهم من القِسىِّ العربية نُبْلها ، وقطعوا أثمارهم ، وحرَّقوا أشجارهم .

واستمر المشركون على ضلالهم، وأرسلوا جماعة من المسلحين بنبالهم، واجتهدوا فى التحصين والقتال ، ولكن خرج من حصنهم بضعة عشر من الرجال .

ولم يؤذن للنبى ﷺ فى فتحه ، فأمر كُلاً من الناس بوضع سيفه ورمحه، ثم رحل إلى الجِعِرَّانة للنظر في مغانم حنين ، وقسم ما اشتملت عليه من

---

(١) ذو الكفين : بلفظ تثنية كف الإنسان وخُفِّف فى الشعر للوزن .

(٢) حششت النار : أوقدتها .

(٣) هو شهر شوال «عيون الأثر ٢/ ٢٧٠».

السَّبى والنَّعَمِ واللُّجَين (١) .

فلما استقـر بها قدمت عليه من هَوَازِن فرقة ، وذكـروا له ما أصابهم من جُهْد البلاء وألم الفُرْقة ، وسألوه أن يَمُنَّ عليـهم، وأن يتجاوز عنهم ويحسن إليـهم ، فأجـاب سؤالهم، وحـقق رجاءهم ، وأطلق لهم بعـد أن خيـرهم أبناءهم ونساءهم ، ولحق به قائدهم مالكُ بن عوفٍ متمسّكاً بحبل بِرِّه المبرم، فأكرمه واستعمله على قومه بعد أن أسلم .

ثم قسـم الأموال بين المجاهديـن ، وغمر بإنـعامه الصـادرين والواردين، وأعطى كل واحدٍ من أشراف القـوم مائة بعير ، وخصَّ جهـة المؤلفة قلوبهم بالفـضل الكبيـر ، لكنه لم يُعْط الأنصار شـيئـاً من الغنيـمة ، فوجـدوا فى نفوسهم وجد ذوي العقول السليـمة، فدعاهم سالكاً فى التلطف بهم مسلك الاعتذار ، وضاعف رفعتهم بقوله : «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار».

وكان السَّبى ثلاثة آلاف نسمة وضعـفها ، وكانت الإبل والغنم أربعين ألفاً ونصفها ، إلى غير ذلك من الفضة والمتاع ، والأسلحة التى لا يباع مثلها ولا يُصَاع .

ولما فرغ من ذلك خرج فى ذى القعدة إلى العـمرة ، واستخلف عتَّاب بن أُسَيْدٍ على مكة متكلماً فى الإمرة ، وترك معـه معاذ بن جبلٍ يفقِّه الناس فى الدين ، ثم رجع إلى المدينة بأصحابه سالمين غانمين .

وفى هذه الغزوة يقول بُجَيْر بن زهير بن أبى سَلْمى من أبيات :

ولقـــــد تعــــرَّضـنا لِكَيْمَا يَخْرُجُوا

فـــتـــحــصَّنُوا مِنَّا بِبـــابٍ مُغْلَّقِ

---

(١) اللُّجَيْن : [على صورة المصغر] : الفضة .

تَرْتَدُّ حُسْرانــاً إلــى رَجْرَاجَـــةٍ (١)

شـــهْبــاءَ تــلمعُ كـــالمنايــا فَيْلقِ (٢)

ملمـومـــة خـضـراء لو قـذفــوا بهـا

حَضْنــاً (٣) لَظَلَّ كـــــأنهُ لــم يُخْلَقِ

وفيها يقول مالك بن عوف حين أسلم :

مـــا إن رأيتُ ولا ســـمـــعتُ بمثـلهِ

فـــى الـــنَّاسِ كُلِّهِمُ بمـــثْلِ مُحَمَّدِ

أوفى وأعطــى للجــزيــلِ إذا اجــتُدِى

ومـــتى تشـأ يُخْــبِركَ عـمَّـا فى غــدِ

وإذا الكتـــيـــبــةُ عَرَّدَت أنـيـابُهـــا (٤)

بالــسَّمْهَرِىِّ (٥) وضـــربِ كلِّ مـــهَنَّدِ

فكــأنهُ لــيثٌ عــلى أشـــبـــالــهِ

وســـطَ المَبَاءةِ (٦) خــادرٌ فى مـــرصـدِ

---

(١) الرَّجْرَّاجَة : الكتيبة العظيمة التى يموج بعضها فى بعض .

(٢) الفيلق : الجيش الكثير الشديد .

(٣) حضن : جبل فى أعالى نجد .

(٤) عَرَدَّت أنيابها : عَرَدَّ النَّاب وغيره أى تخلع وارتفع .

(٥) السَّمْهَرى : الرمح الصليب العـود ، منسوب إلى «سَمْهَر» رجلٌ كـان يُقَوِّم الرماح ، أو إلى سَمْهَر : قرية بالهند .

(٦) المباءة : منزل القوم فى كل موضع . ويروى : الهباءة : أى الغبرة .

وفى أثرها يقول كعب بن زُهَيْر بن أبى سَلْمَى فى كلمته «بانت سُعَاد» حين أسلم :

نُبِّئتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوعدنى
والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مقبولُ

مهْلاً هداكَ الذى أعطاك نافلةَ
القرآنِ فيه مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخُذَنِّى بأقوالِ الوُشاةِ ولمْ
أُذنبْ ولو كَثُرَتْ فىَّ الأقاويلُ

إنَّ الرسُولَ لنورٌ يُسْتَضاءُ بهِ
مُهَنَّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

سرية عُيَيْنَةَ بن حصْن الفَزَارى (١) إلى بنى تميم سنةَ تسعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شهر المحرم ، وجهَّزه فى خمسين فارساً يُعْرِبُ عنهم لسان الفضل ويتكلم ، وأمرهم بالمسير إلى بنى تميم ، فساروا لا يلوون على صديق ولا حميم ، حتى هجموا عليهم فى صحراء قريبة من أرضهم ، فلما رأوهم خرجوا يشتدون فى سعيهم وركضهم ، فأخذوا منهم أحد عشر أسيراً، وسبوا إحدى عشر امرأة وثلاثين صغيراً .

---

(١) هو عيينة بن حصن الفزارى ، أسلم قبل الفتح ، وشهدها ، وشهد حنيناً ، والطائف ، وكان من المؤلفة قلوبهم . «الإصابة ٤/٧٦٧» .

ثم إن الأقْرَعَ بن حابسٍ [١] وعِدَّةً من كبارهم قدموا على الرسول ، وسألوه فى أمر أولائك الضباب والحُسُول [٢] ، فأطلق لهم السَّبى والأسرى، ومنَّ عليهم كما منَّ على غيرهم إحساناً وجبراً .

وفى ذلك يقول الفرزدق من أبيات :

وعندَ رسولِ اللهِ قام ابنُ حابسٍ
بِخُطَّةِ إسوارٍ [٣] إلى المجدِ حازمِ
له أطلقَ الأسرى التي فى حباله
مُغَلَّلَةً أعناقُها فى الشكائمِ [٤]

سرية قُطْبَةَ بن عامر [٥] إلى خَثْعَم سنة تسعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى صفر ، وجهَّزه فى عشرين من المؤمنين بالقضاء والقدر، وأمرهم بالمضى إلى خَثْعَم ، وأن يقتلوهم بذُبَاب المخْذَمِ [٦] وطرف اللَّهْذَم [٧] .

---

(١) هو الأقرع بن حابس بن عِقال التميمى المجاشعى ، شهد فتح مكة وحُنيناً والطائف ، وهو من المؤلفة قلوبهم «الإصابة ١/ ١٠١» .
(٢) الحُسُول : جمع حِسْل : ولد الضَّبُ حين يخرج من بيضته .
(٣) الإسوار : قائد الفرس ، وقيل : هو الجيد الرمى بالسهام .
(٤) الشكائم : جمع الشكيمة ، وهى من اللجام الحديدة المعترضة فى الفم .
(٥) هو قُطْبَة بن عامر الأنصاري الخزرجى ، شهد بدراً والعقبة والمشاهد ، ومات فى خلافة عثمان « الإصابة ٥/ ٤٤٤» .
(٦) ذُبَابُ المخذم : حدّ طرفى السيف .
(٧) اللَّهذَم : القاطع من الأسنة .

فســاروا حتى أتوا حـياً من أحـيائهم ، وأحـاطوا بهم عاملين علـى سبى نسائهم وأبنائهم .

فقاتلوهم أشد القتال ، ونصر اللهُ أهل الهُدى على أهل الضلال ، فساقوا النَّعَمَ وجلبـوا السَّبى إلى طيـبة ، وتبـعـهم المشركـون لكنهم مُنِعـوا بالسَّيل ورجعوا بالخيبة .

كـاد العـدى أن يلحـقـوا بذوى الهُـدى
لَمَّا مـــضـــوْا بالـسَّبْيِ والأنْعَـامِ
لكـنَّ مـــا قطـعَ الطريـقَ عليـــهمُ
ســـيلٌ ألَمَّ بأمـــرِ ذِى الإنْعَـامِ

سرية الضَّحَّاك بن سفيان الكلابى [١] إلى القُرَطَاء سنة تسعٍ من الهجرة

بعثه النبى فى ربيع الأول ، وخولَّه من الإمْرةِ على الجـيش المجهز معه بما خولَّ ، وأمرهم بالمسير إلى القُرَطَاء [٢] من بنى كلاب ، فمضوا حتى لقوهم بالزُّجِ [٣] لا ستـر بينهم ولا حـجاب ، فـقاتلوهم وشـرَّدوهم ، وعن تلك المواطن النَّجدية أبعـدوهم ، ثم انصرفوا آيبين ، ورجعـوا للأجور لا للدثور كاسبين .

---

(١) كان يقوم على رأس رسـول الله ﷺ متوشحاً بسـيفه ، وكان من الشجـعان الأبطال يُعد وحده بمائة فارس «الإصابة ٣/ ٤٧٧» .

(٢) القُرَطاء: من ولد أبى بكر بن كلاب: قُرط، وقُرَيْط، وقُرَيْطة «جمهرة أنساب العرب٢٨٢».

(٣) الزُّج : موضع بضرِيّة من ناحية نجد ، وتصحفت فى عيون الأثر إلى : زخ «٢/ ٢٧٧».

يمْ خـــــلالَ بنـى كــــلابٍ مُنْجِداً
واســــأَلْ عـن القُــرطَاءِ والضَّحَّــاكِ
يُخْبِـرْكَ من شـــهــدَ الوقــيعـــةَ أنهُ
جَزَلَ[1] العِداةَ بســيــفـهِ الـفـتَّاكِ

سرية عَلْقَمَةَ المُدْلجى [2] إلى الحَبَشة سنة تسعٍ من الهجرة

بعـثه النبى ﷺ فى ربيع الآخـر ، وجـهَّزه فى ثلاث مائة خـائضين على الحقيقة فى بحره الزاخـر ، وأمرهم بالمضى إلى الساحل ، وأن يحاربوا المقيم من الأحابيش والرَّاحل .

وكان قد بلغه ظهورهم بجِدَّة ، وأنهم تلَّفـعوا بمروطِ اللَّيل وتلَّمعوا بحمل العِدَّة ، فـساروا حـتى وافوهم فى بعض الجـزائر ، فخـاضوا البـحر إليـهم مضـمرين أخـذهم بالجرائر ، فلمـا رأوهم هربوا ناكصين على الأعـقاب ، ورجع المسلمون مأجورين مشكورين على مرِّ السنين والأحقاب .

نحـوَ الأحـابيشِ سـارَ المسلمـون إلى
سَيْفِ الـقَلَمَّسِ [3] بالأسيـاف والعُدَدِ
لمَاَ رأوْهُم عـلى أعــقــابهـمْ نكَصُوا
خـوفـاً وشـتَّانَ بينَ الذئـب والأسـدِ

---

(1) جَزَلَ : قطع .
(2) المُدْلجى : نسبة إلى بنى مُدْلِج قبيلة من كنانة ، انظرترجمته فى الإصابة « ٤/٥٥٩» .
(3) سَيْف القَلَمَّس : ساحل البحر .

سرية على بن أبى طالب إلى الفُلْس [1]
سنة تسعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى الشهر المشار إليه [2] ، وجهَّز معه مائة وخمسين من الأنصار الأخيار لديه ، فمضى إلى صنم طيءٍ الشهير بالفُلْسِ عازماً على هدمه ، وسار حتى انتهى إلى مَحَلَّة آل حاتم مع طلوع الفجر وغيبة نجمه ، فهدم بيت الصنم ، وظفر بكثير من السَّبى والنِّعَم ، وهرب إلى الشام عَدِىٌّ ابن حاتم ، وقامت فى الحى لِما جرى سوق المآتِم ، وكان فى خزانة الفُلْس ثلاثة أدراعٍ وثلاثة أسياف [3] ، فأُضيفت إلى الغنيمة ثم قسمت على العدل والإنصاف .

علىٌّ سارَ للفُلْسِ	بأبطالٍ من الحُمْسِ [4]
لهمْ فى دَرْسِ أعلامِ	الأعادى أيُّما درسِ
مضَوْا حتى أتَوْا بيتاً	لأهلِ الطَّردِ والعكْسِ
فأشْقَوْهُ وأبقَوْهُ	كأن لم يغنَ بالأمسِ

---

(١) الفُلْس : هكذا ضبط فى عيون الأثر ، وضبط فى مراصد الإطلاع (٣/ ١٠٤٢)، ومختصر تاريخ دمشق (٢/ ٢٠١) بضم أوله وثانيه .

(٢) هو شهر ربيع الآخر .

(٣) هذه السيوف هى : الرَّسُوب ، والمِخْذَم ، وسيف يقال له اليمانى .

(٤) الحُمس : الشجعان .

غزوة تبُوك
سنة تسعٍ من الهجرة

ثم خرج النبى ﷺ فى شهر رجب ، وأوعز بطلب أهل مكة واستنفر قبائل العرب ، وندب الناس إلى الخروج ، وحضَّهم لتوفير حظِّهم على قتال العُلُوج (١) ، وجاء البكاؤن (٢) - وهم سبعة - إليه ، وقصدُهُم يستحملوه فقال : ﴿ لا أجدُ ما أحملُكم عليه ﴾ .

وحثَّ على الإنفاق فى سبيل اللهِ أهل الغنى ، فجاد كلٌ من أبى بكرٍ وعثمانَ بما ملأ الأيدى وبلغ المُنا .

واستخلفَ على المدينة محمد بن مسلمة ، وأوْعَتَ بكتائبه الجرارة وفوارسه المُعْلِمَة ، وأمر على بن أبى طالب أن يَخْلُفَهُ فى أهله، فأقام عارفاً بفرع ذلك التمييز وأصله .

وكان بلغه أن الروم تجمعت للمحاربة ، وأن ملكهم هِرَقْل تهيأ يُمَحِّص للمقاتلة والمغالبة .

وسار ﷺ فى ثلاثين ألفاً من الناس ، وكان فى جيشه العَرَمْرَم(٣) عشرة آلاف من الأفراس ، وأخذ فى الإعناق والإيجاف ، ثم انتقلوا إلى الإغْذَاذِ والإعْصَاف (٤) ، مقبلين على الجهاد فى سبيل مُجازيهم ومُثيبِهم ، جازمين بكسر أصلاب الأعداء وخفض صليبهم ، حتى قدموا إلى تبوك ، وأتوا وكلٌ

(١) العُلُوج : العلج : كل جاف شديد من الرجال.

(٢) هم : سالم بن عمير ، وعُلبة بن زيد ، وأبو يعلى المازنى ، وعمرو بن غَنَمة، وسلمة بن صخر ، والعرباض بن سارية ، وعبد الله بن مُغَفَّلٍ ، ومعقل بن يسار «طبقات ابن سعد ٢/ ١٦٥».

(٣) جيش عَرَمْرَم : كبير .

(٤) الإعْنَاق ، والإيجاف ، والإغْذَاذ ، والإعْصَاف : ضروبٌ من السير .

من ثُغُور الشام لمقدمهم ضَحُوك ، وأقاموا بها خمسة عشر يوماً وخمسة أيام، ورسول اللهِ ﷺ يقصر الصلاة مدة المقام بالأقوام .

وفى هذه الغزوة جاء المُعَذَّرون من الأعْراب ، وعنها تخلَّف ناسٌ بغير عذرٍ ولا عِلَّة وناسٌ من غير شك ولا ارتياب .

وفيها استخلف أبا بكرٍ يصلى بالناس فى العسكر، واستعمل عبَّاد بن بشر على حرس جيشه الأزهر، وفيها أصبح الناس ولا ماء معهم فأرسل اللهُ بدعائه المطر ، وفيها ضلت ناقته فأخبر بمكانها وحبْسِها بذمامها فى بعض الشجر .

ثم انصرف إلى المدينة فوصلها فى شهر الصيام ، وهى آخر غزوة غزاها بنفسه عليه الصلاة والسلام .

وفيها يقول أبو خيثمة - لما رجع إليها بعد تخلفه - من أبيات :

ولما رأيتُ الناسَ فى الدينِ نافقوا
أتيتُ التى كانت أعفَّ وأكْرَمَا
وبايعتُ باليمنى يدى لمحمَّد
فلمْ أكتسبْ إثماً ولم أغْشَ مَحْرَمَا

سرية خالد بن الوليد إلى دُوْمَةَ الجَنْدَل (١)

سنة تسعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ وهو بتبوكٍ فى رجب ، وجَّهز معه أربعمائة وعشرين مسارعين إلى ما عليهم وجب ، فساروا إلى أُكيْدر (٢) النصرانى قائد كِندة ،

(١) الجَنْدَل : الصخر العظيم .
(٢) أُكَيْدر : هو أُكَيْدِر بن عبد الملك بن عبد الجن .

عازمين على أن يهدموا حِصنه ويهلكوا جنده ، حتى انتهوا إليه وقد خرج من الحصن فى ليلة مُقمرة ، وهو يطارد بقراً وحشية كأنما فرَّت من قَسْوَرَة [١] ، فشدَّت عليه الخيل فاستأسرَ [٢] ، وقُتِلَ أخوه حسان حيث امتنع واستكبرَ ، ثم اتفق الحال على فتح الحصن لخالد ، ومصالحته على كثير من المال الطَّارِف[٣] والتَّالِد [٤] ، فمن ذلك ثمان مائة وألفا بعير ، فأخرج الخُمس وقسم الباقى على من معه من أولائك النَّفِير ، ثم قَدِمَ بأُكيدر إلى المختص بالوسيلة ، فضرب عليه الجزية وكتب له أماناً وأطلق سبيله .

وفى هذه السرية يقول بُجَيْرُ بن بَجْرَةَ الطَّائى [٥] :

تبارك سائقُ البقراتِ إنِّى
رأيتُ اللهَ يهدى كلَّ هادِ
فمن يكُ حائداً عن ذى تبوك
فإنَّا قد أُمرنا بالجهادِ

وفد ثَقيف وهدم اللاَّت [٦]
سنةَ تسعٍ من الهجرة

قدم على النبى ﷺ وفد ثَقيف ، حيث أرشدهم الطائف بالطائف إلى طاعة الخبير اللَّطيف ، فبايعوه على الإسلام ، وتابعوه على أداء فرض

(١) قَسْوَرَة : من أسماء السبع . (٢) استأثر : أسلم نفسه أسيراً .
(٣) الطَّارف : الجديد . (٤) التَّالد : القديم .
(٥) أنشد بُجَير الطائى هذه الأبيات للنبى ﷺ فقال له النبى ﷺ : «لا يفضض الله فاك» فأتت عليه تسعون سنة وما تحركت له سنٌ «الإصابة ١/ ٢٦٨» .
(٦) اللاَّت : هو صنم معروف .

الصلاة والصيام ، فقابلهم بالاحتفال والاختصاص ، وأمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص [1] .

فلما اطلعوا فى أفق الرجوع إلى بلادهم شُهْبَه[2]، بعث معهم أبا سفيان ابن حربٍ والمغيرة بن شعبة ، وأمرهما بهدم اللات ، وقَبْضِ ما فى بيتها من العين والآلات ، فخرج معهم إلى الطائف ، وهدمها المغيرةُ غيرَ وجلٍ ولا خائف، وأخذ ما فيها من الحلى والمال ، ورجع إلى المدينة ناعم العيش رَجِيَّ البال .

ذهبَ المغيرةَ فى ثَقِيفٍ هادماً
صنمَ الذينَ تشبَّهوا بمُحَالِ
والرُّشدُ يُنشِدُ قائلاً : يا لاتَ مهْ
ذهبَ الضَّلالُ فلاتَ حينَ ضلالِ

وفد بنى تميم
سنة تسعٍ من الهجرة

ثم قدم على النبى ﷺ وفد بنى تميم ، وأقبلوا يفخرون بشرف نسبهم الصميم ، لا يكترثون بذى نباهة ولا قَدْر ، ولا يَعْدِلون أحداً بعُطاردَ بن

---

(١) وهو الذي منع ثقيفاً من الردة ، وجاء عنه أنه شهد آمنة لما ولدت النبى ﷺ «الإصابة ٤/ ٤٥١» .

(٢) شُهْبَة : صحراء فوق مُتَالع : ثنية للعرب «مراصد الاطلاع ٢/ ٨٢١».

حاجبٍ (١) ، والزِّبْرَقَانِ بن بدر (٢) ، فلما دخلوا المسجد رفعوا الأصوات ، وهَرَعُوا ينادون من وراء الحجرات .

ثم قام عُطارد خطيباً وافتخر في شعـره والزِّبْرَقَـان ، فأجابهما بما أسكتهما كلٌّ واحدٍ من ثابت بن قيس وحسَّان .

ثم أسْلَموا وسَلِمُوا ، وبفضل المجـيبين تكلموا ، وانصرفوا مغـمورين ببرِّ النبى ﷺ وإكرامه ، مسرورين بما حصل لهم من جوائزه السنية وإنعامه .

ومن قول الزِّبْرَقَانِ بن بدر عند قدومه :

أتيـناكَ حـتـى يعلمَ الـنَّاسُ فـضلـنا
إذا احـتـفلوا عنـد احـتِضـارِ المواسمِ

بـأنَّا فُرُوعُ (٣) الناسِ فـى كلِّ مـوطنٍ
وأنْ ليسَ فى أرضِ الحـجـازِ كَدَارِمِ (٤)

وأنَّا نذُودُ المُعْلِمـينَ إذا انتـخـوا
ونضرِبُ رأسَ الأصـيدِ (٥) المُتفاقِمِ (٦)

---

(١) ارتد عُطارد بن حـاجب بعد النبى ﷺ مع من ارتد من بنى تميـم وتَبِعَ سَجَاح ، ثم عاد إلى الإسلام ، وهو الذى قال فيها :

أضحت نبيتنا أنثى نُطيف بها — وأضحت أنبياء النـاس ذكرانا
فلعنة الله رب الناس كـلهم — على سَجَاح ومن بالكفر أغوانا

«الإصابة ٤/٥٠٧» .

(٢) اسمه الحصين ، ومعناه : القمر ، والزِّبْرقان : الخفيف العارضين .

(٣) فروع : فرع كل شئ أعلاه .

(٤) الدَّارم: شجرٌ شبيه بالغضى تستاك النساء بـه فيحمر لثاتهن تحميراً شديداً، ودارم من بنى تميم.

(٥) الأصيد : المتكبر الذى لا يلوى عنقه يميناً ولا شمالاً .

(٦) المُتَفَاقم : المتعاظم وتفاقم الأمر: أى عظم واشتد .

وأنَّ لـنـاَ المِرْبـاعُ [1] من كلِّ غـــارةٍ
يُقَرُّ بنجـــدٍ أو بأرضِ الأعـــاجِمِ

فأجابه حسَّان بن ثابت من أبيات :

نَصَرْنَا وآوينـا النبـى مــحــمــداً
عــلـى أنــفِ راضٍ مــن مَعَدٍّ وراغِمِ
مَنَعْنـاَ رســـــولَ اللهِ إذْ حلَّ دارنـا
بأســيــــافِنا منْ كـلِّ باغٍ وظـالمِ
ونحنُ ضـربـنا الناس حـتى تتـابعـوا
علـى دينهِ بالُمْرهِفـــاتِ الـصَّـوَارمِ [2]
بنى دَارمٍ لا تـفــخـروا إنَّ فـــخْرَكمْ
يعـــودُ وبـالاً عند ذكـــرِ الأكـــارِمِ

وفد عبد القيس
سنة تسعٍ من الهجرة

ثم قدم عــلى النبى ﷺ وفد عـبد القـيس ، مُضمـرين ألا يُجيبـوا داعى الهدى بكيفَ ولا ليس ، وهم صحبـة رئيسهم الجارود [3] ، وكان فى دين

---

(١) المرْبَاع : رُبْع الغنيمة ، يريد أنهم رؤساء .

(٢) المُرهِفات الصوارم : هى السيوف القاطعة .

(٣) هو الجارود بن المعلى (وقيل : العـلاء) ، وكان الجارود صِهْر أبى هريرة ، وقتل بأرض فارس فى خلافة عمر «الإصابة ١/ ٤٤١» .

النصرانية صليب العُود .

فلما وصل المدينة وانتهى إليه ، رغَّبه فى الإسلام وعرضه عليه ، ودعاه إلى الدخول فى زمرة أُمَّته ، فذكر له الجارود فِراق دينه وطلب منه ضمان ذمَّته، فضمن له أن قد هداه الله تعالى ما هو خير من دينه ، فأسلم بمن معه من أصحابه الواردين عيون معينه ، ثم رجع بهم إلى بلادهم ، وقد ظفروا ببغيهم من الهداية ومرادِهِم .

وفدُ عبدَ القيسِ يا بشراكُمُ
بامتثالِ الأمرِ من خيرِ الأنامِ
قد أُعدَّتْ جنَّةُ الخُلْدِ لكمْ
وسَلِمتم فادخلوها بسلامِ

وفد بنى حنيفة
سنة تسعٍ من الهجرة

ثم قَدِمَ على النبى ﷺ وفد بنى حنيفة ، ونزلوا فى دار امرأة من الأنصار[1] بالمدينة الشريفة ، وكان فيهم مُسَيْلَمة الكذَّاب ، الذى لا شك فى طرده وعكسه ولا ارتياب .

ثم انتهوا إليه، وأسلموا على يديه، وآمنوا بما جاء به مما يقرِّبهم من الله ويُزْلِفُهُم لديه ، فلما رجعوا إلى اليمامة ، تنبأ عدو الله مُسَيْلَمة بن ثمامة ، وارتد عن الإسلام ، وأتى من كفره بما تأباه القلوب وتُمُجُّهُ الأحلام [2]،

(١) هى دار بنت الحارث «عيون الأثر ٢/ ٣١٥» .

(٢) الأحلام : العقول .

وكان صاحب نَيْرَنْجَاتٍ[1] موهمة ، وشَجَعَاتٍ كليالى خُطَّةٍ من التوفيق مظلمة ، أحل لقومه الزنا والخمر ، ووضع عنهم الصلاة مخالفاً للأمر ، واستمر تابعاً شيطانه المَرِيد ، إلى أن قتله فيما بعد خالد بن الوليد .

ظلامُ بنى حَنِيفَةَ [2] عادَ ضوءاً
بِصُحْبَةِ من أظَلَّتْهُ الغمامَهْ
لقد ذهبوا إلى ربحٍ وولَّى
إلى الخُسْران كذَّابُ اليمامَهْ

وفد طَيّء
سنة تسعٍ من الهجرة

ثم قدم على النبى ﷺ وفد طَيّء يطوون البِيد ، ويأوون من حرمه الشريف إلى ركنٍ شديد ، وكان سيِّدهم زيدُ الخيل [3] ، المعروف بإسداء المعروف وبذل النَّيل ، فلما وصلوا إليه أسلموا على يده المباركة ، وأظهروا من حسن الإسلام ما ليس لهم فيه مشاركة .

---

(١) نَيْرَنجات : النَّيْرَنج : أخذٌ كالسحر وليس به ، جمع نيرنجة وهى كلمة فارسية تعنى الشعبذة.

(٢) حَنيفة : أبو حيّ من اليمن ، وهو حنيفة بن لُجَيم بن بكر بن على بن بكر بن وائل .

(٣) انظر ترجمته ونبذة من أشعاره فى « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، و«الأغانى» ، وكان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفَّراً شجاعاً بعيد الصيت فى الجاهلية وأدرك الإسلام ووفد إلى النبى ﷺ ولقيه وسرّ به وسماه: زيد الخير ، وقيل له زيد الخيل لستة أفراس كانت لديه .

ونوَّه النبى ﷺ بذكر زيد ، وقطع له أَرَضِينَ منها ناحيةُ فَيْد [1] ، ثم خرج يَهُزُّه الشوق والوجد ، حتى أتى ماء يقال له فَرْدَة [2] بنجد ، فحطَّ رَحْلَهُ ، مفارقاً صحبه وأهله ، ورُمِىَ هناك من المنية بسهمٍ مصيبٍ ، وقيل له : أنشد يا زيد وإنّى مقيمٌ ما أقام عَسِيب .

ولما أحسَّ بالموت قال :

أَمُرْتَحِلٌ قومِي المشارِفَ غَدْوَةً
وأُنزِلُ فى بيتٍ بِفَرْدَةَ مُنْجِدِ
ألا رُبَّ يومٍ لو مَرِضْتُ لعادنى
عوائِدُ من لم يُبْرَ[3] منهنَّ يجهدِ

وفد كِنْدَة
سنة تسعٍ مِنَ الهجرة

ثم قدم على النبى ﷺ وفد كِنْدة، والسَّعْد قد رفع لهم علمه وعقد عليهم نَبْدَه ، يؤمهم الأشعث بن قيسٍ [4] ويجمع أمرهم ، وكانوا ثمانين راجين أن يرفع اللهُ بالإسلامِ ذكرهم ، فدخلوا المسجد وقد ترجَّلوا [5] ، وكحَّلوا

(١) فَيْد : بُلَيدة فى نصف طريق مكة من الكوفة وهى بقرب أجأ أحد جبلى طيئ «مراصد الاطلاع ٣/ ١٠٤٩» .

(٢) فَرْدَة : جبلٌ ، وقيل : ماء لجرم فى ديار طيئ « المراصد ١٠٢٥» .

(٣) يبرىء : بالبناء للمجهول ، أى يبريه السفر ويضعفه .

(٤) الأشعث بن قيس : شهد اليرموك ، والقادسية ، وشهد مع على صِفين ، مات بعد قتل على بأربعين ليلة ، وصلى عليه الحسن بن على «الإصابة ١/ ٨٧» .

(٥) ترَّجلوا : أى سرَّحوا ونظَّفوا شعرهم .

أعينهم وبالحرير تسربلوا .

وأمرهم النبى ﷺ بنزع الحرير ، فألقوا ما كان عليهم منه طاعة للبشير النذير ، ثم آمنوا باللهِ ورسوله ، وبلغ كلٌّ منهم نهاية مطلبه وغاية سُوله(١) .

قل لابنِ قيسٍ ومَنْ قد جاء يصْحَبُهُ
مِنْ وفدِ كِنْدَةَ أهلِ الفوزِ والظَّفَرِ
أفْلَحتُمُ إذ دخلتُمْ طائعينَ إلى
ظلِّ الرسولِ المُرجَىَّ سيِّدِ البشرِ

وفد الأُزْد

سنة تسعٍ من الهجرة

ثم قَدِم على النبى ﷺ وفد الأُزْدِ وفيهم صُرَد (٢) ، وهو الذى سعى فى تأنيس من نفر منهم وشرد ، فبايعوه على الإسلام ، ونقضوا حكم الأوثان والأزلام (٣) ، وأمَّرَ صُرَدَ بن عبد الله على من أسلم من أصحابه ، وأمره أن يجاهد من يليه من أهل الشرك وأربابه .

فسار حسب الأمر إلى قبائل اليمن ، وأبلى فى وقعة أهل جُرْشٍ (٤) أىَّ

(١) سُوله : أى مسألته .

(٢) هو صُرَد بن شُمير بن عبد الله الكلابى ، ومن ذريته عَبْدَة بن سليمان الكلابى شيخ البخارى « الإصابة ٣/ ٤٦١ » ، والأزد من أعظم قبائل العرب وأشهرها .

(٣) الأزْلام : جمع الزَّلم وهو السهم لا ريش عليه ، وكان أهل الجاهلية يستقسمون بها ، وكانوا يكتبون عليها الأمر أو النهى ويضعونها فى وعاء ، فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده فيه وأخرج سهماً فإن خرج ما فيه الأمر مضى لقصده ، وإن خرج ما فيه النهى كفَّ .

(٤) جُرْش : من مخاليف اليمن من جهة مكة (معجم البلدان ٣/ ٨٤). وبفتح الجيم : بلدة بالشام .

بلاءٍ حسن ، قتلهم قتلاً لم يكن فيه آثماً ، ثم رجع بالبركة النبوية سالماً غانماً.

يا صاحِ إن وافيتَ وفدَ الأُزْدِ قُلْ
مُتَرَنِّماً : للهِ دَرُّكَ يا صُرَد
أرشدْتَ قومكَ للهُدى وكفيتَهُمْ
شرَّ الرَّدَى وردَدتَّ منهمُ مَنْ شَرَد

وفد هَمْدَان

سنة تسعٍ من الهجرة

ثم قدم على النبى ﷺ وفد هَمْدَان ، مجتمعين على التَّمسك من أهل الإيمان بالأردان ، وفيهم مالك بنُ نَمَط [١] ، الذى لا تحريف فى ألفاظ بلاغته ولا غلط ، قد لبسوا الحِبَرَات [٢] والعمائم العدنيَّة ، وركبوا برحالٍ على المُهْرةِ والأرْحَبيَّة .

فدخلوا عليه راغبين فى دين الإسلام ، وكتب كتاباً يشهد لهم بحفظ الذِّمام ، ثم رجعوا إلى ديارهم وفنائهم ، ونور الإيمان يسعى بين أيديهم ومن ورائهم.

وفى ذلك يقول مالك بن نَمَطٍ من أبيات :

---

(١) هو مالك بن نمط بن قيس الهمدانى ثم الأرحبى أبو ثور ، وكان شاعراً محسناً «الإصابة ٥/ ٧٥٢» .

(٢) الحِبَرَات : جمع حِبَرَة - بوزن عِنَبَة - بردٌ من اليمن .

حَلَفْتُ بربِّ الرَّاقِصـــاتِ [١] إلى مـنىً
صوادِرَ [٢] بالرُّكبانِ من هضْبِ قَرْدَدِ [٣]
بأنَّ رســــولَ اللهِ فــــينا مُصَدَّقٌ
رســولٌ أتى من عـندِ ذى العـرشِ مُهْتَدِ
فـمـا حـملتْ من ناقـةٍ فـوق ظهـرها
أشـدَّ على أعـدائِهِ من مـحـمـدِ
وأعْطى إذا مـــا طالبُ العُرْفِ [٤] جاءَهُ
وأمــــضى بحــــدِّ المَشْرِفِيِّ المُهَنَّدِ

حَجَّةُ أبى بكر الصِّديق رضى اللهُ عنه سنة تِسعٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ أمـيراً على الحج بالناس ، وقد عزم على تطهـير البيت من أهل الشـرك والأدناس ، وجهَّز معـه عشـرين بَدَنَة قلَّدها [٥] وأشْعَرَها بيده الكريمة ، فـخرج فى ثلاث مـائة رجل من ذوى الصفـات الجميلـة والوجوه الوسيمة .

فلما كان بالعَرْج [٦] لحقه على بن أبى طالب ، وهو على القـصواء ناقة المختـار من بنى لؤى بن غالب ، وردَ لقـراءة «براءة» ونبذ العـهود ، فَجَمَّلَ

---

(١) الرَّاقصات : الإبل .

(٢) صوادر : رواجع .

(٣) القَرْدَد : ما ارتفع من الأرض .

(٤) العُرف : يعنى المعروف .

(٥) قلَّدها : علق فى عنقها شئ ليعلم أنها هدى .

(٦) العَرْج : عقبة بين مكة والمدينة «مراصد الاطلاع ٢/ ٩٢٨» .

بِورُوده الوفـود بل الوجود، فـمضـوا سائرين ، وأدلجـوا [١] إلى بـيت اللهِ صائرين.

فحج بالناس أبو بكرٍ الصديق ، وسلك إلى قضاء المناسك أحسن الطريق، وقرأ علىٌّ «براءة» يوم النَّحْر عند الجمرة ، ونبذ إلى كلِّ ذى عهدٍ عهده جاعلاً بيده أمره ، وقال: لا يحج بعد هذا الـعام مشرك ولا يطوف بالبيت عُرْيَان، ثم رجعا قافلين إلى حرم سيد السادات والأعيان .

لقـــد ظفــر الحُجَّاجُ فى عـــامِ تِســعَةٍ
لِهــجْرةِ ربِّ الـعلمِ والفــضلِ والـلّسَنْ
وفـــازوا بـإقـــبـــالٍ ويمنٍ وكـــيف لا
وفـيــهــم أبو بكرٍ وفـيــهــم أبو الحـسنْ

سرية على بن أبى طالب إلى اليمن سنة عشرٍ من الهجرة

بعثه النبى ﷺ فى شهر التراويح ، وعقد له لواءً يُخْفى بضوء صبحة أنوار المصابيح ، وعــمَّمه بيده الكريمة ، وخـصَّصه ببركتـه العميمـة ، وجهَّزه فى ثلاثمائة فارس ، وألبسه من خزائن الوصية أجمل الملابس .

فـسار مـجتـهداً فـى اتباع السُّنن والسَّنن ، حـتى أتى بلاد مَذْحِج[٢] من اليمن، فبث أصحابه فيها، وفـرقهم فى أقطارها ونواحيها ، فغابوا ثم آبوا ،

---

(١) أدلَجوا : ساروا من أول الليل .
(٢) مذْحِج : قبيلة من اليمن .

وعرضوا عليه ما من الغنائم أصابوا .

ثم لَقِىَ جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه ، فقاتلهم فانهزموا منه ثم أجابوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : نحن على من وراءنا من القوم ، وبذلوا الزكاة وأذعنوا إلى الصلاة والصوم .

ثم أمر بجمع أصناف الغنائم وضمِّها ، فأخرج الخُمس وقسم الباقى على مقتضى المَعْدَلَة وحُكْمِها ، ثم قفل فوافى النبى عليه الصلاة والسلام، وهو بمكة قد قدمها لحج بيت الله الحرام .

سارَ بأمرِ النبى مُحْتَفِلاً
نجلُ أبى طالبٍ إلى اليمنْ
فَأَنْذَرَ القومَ ثُمَّ جاهدَهُمْ
مُجتَهِداً فى إقامةِ السُّنَنْ
فآمنوا طاعةً لدعوتِهِ
وعَرَّجوا عن إثارةِ الفِتَنْ
مهلاً بلغتَ المدَى فكم لك منْ
فضلٍ على الناسِ يا أبا الحسنْ

حَجَّة الوَدَاع
سنة عشرٍ من الهجرة

أجمع رسول الله ﷺ على الحج فى ذى القَعْدَة ، وأعلم المسلمين بحركته المباركة وعرَّفهم قصده ، وقدم الناس عليه يتمسكون بأذياله ، ويأتمون بأقواله المرشدة وأفعاله .

فخرج من المدينة مُغتسلاً ، وظهر متجرِّداً فى إزارٍ ورداءٍ مترجِّلاً ، واستخلف عليها أبا دُجَانَة [1] ، وأخرج نساءه المتحليات بعقود الصيانة والديانة ، وصلى الظهر بذى الحُلَيْفَة قصراً، ونشر للهَدْىِ بإشْعَاره وتقليده ذِكْراً .

ثم ركب ناقته وأحرم من ذلك اليوم ، واختلفت فى صفة إهلاله أقوال القوم ، ومضى يقطع المنازل ، ويُتْبِع العَنَق [2] بالنصِّ [3] على البوازل[4]، حتى أتى سَرِفَ [5] بمن معه من طيبة ، ثم دخل مكة من كَدَاءٍ حتى انتهى إلى باب بنى شيبة .

فلما رأى البيت رفع يده داعياً ، ثم طاف به مُضْطَبِعاً وبين الصفا والمروة ساعياً .

ثم خرج إلى منى يوم التَّرْوية [6] ، وبات بها معلناً التلبية ، ثم عاد إلى عرفات ، فوقف على راحلته بالهضبات ، ثم دفع بعد الغروب إلى المزدلفة ، وبات بها بمن قلوبهم على محبته مؤتلفة ، فلما صلى الصبح وقضى من الموقف بقُزَح [7] أربَه ، مضى قبل طلوع الشمس ملبياً حتى رمى جمرة العقبة .

---

(١) أبو دجانة الأنصارى ، واسمه سِمَاك بن خَرَشَة ، شهد بدراً «الإصابة ٧/ ١١٩».

(٢) العَنَق : ضرب من السير فسيسحٌ سريعٌ ، للإبل والخيل .

(٣) النَّص : السير الجدّ الرفيع .

(٤) البَوازل : النُّوق البُزَل هى التى طلع نابها فى تاسع سنيها .

(٥) سَرِف : موضع على ستة أميال من مكة (وقيل : سبعة وتسعة واثنا عشر) ، بنى به رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث ، وبه ماتت «مراصد الاطلاع ٢/ ٧٠٨».

(٦) يوم التَّرْوية : مشتق من الرواية لأن الإمام يُرَوِّى الناس مناسكهم .

(٧) قُزَحْ : هو القرن الذى يقف عليه الإمام بمزدلفة «مراصد الاطلاع ٣/ ١٠٨٩» .

ثم نحر هديه وحلق رأسه بمنى ، ثم أفاض طائفاً بالبيت عارفاً بمن شيَّد وبنى ، وقضى مناسك الحج وحلَّ من الإحرام ، وخطب بعد ظهر النحر خطبة بيَّن فيها الحلال والحرام ، والتقط الناس من دُرَرِ ألفاظه الثمينة ، ثم ودَّع البيت وانصرف راجعاً إلى المدينة .

سارَ إلى مكةَ خيرُ الورى
من طيبةٍ فى السنةِ العاشره
فأوضحَ السُّبْلَ لمنْ أمَّها
بالنورِ من آياتهِ الباهره
وبيَّن الحَجَّ وأركانَهُ
والسُّنَنَ المأثورةَ الزاهره
وأرشَدَ الناسَ إلى ما بهِ
يَرْقُونَ فى الدنيا وفى الآخره
صلى عليهِ اللهُ ما غرَّدتْ
ورْقَاءُ فى أوراقِهَا النَّاضِره

سرية أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين سنة إحدى عشرة من الهجرة

بعثه النبى ﷺ لأربع بقين من صفر ، وأمره من غزو الروم والإغارة عليهم بما أمر ، وعقد له لواء بيده المباركة ، وجهَّزه فى المهاجرين والأنصار أرباب الصَّوارم الفاتكة .

فخرج يحمل لواءه بُريدة بن الحُصَيب [1] ، وعسكر بالجُرْفِ [2] مستعيناً بعالم الشهادة والغيب ، فاجتمع لديه أهل البدو والحضر ، وانتدب للغزو أعيان الناس حتى أبو بكر وعمر ، وتكلم قوم فى إمارته - وهو شابٌ - على الكهول ، فصعد عليه السلام المنبر مُغْضَباً وذكر من تقديمه وتكريمه ما وردت به النقول .

ثم اضطجع ﷺ فى مِهَادِ المرض ، وعرض لأُسامة بل لجميع المسلمين من الشُّغْل بوفاته ما عرض .

ثم إنه سار فى خلافة أبى بكر إلى جهة قصده ، ولم يقدم أحدٌ من المسلمين على ردِّ جيشه ولا حلِّ عَقْدِه ، لكن أبا بكر سأله فى عمر بن الخطاب ، وأن يأذن له فى تخلفه عنه فأجاب ، حتى انتهى بناحية البلقاء [3]

---

(١) هو بُريدة بن الحُصَيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمى ، واسم بُريدة : عامر ، وبُريدة لقب ، غزا مع رسول الله ﷺ ستة عشرة غزوة «الإصابة ١/ ٢٨٦» .

(٢) الجُرْف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة ، نحو الشام «مراصد الاطلاع ١/ ٣٢٦» .

(٣) البلقاء : كُورةٌ من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى قصبتها عمَّان «معجم البلدان ١/ ٤٨٩» .

إلى أهل أُبْنَى [1] ، فشن الغارة على الأعلى من منازلهم والأدنى ، وحرَّق بيوتهم وأشجارهم ، ومزَّق أعوانهم وأنصارهم ، وأجال الخيل فى عِرَاصِهِم[2] ، وأصاب كثيراً من سوابحهم [3] وقِلاصِهِم [4] ، وسبى أولادهم ونساءهم ، وأخذ أموالهم وسفك دماءهم ، وقَتَلَ قَاتِل أبيه ، واستأصل الخامل منهم والنبيه ، وأظهر للعسكر نتيجة ما خُصَّ به من التفضيل ، وقسم الجملة المجتمعة من الغنائم بينهم على التفصيل .

ثم أسرج للرحيل خيله ، حتى قدم المدينة فى خمس عشرة ليلة ، فخرج أبو بكر والناس مستبشرين إلى لقائه ، وهذه آخر سرية بعثها رسول الله وخاتم أنبيائه .

للنَّجمِ قد سامَى أُسامةُ رِفعَةً
ولِمَ لا وخيرُ الخلقِ نوَّهَ باسمِهِ
وافى إلى أرض الشآمِ [5] بمحْفَلٍ
فِرَقُ العدى ذلَّتْ لِعِزَّةِ عزْمِهِ
ولكَمْ أقامَ بغزوِ الرُّومِ منْ
عَلَمٍ يَلُوحُ بِعِلْمِهِ وبِحَزْمِهِ

---

(١) أُبْنَى : هى القرية التى عند مؤتة حيث قتل أبوه زيد .
(٢) العراصُ : جمع العَرْصَةُ : ساحة الدار ، والبقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها .
(٣) السَّوابح : الخيل .
(٤) القلاص : الإبل .
(٥) الشآم : بفتح الهمزة ومدها لغة فى الشام وبها يستقيم وزن البيت .

سحر لَبيد بن الأَعْصَم اليهودى

لما رجع النبى ﷺ من الحُدَيْبِيَة فى جيشه الأعظم ، جاءت رؤساء يهودٍ المُظْهِرون للإسلام إلى لَبِيد بن الأعْصَم ، وكان أعلمهم بالسحر والسموم ، وطلبوا منه أن يَسْحَرَ لهم المحفوظ بمن حَفِظَ السماء بالنجوم ، وجعلوا له على ذلك جُعْلاً (١) ، فأجابهم قولاً واتبع القول فعلاً .

واجتهدوا فى أمره وسحره ، حتى وجد من تغير حاله ما أنكره ، وأُخِذَ عن النساء والطعام والشراب ، وكان يُخَيَّلُ إليه فعل ما لم يفعله حتى عاده الأصحاب .

ثم أتاه مَلَكَان وهو بين النائم واليقظان ، فأخبراه بالسِّحر وبمن سَحَر ، وأنه فى مِشْطٍ ومُشَاطَةٍ (٢) وجُفٍّ طلْعَةِ ذَكَر (٣) ، وهو تحت صخرة فى بئر ذَرْوَان (٤) ، وأُنزلت عليه السورتان المُعَوِّذَتَان .

فجهَّز لإظهاره من ألهم رُشْدَه ، وجعل كلما يقرأ آية تنحل عُقْدَة، وشُفِىَ مما كان يجده صلى الله عليه ، ثم عفا عن الساحر اليهودى بعد أن اعترف بذنبه لديه .

حسدَ اليهودُ محمداً فتجمَّعوا
كى يزرأُهُ بسحْرِ نَجْلِ الأعْصَمِ
خَسِروُا وخابوا حيثُ أعلمَهُ بِهِ
من علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمِ

(١) جُعْلاً : أى أجراً . (٢) مُشَاطَة : ما مُشِط من الرأس.

(٣) جُفّ : هو الغشاء الذى يكون على الطَّلْع . (٤) بئر ذَرْوَان : وفى رواية : ذى أرْوَان وهى الأصل فسُهِّلت الهمزة لكثرة الاستعمال فصارت ذَرْوَان «وفاء الوفا٤/ ١١٣٥».

شاة زينب بنت الحارث اليهودية

لما كان النبى ﷺ فى غزو اليهود بخيبر ، وقُتِل من قُتِل فيها من أكابر ذوى الخزى الأكبر ، أتته زينب بنت الحارث [1] اليهودية ، وأهدت إليه شاةً مسمومة مَصْلِيَّة [2] ، فَوُضِعَتْ بين يديه وبعض أصحابه حضور ، وكان فيهم بشر بن البراء بن مَعْرُور ، فَنَهَسَ [3] عليه السلام من ذراعها نهسة ، وتناول بشرٌ منها لقمة أسكنته فى ليلته رَمْسة [4] .

فلما ازْدَرَدَ لقمته أعلمهم بعاقبتها المذمومة ، وقال : « إن هذه الذِّراع تخبرنى أنها مسمومة » ، وطُرِحَ منها لكلبٍ فلم يُتْبَع يده حتى مات ، وكم له من معجزة باهرة الأمارات ظاهرة العلامات .

ثم دعا اليهودية وسألها عن الحامل لها على ضُرِّه ؟ فقالت : قلت: إن كان نبياً فستخبره الشاة وإن كان ملكاً استرحنا من شره ، فدفعها إلى ولاة ابن مَعْرُور ، فقتلوها به على الصحيح من القول فى المسطور .

ولم يزل يعاوده ألم أكلة خَيْبَر، إلى أن قَطَعَتْ منه كما ورد عنه الإِبْهَر [5]،

---

(١) هى زينب بنت الحارث بن سلام الإسرائيلية ، وهى أخت مرحب اليهودى . والذى ذهب إليه الإمام السهيلى هو أن النبى ﷺ صفح عنها أولاً لأنه كان ﷺ لا ينتقم لنفسه ، فلما مات بشر بن البراء من تلك الأكلة ، قتلها ، ووقع فى كتاب شرف المصطفى أنه قتلها وصلبها «الروض الأنف ٤/ ٦٢» ، و الإصابة ٧/ ٦٧٠» .

(٢) مصْلِّية : يعنى مشوية .

(٣) نَهَسَ : أخذه بمقدم أسنانه ونتفه للأكل .

(٤) رَمْسَه : يعنى قبره .

(٥) الأبِهْر : عرق مستبطن القلب .

وعاش بعد الأُكْلة المذكورة ثلاثة أعوام ، ثم عَلاَ على دَرَجِ الشهادة مع ما أتحفه الله به من الإكرام .

وُضِعَتْ بخَيْبَرَ للنبى شُوَيْهَةٌ
مسمومةٌ بإشارةِ الكُفَّارِ
فتكلَّمتْ فى الكفِّ منهُ ذِراعُها
عن سُمِّها خوفاً على المخْتَارِ
هذا وكمْ للمصطفى من آيةٍ
سيَّارةٍ فى سائرِ الأقطارِ

الاستغفار لأهل البقيع

أُمِرَ النبى ﷺ أن يستغفر لأهل البقيع ، وأتاه الآتى بذلك وهو فى بيته ضجيع ، فخرج فى جوف الليل واستغفر لهم طويلاً ، وصلى عليهم بإذن من أمره أن يتخذه وكيلاً ، وهنأهم بما أصبحوا فيه ، وذكر من إقبال الفتن ما لا يمكن تلاقيه ، وعرَّف من كان معه من صحبه ، أنه خُيِّر بين الدنيا والآخرة فاختار لقاء ربه .

ثم صلى على أهل أُحُدٍ كالمودِّع للأحياء والأموات ، فلما انصرف لازمه الوَعَكُ (١) إلى أن علت بوفاته الأصوات .

قبلَ الوفاةِ أتى النبيُّ مُوَدِّعاً
أهلَ البقيعِ مُصَلِّياً مُسْتَغْفِرا

---

(١) الوعك : شدة الحمىَّ .

واختـــارَ لُقْيـا ربه سـبـحـانهُ
فـى جـنَّةِ الـفـردوسِ لمَّا خُيِّرا

وفاة رسول الله ﷺ

دُعِثَ [1] لليلتين بقيتا من صَفَر ، ثم حصل له من الوَعَك ما أتعب الخواطر وشغل الفِكَر، واشتدت حرارة الحمّى عليه ، وانصبَّت موادُّ الوَصَبِ إليه ، فهرع المسلمون إلى عيادته ، وتألم المخلصون فى محبته وإرادته .

وكان فى مرضه يصلى بالناس ويقرأ القرآن ، حتى قرأ فى ليلةٍ سبعين سورة فيهنَّ البقرةُ وآل عمران ، فلما ثَقُلَ قال : «مروا أبا بكرٍ فليصل بالناس»، وألبسه من الخلافة والائتمام به فى الصلاة أفخر لباس ، وأمر بسد الأبواب المفتوحة فى المسجد إلا بابه ، وخرج عاصباً رأسه فخطب وأثنى عليه بمحْضَرٍ من الصحابة .

وجاءه جبريل يعوده من جهة الله إكراماً له فى ثلاثة أيام ، واستأذن عليه مَلَكُ الموت ولم يستأذن على أحدٍ من الأنبياء الأعلام .

فلما نزل به ما لا محيد للخلق عن لقائه ، جعل يمسح وجهه بالماء ويسأل الإعانة فى دعائه ، ثم شَخَصَ بصرُهُ إلى السماء حيث حان التحويل ، وخُيِّرَ فاختار الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل .

وتوفى لاثنتى عشرة من ربيع الأول عن ثلاث وستين على الصحيح ، وغَسَّلَهُ العبَّاس وعلىٌّ ومن معهما وهم الذين وَسَدُّوهُ فى الضَّريح ، وكُفِّن فى

---

(1) دُعِثَ : يعنى مرض .

ثلاثة أثواب سُحُولِيَّةٍ (١) ليس فيها قميصٌ ولا عِمَامَة ، وصلى المسلمون عليه أفذاذاً (٢) لا يقدم أحدٌ منهم على الإمامة .

ودفن فى بيت عائشة وفيه كانت وفاته ، صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته .

قال أبو ذوئيب الهُذَلى (٣) : سمعت هاتفاً قبل وفاته يقول :

خَطبٌ أجلٌّ أناخَ بالإسلامِ
بينَ النَّخيلِ ومَعْقِدِ الآطَامِ (٤)
قُبِضَ النَّبىُّ محمدٌ فعيُونُنَا
تُذْرِى الدُّمُوعَ عليهِ بالتَّسْجامِ (٥)

وقال سفيان بن الحارث بن عبد المطلب من أبيات :

لقدْ عَظُمَتْ مصيبتُنا وجلَّتْ
عشِيَّةَ قيلَ قد قُبِضَ الرَّسولُ
فأضْحَتْ أرضُنا ممَّا عَرَاهَا
تكادُ بنا جوانِبُها تزولُ

(١) سُحُولية : بفتح السين وضمها ، فالفتح منسوب إلى السَّحول وهو القصَّار لأنه يسحلها أى يغسلها ، أو إلى سَحول : قرية باليمن ، وقيل هو سُحول بالضم ، وأما الضم فهو جمع سَحْل وهو الثوب الأبيض النقى ، والنسبة فيه على الشذوذ لأنه نسب إلى الجمع .
(٢) أفذاذاً : أفراداً .
(٣) أبو ذُوئيب الهُذَلى : الشاعر المشهور ، عاش فى الجاهلية دهراً ، وأدرك الإسلام فأسلم، وعامة ما قاله من الشعر فى الإسلام «الإصابة ٧/ ١٣١».
(٤) الآطام : الحصون .
(٥) التّسْجَام : أى بالدمع الكثير ، يقال : سجم الدمع إذا سال .

فَقَدْنَا الوحىَ والتَّنزيلَ فينا
يَرُوحُ بِهِ ويغدو جبريلُ
وذاكَ أحقُّ ما سالتْ عليه
نُفُوسُ الناسِ أو كَرِبَتْ (١) تَسِيلُ

وقالت فاطمة عليها السلام :

اغْبَرَّ آفاقُ السماء وكُوِّرتْ
شمسُ النَّهارِ وأظلمَ العَصْرانِ (٢)
والأرضُ من بعدِ النَّبى كئيبةٌ
أسَفاً عليهِ كثيرةُ الرُّجْفَانِ
فليَبْكِهِ شرقُ البلادِ وغربُهَا
ولتَبْكه مُضَرٌ وكلُّ يَمانِ
وليَبْكِهِ الطَّوْدُ المُعَظَّمُ جَوُّهُ
والبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ
يا خاتمَ الرُّسْلِ المُباركُ ضوؤهُ
صلَّى عليكَ مُنَزِّلُ القرآنِ

وقالت صفية بنت عبد المُطَّلب (٣) :

ألا يا رسولَ اللهِ كنتَ رجاءَنا
وكنتَ بنا براً ولم تكُ جافيا

---

(١) كَرَبَتْ: بفتح الراء وكسرها أى: قربت . (٢) العَصْران: الليل والنهار، وقيل: الدهر.

(٣) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ ، ووالدة الزبير بن العوام (أحد العشرة المبشرين بالجنة) وهى شقيقة حمزة «الإصابة ٧/ ٧٤٣» .

وكنت رحــيــمــاً هادياً ومُعلِّمــاً

وليبكِ عليكَ اليوم من كـان باكـيـا

لَعَمْرُكَ مــــا أبكـى الـنبـىَّ لِفَقْدِهِ

ولكن لما أخــشى مــن الهَــرْجِ آتــيــا

أفــاطِمُ صلـىَّ اللهُ ربُّ مــحــمَّدٍ

عــلى جَدَثٍ بـيــــشْــرِبَ ثاوِيـا

فِدىً لرســولِ اللهِ أُمّى وخــالــتى

وعــمِّى وآبائـى ونفــسى ومــاليــا

نَصَحْتَ وبَلَّغْتَ الرِّســالةَ صــادقــاً

ومُتَّ صليـبَ العَوْدِ أبلجَ صــافــيــا

علـيكَ من اللهِ الــســلامُ تحــيــةً

وأُدْخِلتَ جنَّاتٍ مــن العَدْنِ راضــيــا

نجز المقتفى من سيرة المصطفى
صلي الله عليه وسلم
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
ختم وتم، والحمد لله رب العالمين (١)

(١) فى نسخة دار الكتب المصرية : على يدى أفقر العباد وأحوجهم إلى عفو الملك الجواد ، يوسف بن محمد بن على الجناح الصفدى ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ، فى السابع من جمادى الآخرة عام واحد وأربعين وثمانمائة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

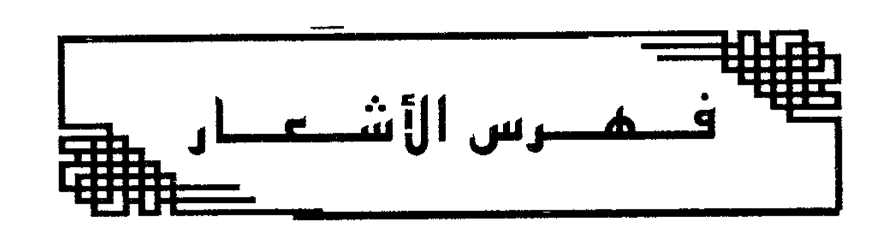
الفهارس الفنية

فهارس الآيات القرآنية

الآيــــة	الســـورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فول وجهك . . ﴾	البـقـــرة	١٤٤	٧٩
﴿ للفقراء الذين أحصروا . . ﴾	البـقـــرة	٢٧٣	٨٥
﴿ من يهد الله . . ﴾	الأعـراف	١٧٨	٦٨
﴿ وأنذر عشيرتك . . ﴾	الشعـراء	٢١٤	٥٣
﴿ ورد الله الذين . . ﴾	الأحـزاب	٢٥	٥٦
﴿ ياأيها النبى . . ﴾	الأحـزاب	٤٥	٣٥
﴿ وداعياً إلى الله . . ﴾	الأحـزاب	٤٦	٣٥
﴿ وبشر المؤمنين . . ﴾	الأحـزاب	٤٧	٣٥
﴿ ربنا اغفر لنا . . ﴾	الحشـــر	١١	٥٤
﴿ اقرأ باسم ربك . . ﴾	الـعـلـق	١	٥٢

فهرس الأماكن والبقاع والبلدان

فهرس الأعلام

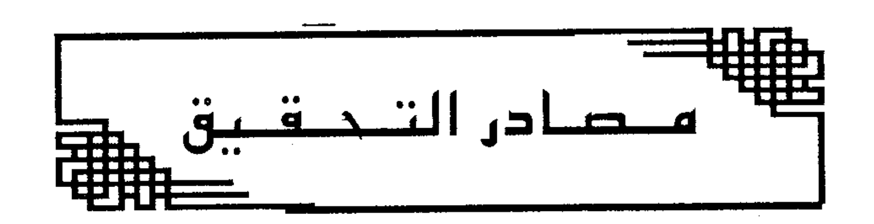


فهـرس الأشـعـار

صدر البيت	حرف الروى	قائـله	الصفحة
	ء		
فما ظفرت	بالسواء	كعب بن مالك	١٣٢
	ب		
نسبٌ عليه مهابة	الأرب	ابن حبيب	٢٧
فقمنا حاشدين	التراب	الزبير بن عبد المطلب	٤٨
عجبت للجن	بأقتابها	سواد بن قارب	٥١
ألا أبلغا عنى	كعب	أبو طالب	٦٦
بهاليل من أولاد	عتبا	النعمان بن كثير	٧١
لبس الغليظ	العرب	ابن حبيب	٩٦
يناديهم رسول	القليب	حسَّان	١٣١
واذكر قريشاً	الهرب	كعب بن مالك	١٤٣
فلا والله	مشوب	حسَّان	١٥١
نصر الحجارة	بصواب	على بن أبى طالب	١٥٩
قل لبنى ثعلبة	الثعلب	ابن حبيب	١٦٧
مهلاً بنى سعد	طالب	ابن حبيب	١٧٢
لما تعدى	الصحابة	ابن حبيب	١٧٦
	ت		
وشق صدر	مرية	ابن حبيب	٣٨
أصول المصطفى	الثقات	ابن حبيب	٣٩

صدر البيت	حرف الروى	قائــــله	الصفحة
رسل النبى	الإسلام	ابن حبيب	١١٥
عمير رعاه الله	الأسما	ابن حبيب	١٣٣
يا زيد زادك	الأنعام	ابن حبيب	١٤١
يا دومة	الشآم	ابن حبيب	١٥٦
سار ابن عوف	سلموا	ابن حبيب	١٧١
سرية غالب	الغنيمة	ابن حبيب	١٨٥
لله غالب	بالنعم	ابن حبيب	١٨٩
سار أبو قتادة	إضم	ابن حبيب	١٩٨
منا بمكة	مسوم	العباس بن مرداس	٢٠١
قالت هلم إلى	الإسلام	فضالة بن عمير	٢٠٣
سمونا لها	أحجما	العباس بن مرداس	٢١٠
وعند رسول الله	حازم	الفرزدق	٢١٦
كاد العدى	الأنعام	ابن حبيب	٢١٧
ولما رأيت الناس	أكرما	أبو خيثمة	٢٢١
أتيناك حتى	المواسم	الزبرقان	٢٢٤
نصرنا وآوينا	راغم	حسَّان	٢٢٥
وفد عبد القيس	الأنام	ابن حبيب	٢٢٦
للنجم قد سامى	باسمه	ابن حبيب	٢٣٧
حسد اليهود	الأعصم	ابن حبيب	٢٣٨
خطبٌ أجلٌ	الآطام	أبو ذوئيب	٢٤٢
	ن		
واستبشر الكون	بالزعفران	ابن حبيب	٢٨
أقسمت بالكعبة	والأركان	خطر بن مالك	٤٩
السابقون الأولون	ثملنية	ابن حبيب	٥٤

صدر البيت	حرف الروى	قائـــله	الصفحة
يا راكباً بلغن	الدين	عبد الله بن الحارث	٦٥
لقد رقا سلمان	البنيان	ابن حبيب	٨٢
إلام لحاك الله	الجن	ابن حبيب	١٣٤
سار النبى	غطفان	ابن حبيب	١٣٩
لبنى سليم	الشجعان	ابن حبيب	١٤٠
إن سرك الغدر	لحيان	حسّان	١٥١
أولاك خير الخلق	محسن	ابن حبيب	١٦٦
عرج على	الأكوان	ابن حبيب	١٧٩
لقد ظفر الحجاج	اللسن	ابن حبيب	٢٣٢
سار بأمر النبى	اليمن	ابن حبيب	٢٣٣
هـ			
كم للنبى	معناها	ابن حبيب	٨٠
لما تجرأ	مسلمة	ابن حبيب	١٦٢
ظلام بنى حنيفة	الغمامة	ابن حبيب	٢٢٧
ي			
ثوى فى قريش	مواتيا	أبو قيس الأنصارى	٧٦
وعدنا أبا سفيان	وافيا	كعب بن مالك	١٥٣
ألا يا رسول الله	جافيا	صفية بنت عبد المطلب	٢٤٣



مصادر التحقيق

* إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للزبيدى ، دار الكتب العلمية ١٤٠٩ هـ.

* الإحسان فى ترتيب صحيح ابن حبان ، لأبى الحسن على بن بلبان الفارسى، مؤسسة الرسالة، تحقيق ، شعيب الأرناؤوط ١٩٨٨ .

* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، لأبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، دار الأندلس .

* الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ .

* أسد الغابة ، لعز الدين أبى الحسن على بن محمد الجزرى ابن الأثير ، كتاب الشعب القاهرة .

* إعلام الساجد بأحكام المساجد ، لبدر الدين الزركشى ، طبعة أولى ، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية .

* الإصابة فى تمييز الصحابة ، لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الجيل ، ١٩٩٢ م .

* الأصنام ، لهشام بن محمد السائب الكلبى ، تحقيق أحمد زكى باشا ، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣ هـ .

* أعلام النبوة ، للماوردى ، راجعه طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩١.

* الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م .

* الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء ، لأبى ربيع الكلاعى الأندلسى ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٨٧ هـ .

* إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزى ، صححه وشرحه محمود محمد شاكر، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤١ م .

* إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون الشهير « بالسيرة الحلبية » للبرهان الحلبى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٨٤ هـ .

* البداية والنهاية ، لإسماعيل بن عمر الدمشقى المعروف بابن كثير، تحقيق أحمد فتيح ، دار الحديث ١٩٩٢م .

* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكانى بمطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨هـ.

* تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، إصدار وزارة الإعلام فى الكويت .

* تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، للديار بكرى ، المطبعة الوهابية ١٢٨٣ هـ القاهرة.

* تاريخ المدينة المنورة ، لأبى زيد عمر بن شبه النهرى البصرى ، تحقيق فهيم شلتوت ، طبعة دار الأصفهانى جدة .

* تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفورى ، دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ .

* تركة النبى ﷺ ، لحمار بن إسحاق ، تحقيق د . أكرم العمرى ١٤٠٤ هـ .

* جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، دار المعارف بمصر ١٩٨٤ م .

* تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، لابن حبيب ، دار الكتب المصرية ١٩٧٦ م .

* تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لأبى الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، وعبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية ١٤٠١ هـ .

* تهذيب الأسماء واللغات ، لأبى زكريا محيي الدين بن شرف النووى ، المطبعة المنيرية القاهرة .

* الخصائص الكبرى ، للسيوطى، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٢٠هـ .

* الدرر فى اختصار المغازى والسير ، لابن عبد البر ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

* الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر، القاهرة دار الكتب الحديثة ١٣٨٦هـ.

* دلائل النبوة ، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله دائرة المعارف بحيدر آباد ١٣٢٠ هـ .

* دلائل النبوة ، للبهيقى أحمد بن الحسن ، تحقيق عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ .

* ديوان حسان بن ثابت - المطبوع بمصر ١٩٢٩ م .

* الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، القاهرة ١٣٨٧ هـ .

* زاد المعاد فى هدى خير العباد ،لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية ١٣٩٩ هـ .

* سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ، لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢ هـ وما بعدها .

* سنن ابن ماجه، لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى القاهرة .

* سنن الدارقطنى ، لأبى الحسن على بن عمر الدارقطنى البغدادى ، وبذيله التعليق المغنى لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى ، صححه عبد الله هاشم اليمانى ، دار المحاسن القاهرة ١٣٨٦هـ .

* السنن الكبرى ، لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الهند ١٣٤٤ هـ.

* السنن الكبرى ، للنسائى ، تحقيق د. البغدادى وسيد كسروى دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.

* السير والمغازى ، لمحمد بن إسحاق ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ١٣٩٨هـ .

* السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، وآخرين ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٧٥هـ.

* السيرة النبوية ، لابن حبان البُستى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٠٧هـ .

* شذرات الذهب فى أخبـار من ذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى بن العـماد الحنبلى ، نشر مكتبة القدسى ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

* شرح السنة ، لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغدادى ، مطبعة دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م .

* شرح السيرة للخشنى .

* شرح صحيح مسلم ، لمحى الدين يحيى بن شرف النووى ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .

* شرح المواهب اللدنية ، الأزهرية ١٣٢٥ - ١٣٢٨ هـ .

* شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، لأبى الطيـب محمد بن أحمد بن على الفاسى المكى ، دار الكتاب العربى ١٩٨٥ .

* الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى عياض ، دار الكتب العلمية .

* الشمائل المحمدية ، للترمذى ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

* صفة الصـفوة، لأبى الفرج عبـد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزى، تحـقيق إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩ هـ .

* طبقات الشافعية ، لابن قاضى شهبة ، عالم الكتب ، ١٤٠٧ هـ .

* العقـد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، لتـقى الدين أبى الطيب محـمد بن أحمـد الحسنى المكى الفاسى ، تحقيق فؤاد السيد ، ومحمود الطناحى ، القاهرة ١٩٥٩ - ١٩٦٩ م .

* عون المعبود شرح سنن أبى داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادى ، دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ .

* عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، لمحمد بن محمد سيد الناس، دار التراث ، المدينة المنورة ، ١٤١٣ هـ .

* غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام - دائرة المعارف - حيدر آباد .

* فتح البارى شرح صحيح البخارى ، لأحـمد بن على بن حجر العسقلانى ، طبع الرئاسة العامة للإفتاء ، المملكة العربية السعودية الرياض .

* كشف الخفاء ومـزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث عـلى ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى ، مكتبة القدس ، القاهرة .

* كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة، وكالة المعارف ١٩٤١ ، ١٩٤٣ م .

* اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين أبى الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، دار المعرفة.

* مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور ، دا ر الفكر ، ١٤٠٤ هـ .

* مرآة الجنان وعبرة اليقظان - لليافعى - مؤسسة الرسالة ، تحقيق عبد الله الجبورى .

* مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى، تحقيق على محمد البجاوى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ.

* مروج الذهب ، للمسعودى ، دار الأندلس ، ١٣٨٥ هـ .

* مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبى عبدالله أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربى .

* مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضى عياض بن موسى اليحصبى، طبع دار التراث والمكتبة العتيقة .

* المصباح المضىء فى كتاب النبى ورسله إلى ملوك الأرض ، لابن حديدة الأنصارى ، دائرة المعارف ، حيدر آباد ١٣٩٧ هـ .

* المعارف ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة عشر .

* معجم البلدان ، لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى البغدادى، دار صادر بيروت ١٣٩٩ هـ .

* معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ، صلاح الدين المنجد ، دار القاضى عياض ، القاهرة.

* المغازى ، لمحمد بن عمر الواقدى ، تحقيق مارسدن جونس ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت .

* المناسك ، لأبى إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى ، تحقيق الشيخ حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩ هـ .

* المنتظم فى تاريخ الملوك و الأمم ، لابن الجوزى ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢ م.

* الموضوعات ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، ١٩٨٣ م .

* النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لأبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى، دار الكتب المصرية بالقاهرة .

* نهاية الأرب فى فنون الأدب ، لأحمد بن عبد الوهاب النويرى، طبع منه بمصر ٣١ جزء

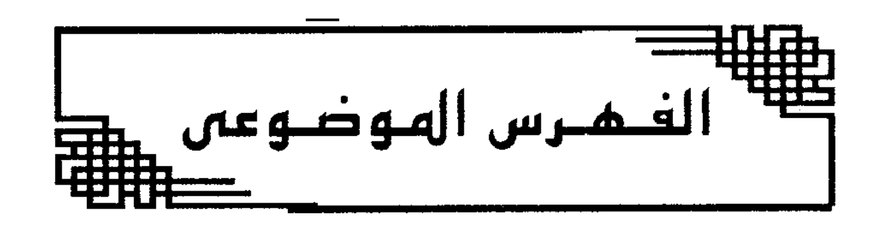
* النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوى ، ومحمود الطناحى دار إحياء الكتب العربية القاهرة .

* هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادى البابانى ، دار الفكر ١٩٨٢ م .

* وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، لنور الدين على بن أحمد السمهودى ، تحقيق محمد محيى الدين ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٤ م .

* الوفا بأحوال المصطفى، لأبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت .

*** *** ***



الفهرس الموضوعى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة